حرب رمضان
الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة
أكتوبر ١٩٧٣
واء : حسن البدرى
واء : طه المجدوب
عميد أ.ح : ضياء الدين زهدى

حرب رمضان

الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة
أكتوبر ١٩٧٣

إعـــداد:

اللـــواء : حسن البدرى

اللـــواء : طه المجدوب

عميد أ . ح : ضياء الدين زهدى

شكر وعرفان ..

يتقدم المؤلفون بوافر الشكر

إلى :

- قادة وضباط وجنود القوات المسلحة المصرية والسورية الذين أمدوهم بالتفاصيل الدقيقة التي مكنتهم من إعداد هذا الكتاب .
- إدارة البحوث الفنية برئاسة الجمهورية للمعونة الصادقة والجهد الكبير لإخراج الكتاب بشكله الممتاز .
- اللواء مصطفى حسن الجمل أستاذ الإستراتيجية بأكاديمية ناصر العسكرية العليا .
- اللواء بهي الدين محمد نوفل رئيس عمليات القيادة العامة الإتحادية .
- الأستاذ سميح صادق مدير البحوث بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية .
- الأستاذ السيد ياسين رئيس وحدة بحوث بالمركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية .
- المقدم عادل عبد العزيز الوكيل على تفضله بإعداد خرائط هذا الكتاب .

المؤلفون

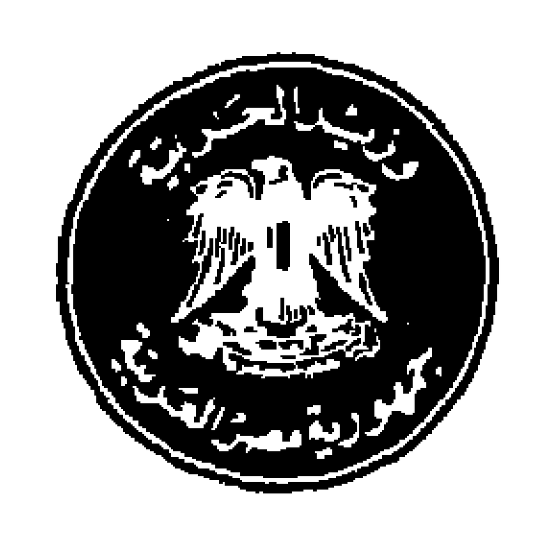
بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

سوف يجيء اليوم الذي نجلس فيه لنقص ونروي ماذا فعل كل واحدٍ منا في موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وأدى دوره ، وكيف خرج الأبطال مِن هذا الشعب وهذه الأمة ، في فترة حالكة ، يحملون مشاعل النور لتضيء الطريق ، حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر بين اليأس والرجاء .

محمد أنور السادات





مشير أحمد اسماعيل على
وزير الحربية
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مع دقة المهمة التى كلفنى القائد الأعلى بانجازها ، والتى جمعت بين أهداف عبور واقتحام قناة السويس وبين تحرير الأرض ... كان لابد أن أعمل على توفير كل أسباب النجاح قبل البدء فى التنفيذ ، وعلى هذا ، فقد حرصت على أن يكون التخطيط للمعركة محكما ودقيقا وأن يتم الإعداد لها على أسس علمية مدروسة ..

وواصلنا العمل فى صبر وصمت ....

وعندما وثق الجميع فى أنفسهم وفى قدرتهم على تحقيق مهامهم بنجاح ، تحدد التوقيت ، بعد دراسة عميقة وتنسيق كامل مع رفقة السلاح فى سوريا الشقيقة

وانطلق الرجال نحو الهدف .. يساندهم شعبنا البطل الذى منحهم ثقته المطلقة . فقاتلوا بشجاعة وشرف .. وبرزت حقيقة معدنهم الأصيل .... وأكدوا أنهم بالتدريب الجاد ، وبالإيمان بالهدف مع الإصرار على تحقيقه ، لقادرون على تحقيق النصر فى المعارك الحربية الحديثة .

لذا فقد نصرهم الله ، انه نعم المولى ونعم النصير

مشير
أحمد اسماعيل على

١٩٧٤/٢/٢٤

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة

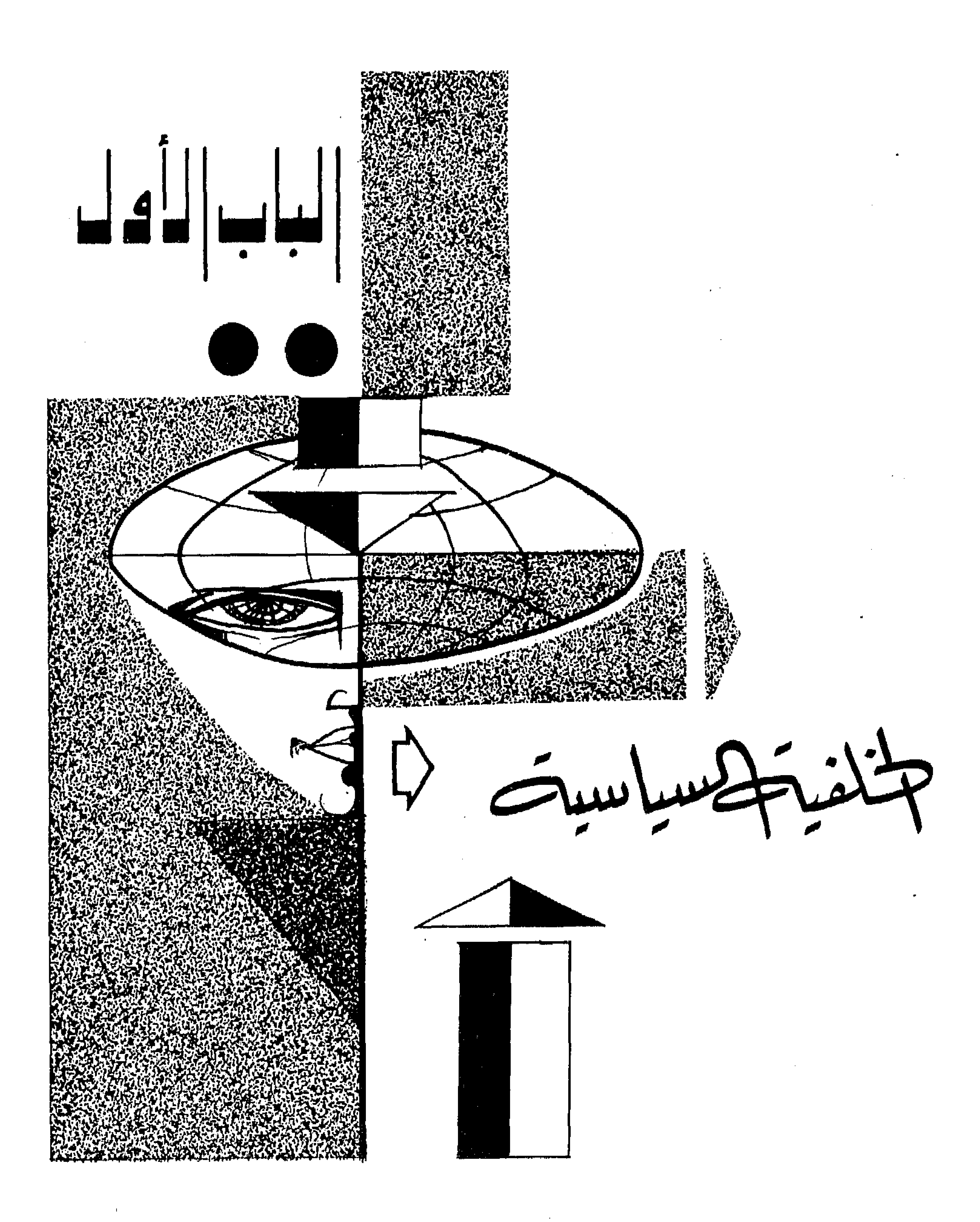


الإهداء

إلى شهداء العرب .... كل الشهداء
على درب الكفاح الطويل
من بدر الأولى عام ٦٢٤ ميلادية
إلى بدر الثانية (حرب رمضان) عام ١٩٧٣
وما سوف يتلوها من حروب ..

المؤلفون

المحتويات



الباب الأول
الخلفية السياسية

السلام... بالحرب

◆ بانتهــاء الجولة العربية الاسرائيليــة الثالثة صيف ١٩٦٧ ، بذلت الدول العربيــة جهودا سياسية ودبلوماسية واسعة ، لتهيئة الظروف المواتية لارســاء سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط ٠

وصاحب هــذه الجهود عــدة محاولات لايجــاد تسوية للنــزاع العــربى الاسرائيلى ، قام بهــا المجتمع الدولى بصفة عامة ، والقــوى الكبرى على وجــه الخصوص ، ثم مجموعة الدول العربية وجمهورية مصر العربية على وجه أخص ٠٠

وتحطمت كل هــذه الجهود وتلك المحاولات على صــخرة الرفض والتعنت الاسرائيلى ، وظهر جليا أن ما يحتويه قاموس اسرائيل من مفاهيم لا يخرج عن ٠٠ « العــدوان » ٠٠ والتوســع ٠٠ واغتصاب الحقــوق ٠٠ وفرض الواقــع بكل ما يحمله من ظلم واجحــاف ٠٠ والاســتهانة بالرأى العــام العالمى ٠٠ وازدراء المنظمات الدولية ٠٠ واستبان لكل منصف أنه لابديل للعرب عن الحرب ليحققوا السلام العادل المنشود ٠٠

لقد كان من المستطاع أن يحقق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ تسوية مقبولة لمشكلة الشرق الأوسط ، وأن يرسى دعائم سلام عادل فى المنطقة ٠٠ ولكن اسرائيل والقوى الامبريالية المساندة لها عملت بكل ما وسعها الجهد على عرقلة تنفيذ القرار ، ثم تجميده ٠٠

وكان القرار يقوم على دعامتين أساسيتين هما :

١ عدم شرعية الاستيلاء على الأراضى بواسطة الحرب ٠

٢ ضرورة العمل من أجل سلام عادل ودائم ، تستطيع كل دولة من دول المنطقة أن تعيش فيه بأمان ٠

ويستطرد القرار فينص على سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى عدوان ١٩٦٧ ، كما ينص على انهاء حالة الحرب ، والعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ٠٠٠

ويورد القرار ترتيبات معينة للملاحة فى الممرات البحرية ، وتسوية مشكلة اللاجئين ، وضمان السيادة الاقليمية لدول المنطقة ، وتعيين ممثل خاص للسكرتير العام يجرى اتصالات مع الدول المعنية للوصول الى اتفاق مقبول ٠٠٠

ومنذ صدر القرار ، واسرائيل لا تنى عن وضع العراقيل فى طريق تنفيذه ، وتتذرع بالابهام والغموض الذى يشوب تلك الفقرة فى النص الانجليزى القائلة « بسحب القوات الاسرائيلية من أراضى احتلتها » لتبرر بقاءها فى الأراضى العربية المحتلة ٠٠٠ رغم أن بطلان هذا الزعم الذى تستند اليه اسرائيل تؤكده نفس مقدمة القرار ، اذ تنص على عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب ٠

لقد قام السكرتير العام للأمم المتحدة بتعيين السفير جونار يارنج ممثلا خاصا له فى الشرق الأوسط ، لمداومة الاتصال مع الدول المعنية بهدف تشجيع الاتفاق ، والمساعدة بجهوده للتوصل الى تسوية سلمية مقبولة طبقا للنصوص والمبادىء الواردة فى القرار ٢٤٢ ٠

وقدم يارنج تقاريره الى مجلس الأمن عن مهمته ، واتضح منها أن اسرائيل اتخذت منذ الوهلة الأولى موقفا خاصا يقوم على أن التوصل الى حل للأزمة لايمكن

أن يتم الا من خلال « المفاوضات المباشرة بين الأطراف المعنية » ، وأن قواتها المسلحة لن تنسحب من الأراضى المحتلة قبل التوصل الى حل تقبله اسرائيل ، كما اقترح وزير خارجيتها برنامج عمل للمفاوضات المباشرة مع العرب ...

ورفضت اسرائيل اعطاء السفير يارنج تصريحا يؤكد استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، متذرعة بأن هذا القرار لايخرج عن كونه مجرد اطار للاتفاق ، وأنه يستحيل تنفيذه دون مفاوضات مباشرة .

وفى المرحلة الثانية من مهمة السفير جوناريارنج أكدت اسرائيل موقفها السابق بالنسبة لتفسير قرار مجلس الأمن ، وأصرت على أن الانسحاب يجب أن يتبع الاتفاق بين الأطراف على حدود آمنة ، بينما رأت مصر أن القرار يتضمن خطة لتسوية النزاع يتعين على الأطراف تنفيذها طبقا لاجراءات يضعها الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة .

وأخيرا ، وفى المرحلة الثالثة التى تميزت بمطالبة الأطراف بالالتزام - عن طريق مذكرة رسمية مكتوبة - بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبعد قبول الأطراف مبادرة روجرز ، حاولت اسرائيل عرقلة المحادثات ، فامتنعت عنها لمدة أربعة أشهر .. وعندما استؤنفت الاتصالات ، وقدم السفير يارنج مذكرته فى فبراير ١٩٧١ طالبا من الأطراف المعنية تقديم بعض الالتزامات مقدما ، على أن تكون متبادلة ، وافقت مصر على هذه الالتزامات ، بينما جاء رد اسرائيل فى شكل تعليق على مذكرة مصر ، ولم تتعرض للالتزامات المطلوبة منها من قريب أو بعيد .. بل ظلت تصر على عدم الانسحاب الى حدود يونية ١٩٦٧ .

وبهذا الموقف المتعنت ، ورغم النداء الذى وجهه السكرتير العام للأمم المتحدة الى اسرائيل لكى ترد ايجابيا على مذكرة السفير يارنج ، ورغم صدور عدة قرارات للجمعيه العامة تناشد السكرتير العام اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنشيط مهمة الممثل الخاص ، فقد تمسكت اسرائيل بعنادها ، واستمرت فى الامتناع عن الرد على السفير يارنج ، كما رفضت الاعلان عن استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، معتمدة على مؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية لها بلا حدود .

المحادثات الرباعيـــة :

كانت الحكومة الفرنسية تعرب فى كل مناسبة عن أن أزمة الشرق الأوسط مرتبطة بالحرب الدائرة فى فيتنام ، وأن الحل السلمى لهذه المشكلة يحتـاج الى محادثات تجرى على مستوى الدول الأربع الكبرى ٠ وفى ١٦ يناير ١٩٦٩ تقدمت فرنسا باقتراح لعقد محادثات رباعية ، للبحث عن الوسائل التى بمقتضاها تستطيع هذه الدول أن تسهم فى اقامة السلام المنشود ، طبقا للقرار رقم ٢٤٢ ٠

وعقد أول اجتماع رباعى يوم ٣ أبريل ١٩٦٩ ، ثم تأجلت الاجتماعات على أمل احراز بعض التقدم عن طريق المحادثات الثنائية الأمريكية/السوفيتية ٠ وفى أغسطس ١٩٧٠ وافق الممثلون الأربعة على مبـادرة روجرز ، ثم توقفت المحادثات الرباعية لفترة من الوقت ، ثم استؤنفت مع استئناف مهمة يارنج ، حيث ناقشت الدول الأربع الكبرى خلال هذه المرحلة الضمانات التى يمكن أن تقدمها لتسوية المشكلة ، وذلك بالرغم من معارضة اسرائيل ، الا أنها سرعان ما توقفت مرة أخـرى نتيجة اشـتداد الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحـاد السوفيتى بشأن قوة حفظ السلام المقترح تشكيلها ٠٠

وبذلك فشلت المحادثات الرباعية فى نهاية أغسطس ١٩٧١ ، بعـد أن تعثرت نتيجة للتباين فى وجهات نظر الدول الكبرى ، بالاضافة الى تعثر مهمة السفير يارنج ، ومماطلة اسرائيل وحثها أمريكا لتجميد المحادثات ، وصـاحب ذلك اقتراح الولايات المتحدة الخاص بالقيام بدور الوسيط بين مصر واسرائيل ٠٠

ورغما عن أن مصر رحبت بالمحادثات الرباعية منذ بدأت ، وأعربت عن ضرورة تحمل الدول الكبرى لمسئوليتها تجاه السلام العالمى ، الا أن اسرائيـل رفضت بعناد مجرد فكرة اسهـام الدول الكبـرى فى التسوية ، ليس ذلك فحسب ، بل راحت تشوه الهدف من هذه المحادثات ، فوصفتها بأنها محاولة لفرض تسوية على الأطراف المعنية ، واتهمت فرنسا والاتحاد السوفيتى بالانحياز الى جانب مصر ، وعادت تؤكد أن السلام لن يتحقق الا بالمفاوضات المباشرة مع العـرب ٠٠

وراحت اسرائيل تشكك فى شرعية المحادثات الرباعية ٠ كما اعلنت ان العضوية الدائمة للدول الأربع الكبرى فى مجلس الأمن لا تعطيها سلطة خاصة ، ولا وضعا سياسيا متميزا ، يبرر قيامها بهذه المهمة ٠

ثم أعلنت اسرائيل ان المحادثات الرباعية قد فشلت ، وانه ليس هنـاك ما يدعو الى الاعتقاد انها ستنجح مرة اخرى ٠٠

المحادثات الثنائيـة :

بدأت المحادثات الثنائية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة للتوصل الى حل عادل لأزمة الشرق الأوسط مع بدء المحادثات الرباعية فى أبريل ١٩٦٩ ، وكان هدفها الرئيسى هو الوصول الى ترتيبات مقبولة ، تقنع الطرفين بالاعلان عن نواياهما السلمية ٠٠

وبالرغم من صدور عدة تصريحات عن أن هذه المحادثات قد حققت شيئا من التقدم ، وان أحد مظاهرها المشجعة هو اتفاق الجانبين على أن الترتيبـات النهائية للسلام يجب أن تكون فى شكل اتفاق شامل وليس تسوية على مراحل ، الا ان القضية الأساسية الخاصة بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، وكذا مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، كانتا العقبة التى توقفت عندها المحادثات ، ليس ذلك فحسب ، بل أن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المستر جوزيف سيسكو صرح بأنه لايعتقد أن على اسرائيل أن تعيد جميع الأراضى التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧ ، لأن قرار مجلس الأمن لم ينص على ذلك ٠ وهكذا ، ورغم موافقة مصر على المحادثات الثنائية ، وبذلها كل الجهود لانجاحها ، فقد رفضتها اسرائيـل بداية ٠ وتحركت الولايات المتحدة لتبذل كل وسعها فى تحطيم هذه المحادثات وافشالها ، رغم ما بذله الاتحاد السوفيتى من جهود كثيرة للوصـول الى نتائج مقبولة ٠٠

مبـادرة روجرز :

نتيجة حرب الاستنزاف التى دارت فيما بين سبتمبر ١٩٦٨ ويوليو ١٩٧٠ ، وارتفاع خسائر اسرائيل فى الأفراد



وكان الأمر الأعجب هو أن الولايات المتحدة
الأمريكية لم تمارس اى ضغط على اسرائيل

والمعدات والطائرات ، سارع المستر وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مبادرة فى ٥ يونيو ١٩٧٠ بهدف ايقاف الاستنزاف ، والتزام كل من مصر واسرائيل بايقاف النيران لفترة محددة ، كما وجه نداء الى الأطراف المعنية للدخول فى مفاوضات جديدة عن طريق السفير جونار يارنج ، من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

واستجابت مصر لهذه المبادرة ، فاوقفت النيران فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، الا أن اسرائيل لم تف بالشق الثانى من المبادرة ، وهو العمل على انجاح مهمة يارنج وتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وكان الأمر الأعجب هو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تمارس اى ضغط على اسرائيل كى تستجيب للمبادرة التى قدمها نفس وزير خارجيتها ، الأمر الذى حكم عليها بالفشل الذريع ..

مبادرة السادات :

فى الخامس من فبراير ١٩٧١ اعلن الرئيس السادات عن مبادرة للسلام ، وحدد معالمها بعد ذلك بالتفصيل فى خطاب ضاف ألقاه فى أول مايو ١٩٧١ ، تضمن الآتى :

١ بمجرد الانسحاب الجزئى للقوات المسلحة الاسرائيلية عن الأراضى العربية المحتلة ــ كمرحلة أولى من الانسحاب الكامل ــ تبدأ مصر فى تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية ..

٢ بعد هذه الخطوة ، تقبل مصر مد وقف اطلاق النار لمدة محددة ، يضع خلالها السفير يارنج جدولا زمنيا لتنفيذ قرار مجلس الأمن ..

٣ تعبر القوات المسلحة المصرية قناة السويس الى الضفة الشرقية ، وتقبل مصر الترتيبات التى تحقق عملية فصل القوات المتحاربة ، وذلك خلال فترة وقف اطلاق النار المحددة ، واذا انتهت هذه الفترة دون تقدم ملموس ، يكون للقوات المسلحة المصرية الحق فى تحرير الأراضى العربية المحتلة بالقوة ..

٤ ترفض مصر اى مناقشة حول نزع سلاح سيناء ، ولكنها على استعداد لقبول مناطق منزوعة السلاح على جانبى الحدود وفقا لقرار مجلس الأمن ..

٥ ترفض مصر أى شكل من اشكال الوجود الاسرائيلى فى شرم الشيخ ٠٠

وجاء رد الفعل الاسرائيلى معبرا عن نواياها الحقيقية ، اذ زعم قادة اسرائيل أن المبادرة لا تحوى جديدا ، وأن اسرائيل ترفض الشرط الخاص بانسحاب قواتها المسلحة من الضفة الشرقية للقناة ، ثم أعلنت رئيسة وزراء اسرائيل أنه لا يجدى اسرائيل فتيلا قبول المبادرة المصرية ٠ وأعقبها وزير دفاعها فأكد أنه ليس لدى اسرائيل أية نية للانسحاب من أفضل خط استولت عليه ، ثم عادت مائير تعلن « أنها ترى أن يكون الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس منفصلا لا صلة له على الاطلاق بمهمة السفير يارنج ، ولا بمباحثات الدول الكبرى » ٠٠٠

وكان لموقف اسرائيل المتعنت ، ورفضها الربط بين اعادة فتح قناة السويس والانسحاب من الضفة الشرقية للقناة بالانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة وفقا للقرار رقم ٢٤٢ ، نتيجة حتمية ٠٠ هى اهدار فرصة أخرى من فرص تحقيق السلام ، علاوة على تحقيق هدف اسرائيل فى تجميد الموقف لفرض الأمر الواقع فى المنطقة ٠٠

هكذا تبين للمجتمع الدولى كافة أن اسرائيل مصممة على اغتصاب الأراضى بالغزو ، وتجاهل الحقوق المشروعة لغيرها ، وأنها تعتنق سياسة فرض الأمر الواقع بالعدوان ، ولا تقيم وزنا للرأى العام العالمى ، ولا لقرارات المنظمات الدولية ٠

واستغلت مصر هذا الموقف فكثفت اتصالاتها السياسية وجهودها الدبلوماسية ، للتركيز على أن اسرائيل تلعب بالنار ، وأنها تعرض السلام والأمن الدوليين للخطر بما قد يعود على البشرية كلها بالضرر البليغ ، فبدات اسرائيل تفقد تقدير العالم ، وتعانى من عزلة خانقة بفضل انتقاد الدول المحبة للسلام لمسلكها المشين حيال العرب ٠ ولم يبق ملتفا حولها سوى الولايات المتحدة ، وأشقائها العنصريين الاستعماريين ـ البرتغال وجنوب أفريقيا وروديسيا وفيتنام الجنوبية ٠٠

ولعل أهم ما يلفت النظر عن سعة صدر مصر ، وبذلها الجهود المضنية للوصول بالقضية الى حل عادل ومقبول ، أن تكون آخر كلمات المستر وليم روجرز للسيد الرئيس أنور السادات فى آخر لقاء بينهما فى القاهرة فى مايو ١٩٧١ قوله :

« لقد قدمتم ـ ياسيادة الرئيس ـ كل ما يؤكد طريق السلام ، ولم يعد هناك ما يمكن طلبه منكم من أجل السلام » ٠٠

دعوة مصر لعقد دورة طارئة لمجلس الأمن فى يونية ١٩٧٣ :

واستمرت مصر فى بذل الجهود لتحقيق السلام العادل فى المنطقة ، والتنبيه الى ضرورة اضطلاع المجتمع الدولى بمسئوليته تجاه السلام العالمى • ثم طالبت ببحث ذلك على ضوء تقرير يقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة ، عن مهمة ممثله الخاص السفير يارنج بهدف اتخاذ الاجراءات المناسبة لاقرار السلام طبقا للقرار ٢٤٢ ••

وفى السادس والعشرين من يوليو ١٩٧٣ تم التصويت على مشروع هذا القرار ، الذى تقدمت به دول عدم الانحياز ، فحصل على موافقة ثلاث عشرة دولة من الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، بينما امتنعت الصين عن التصويت لرغبتها فى اصدار قرار واضح بادانة اسرائيل واجبارها على تنفيذ قرار مجلس الأمن السابق رقم ٢٤٢ • أما الولايات المتحدة فقد استخدمت الفيتو لتحطيم المشروع الذى أعرب عن أسف المجلس العميق لاستمرار احتلال اسرائيل للأراضى العربية بما يتعارض مع مبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، واستمرار اسرائيل فى عرقلة مهمة السفير يارنج ••

واستمرت الولايات المتحدة تتبنى سياسة اسرائيل التوسعية ، فزعمت ان المشروع يشوه القرار ٢٤٢ • وردد مندوبها نفس الأسباب التى ذكرتها اسرائيل فى رفض المشروع •

وخلصت مصر من كل هذه المباحثات والمحادثات والمبادرات الى انه لا فائدة ترجى من اسرائيل التى عقدت العزم على مواصلة العدوان ، وفرض الأمر الواقع ، والتلويح باليد العليا وذراع الردع الطويلة • وأكد كل ذلك كل ما توصلت اليه القيادة السياسية المصرية عقب عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ من أن « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » وأيقن كل منصف بحتمية استخدام العنصر العسكرى لكسر الجمود الذى احاط بالقضية ، والتوصل الى تسوية سياسية عادلة للنزاع •

وكان لا بد من اعداد سياسى حاذق لعزل اسرائيل دوليا ، مع مواصلة العمل لحل القضية بالطريق السلمى ، فاذا ما فشلت هذه الجهود ، يصبح لا مفر من استخدام القوة لايقاظ اسرائيل من احلام الغرور •••

الاعداد السياسي للمعـركة :

① في مجـال الأمم المتحـدة :

راحت الدبلوماسية المصرية تمهد الجو السياسي داخل المجتمع الدولي لكشف سياسة اسرائيل التوسعية ، وانه لابديل عن العمل العسكري لاسترداد الحقوق المشروعة ٠ ونجحت في كل دورة من دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وغيرها من الهيئات الدولية ، في الحصول على تأييد الغالبية العظمى من الأعضاء لمطالبها العادلة ، والفوز بقرارات تدل على تعاظم التأييد الدولي للقضية العربية ، وخاصة فيما يتعلق بحق استرداد الأراضي المحتلة ، وحق تقرير مصير الشعب الفلسطيني ٠٠

② في المجـال الافريقي :

كان مؤتمر القمة الافريقي المنعقد في يونيه ١٩٧١ نقطة تحول بالنسبة لدول القارة الأفريقية ، من مجرد التأييد اللفظي للعرب ، الى اتخاذ الخطوات الفعالة لصالح القضية ٠ وكان لمهمة لجنة الرؤساء الأفارقة المنبثقة من هذا المؤتمر ابلغ الأثر في ترسيخ الايمان بعدالة الموقف العربي ، وتعنت الموقف الاسرائيلي وعدوانيته ٠

اذ تشكلت لجنة من عشرة رؤساء افارقة للسعي للتطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ ، القاضي بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضي المحتلة ، وانبثقت من « لجنة العشرة » ، « لجنة الأربعة » واضطلعت بمهمة الاتصال بالأطراف المعنية في ازمة الشرق الأوسط ٠

[illegible] كان مما اتفق عليه بالنسبة لهذا التحرك الافريقي ان يتم على [illegible]ين ، الأولى تتقصى الحقائق ، والثانية تقدم مقترحات محددة لحل [illegible] ٠٠٠ وقامت لجنة الأربعة بجولتين في المنطقة في نوفمبر ١٩٧١ ، [illegible] خلال الجولة الثانية منهما وثيقة لكل من مصر واسرائيل للرد عليها ٠ [illegible] رفعت اللجنة تقريرها عن نتائج المهمة الى السكرتير العام للأمم المتحدة [illegible] ٣ ديسمبر ١٩٧١ ٠ وتضمن التقرير رد مصر واسرائيل على ستة

نقاط محددة ، كما تضمن نداء وجهه وزير خارجية السنغال أمام الجمعية العامة ، طالب فيه اسرائيل أن توضح الطريق الذى تراه لاستئناف المحادثات ، وأن تعيد التأكيد بأنها لاتنوى ضم الأراضى العربية بالقوة ...

ولكن اسرائيل امتنعت عن اعلان نيتها فى عدم ضم الأراضى العربية ، وبهذا فشلت مهمة الرؤساء الأفارقة ، وأيقنت افريقيا أن اسرائيل دولة توسعية عدوانية تعادى السلام ، وتقوم على الاغتصاب والتوسع .

وزادت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، وبدات الدول الافريقية تنصرف من حولها ، واصبح قطاع كبير من الراى العام العالمى اكثر قبولا لحق العرب فى استخدام الوسيلة العسكرية للوصول الى سلام عادل ، وتحرير الأرض العربية المغتصبة ، واستعادة حقوق شعب فلسطين المهدورة .

③ فى مجال دول عدم الانحياز :

حازت القضية العربية تأييد مجموعة دول عدم الانحياز فى كافة اللقاءات التى عقدتها تلك المجموعة التى تمثل اغلب دول العالم الثالث ، سواء اكان ذلك فى مؤتمر القمة الذى عقد فى تونس فى سبتمبر ١٩٧٠ ، او فى مؤتمر وزراء الخارجية فى جورجتاون فى اغسطس ١٩٧٢ ، او فى مؤتمر القمة الأخير فى الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ . وقد اعربت دول عدم الانحياز فى هذا المؤتمر الأخير الذى سبق حرب رمضان مباشرة عن تاييدها التام للقضية العربية ، واقتناعها العميق بعدالة مطالبهم فى العبارات التالية :

« ان الموقف فى الشرق الأوسط مازال متدهورا . وعناد اسرائيل واستمرار سياستها العدوانية والتوسعية بضم الأراضى ، وممارسة القمع ضد سكان المناطق التى تحتلها بالقوة ، يمثل تحديا للمجتمع الدولى وللأمم المتحدة ولحقوق الانسان ، كما يشكل تهديدا للسلام والأمن العالميين . واذ يذكر المؤتمر بعدم شرعية ضم الأراضى بالقوة ، يطالب اسرائيل بالانسحاب الفورى غير المشروط من جميع الأراضى المحتلة ، ويتعهد بمساعدة مصر وسوريا والأردن على تحرير اراضيها بكل الوسائل . والمؤتمر يعتبر ان استعادة الشعب

الفلسطينى لحقوقه الوطنية شرطا اساسيا لاعادة السلام العادل والدائم فى هذا الاقليم » ..

وبهذا زادت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، بعد ان دمغتها الدول غير المنحازة بالعدوان والتوسع ، وممارسة القمع والبطش والارهاب . وكان كل ذلك بالغ الفائدة للمعركة العسكرية الوشيكة .

④ فى المجال الأوربى :

ودعّمت مصر علاقاتها بالدول الاشتراكية فى اوربا ، وعلى راسها الاتحاد السوفيتى الصديق ، الذى عقدت معه اتفاقية تعاون وصداقة فى مايو ١٩٧١ ، أيد السوفييت بمقتضاها حق مصر فى استرجاع ارضها المحتلة بكافة الوسائل .

اما عن فرنسا فقد كان الجنرال ديجول متفهما لحقائق الصراع العربى الاسرائيلى ، ومدركا أن لفرنسا مصالح عديدة مشتركة مع الدول العربية . وفى ازمة يونيو ١٩٦٧ حدد الجنرال ديجول موقف فرنسا من اسرائيل ، على أساس انها بدأت بالعدوان على الدول العربية ، فقررت الحكومة الفرنسية فرض حظر كامل على بيع السلاح الفرنسى الى اسرائيل . ولم يغير الرئيس بومبيدو موقف فرنسا ، وظل يؤيد ضرورة تطبيق القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، مما ترتب عليه فتور بالغ فى العلاقات الفرنسية الاسرائيلية ، قابله تحسن كبير فى العلاقات الفرنسية العربية .

كما احرزت الدبلوماسية المصرية مكاسب جديدة فى مجال أوربا الغربية ، كان من أبرزها ذلك التحسن الذى طرأ على موقف بريطانيا بعد خطاب وزير خارجيتها السير اليك دوجلاس هيوم فى هاروجيت فى الحادى والعشرين من اكتوبر ١٩٧٠ ، والذى أعلن فيه :

« يجب أن تنسحب اسرائيل من الأراضى المصرية والأردنية الى الخطوط التى كانت عليها قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧ ، وأن تتخلى عن احتلال هضبة الجولان بسوريا » .

وفى نفس المجال طرأ تحسن نسبى على موقف المانيا الغربية ازاء القضية العربية ، وخاصة بعد اعادة العلاقات الدبلوماسية معها فى الثامن من يونيو ١٩٧٣ .

وهكذا تأكدت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، واصبحت معظم الدول شرقا وغربا تدمغها بالعدوان والتوسع ، وتطالبها بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، واحترام حقوق شعب فلسطين ٠

وكان ذلك انجازا للدبلوماسية العربية فى طريق تهيئة المناخ الدولى لتقبل المعركة العسكرية الوشيكة ٠٠

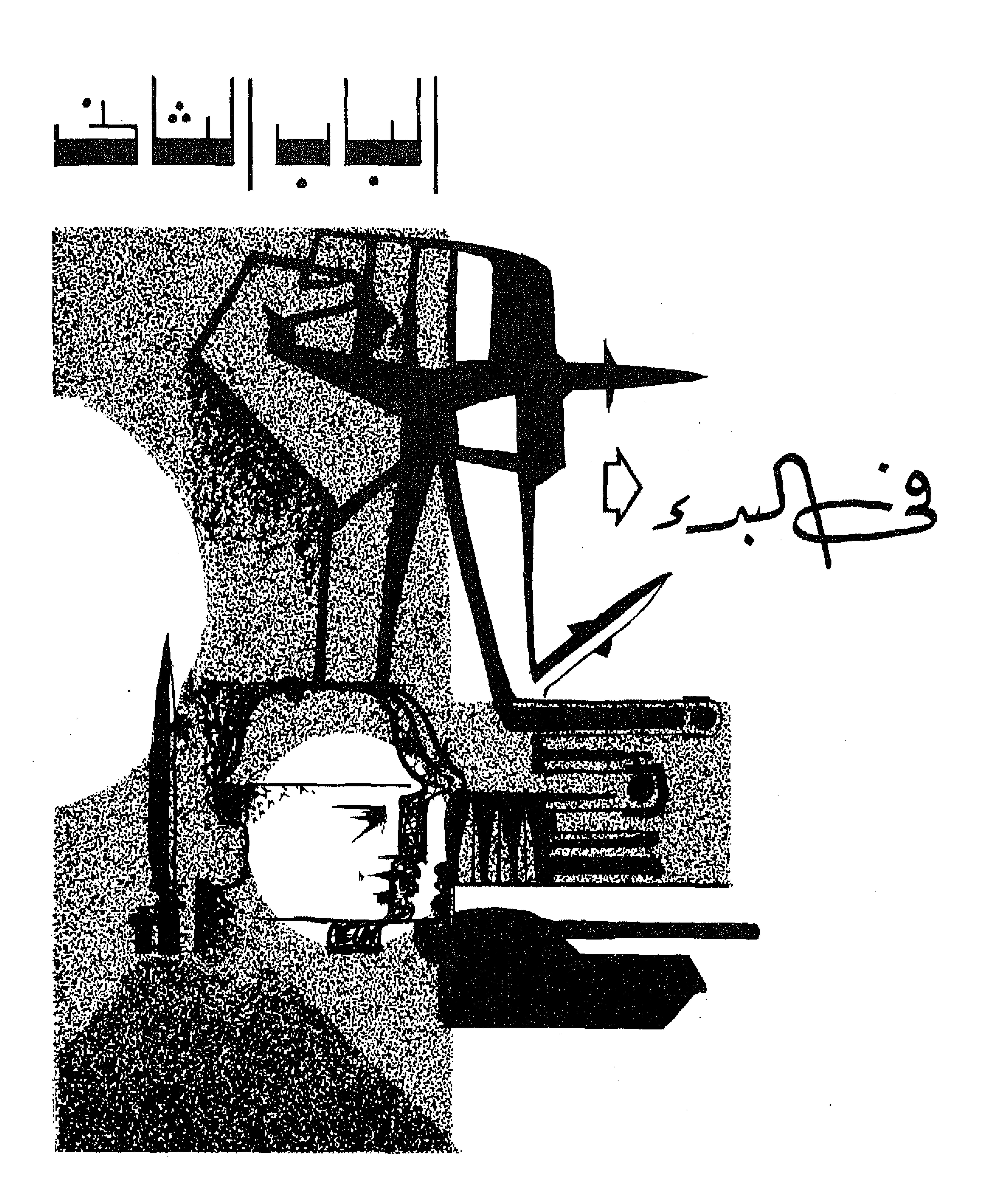
٥ فى المجـال العـربى :

ولم يكن لكل هذه الجهود الدبلوماسية العريضة ان تثمر ثمرتها المرجوة دون تهيئة الجو المناسب للمعركة فى المجال العربى ، فأقيمت دولة اتحاد الجمهوريات العربية فى السابع عشر من أبريل ١٩٧١ ، وأعلنت الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا فى التاسع والعشرين من أغسطس ١٩٧٣ ، وعقد اجتماع القمة لدول المواجهة فى العاشر من سبتمبر ١٩٧٣ ، ووطدت مصر علاقاتها الأخوية مع المملكة العربية السعودية الشقيقة ، وباقى الدول والامارات العربيـــة المنتجة للبترول ، حتى يتم النجـاح الذى أحرزته مصر فى توطيد جو المصالحة والتعاون فى العـالم العربى من المحيط الى الخليج ٠ وكانت سياسة مصر هي التعامل مع كافة الدول العربية الشقيقة بكل الصـداقة والتقـدير والمحبة ، دون تفرقة بينها ٠ كمـا كان لزيارة الرئيس السادات للشقيقات العربية قبل المعركة كل الفضل فى أن تحققت المنى بمجرد أن بدأت حرب رمضان ، وظهرت أمة العرب فى أمجد مواقفها ، وفازت باحترام العالم وتقديره ، وأسهمت فى تدعيم المعركة غاية الاسهام ٠٠

هكذا أصبح الضمير العالمى فى أشد لحظات تعاطفه مع العرب ، وتفهمه لعدالة قضيتهم ٠ ثم دخل العرب أروع أيامهم فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، فجعلوا بفضل الله كلمتهم هى العليا ، وحطموا نظريات وأقاموا محلها نظريات ، وغيروا الخريطة السياسية للشرق الأوسط ، وأصبحت الأمور بعد ٦ أكتوبر المجيد جد مختلفة عنها قبلها ٠٠

وكان وراء ذلك قصة لا بد من سردها من البدء ٠٠٠

الباب الثالث



فى البدء

◆ ان حرب رمضـان وان نشبت فى اكتـوبر ١٩٧٣ ، الا أن بدايتها لم تقع فى السادس من ذلك الشهر ، بل سبقته بأكثر من ست سنوات ٠

والنصر الذى حققته القوات المسلحة العربية لم يكن وليد ذلك اليوم وحده ، كما لم يأت صـدفة أو بضربة حظ عارضة ، بل انتزعه العرب بالجهد والعرق والدم ، عن طريق النضال الطويل ٠ لهذا لم يعد صوابا أن نقصر الحديث عن السادس من اكتوبر وما تلاه من أيام نضال ، بل صار لزاما كيما تكتمل الصورة أن نعود الى الوراء ، لنستعرض كل احداث تلك الحقبة الطويلة التى تلت الخامس من يونيو ١٩٦٧ ٠

ففى الجولة الثالثة منيت قواتنا المسلحة بمحنة اليمة ، اذ وجدت نفسها فى معركة غير متكافئة ، وفرض عليها صراع دون فرصة للقتال ٠٠٠ فكان ان هزمنا انفسنا وسلمنا للعدو نصرا لا يستحقه ، لقمة سائغة له ٠٠٠

انها قصة النكسة ٠٠ وقد كانت آثارها على القوات المسلحة العربية بالغة العنف ، فصمم الكافه على أن ياخذوا منها العبرة ، واقسموا الا ينكرر الحدث الكئيب أبدا ٠٠٠

وحفلت الفترة بين يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ بالجهود الشريفة للعبور من ظلام الهزيمة الدامس الى ضوء النصر الساطع ، قبل أن يبدأ العبور من ضفة القناة الغربية الى ثرى سيناء الحبيبة ...

وامتلات هذه الفترة بالأحداث الجسام والأعمال العظام .. كما اشتملت على الكثير من البطولات والتضحيات ، والنماذج المشرفة للبذل والفداء والعمل الصامت الدؤوب .. لم يكن فى الامكان الحديث عنها وقتئذ .. فالويل للمغلوب .. وقد آن الأوان للكشف عن بعض هذه التضحيات والبطولات ، حتى تأخذ حقها من البحث والدراسة . بالقدر الذى يبرز وزنها الحقيقى ..

لقد أعادت القوات المسلحة البناء من الأساس نفسيا ومعنويا وماديا . وفى الوقت نفسه كانت تواصل التدريب الشاق والتخطيط الجاد لخوض معركة حتمية ، تستعيد بها كرامتها ، وتحرر بها ما اغتصبه العدو من أرضها وحقوقها فى حربه الخاطفة .. كل ذلك وأعمال القتال نشطة بين القوات المسلحة الاسرائيلية ، التى حاولت ايقاف أعمال البناء ، والقوات المسلحة المصرية التى صممت على اعادة بناء قوتها الذاتية .. وقد وفقنا الله الى اتمام هذا العمل الضخم فيما لا يزيد عن ست سنوات .. بينما كان خبراء الحرب ومنهم الجنرال أندريه بوفر يقدرها بما لا يقل عن جيل من الزمان .. وقدرها الجنرال موشى ديان بما لا يقل عن جيلين ، قبل أن تقوم للعرب قائمة ، أو تكتمل لهم قوة حربية يؤبه بها .

ويمكن من واقع السجل التاريخى والأحداث الموضوعية لفترة السنوات الست السابقة على حرب رمضان أن نجزئها الى أربع مراحل رئيسية هى :

مرحلة الصمود : من يونية ٦٧ الى أغسطس ٦٨

مرحلة الدفاع النشط : من سبتمبر ٦٨ الى فبراير ٦٩

مرحلة الاستنزاف : من مارس ٦٩ الى اغسطس ٧٠

مرحلة ايقاف النيران : من أغسطس ٧٠ الى اكتوبر ٧٣

لقد توقفت النيران بمبادرة روجرز فى اغسطس ١٩٧٠ ، وظلت صامتة حتى انطلقت فى هدير عظيم عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . وكان لكل مرحلة من تلك المراحل هدفها وسماتها وانجازاتها وبطولاتها .. بما يطول شرحه لايفائه كامل حقه ، ولكننا سوف نوجز فيما يلى محتوى تلك المراحل

بالقدر الذى يخدم السرد ، ويكشف عن الحقيقة الضائعة بين ارهاصات الدعاوة الصهيونية الماكرة ، واكاذيب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ٠

بدات مرحلة الصمود فى يونيه ١٩٦٧ ، واستمرت حتى اغسطس ١٩٦٨ ، وكان الهدف الرئيسى منها هو الالتزام بنوع من الهدوء لاتاحة الفرصة لاعادة البناء بعد رفع الانقاض باسرع ما يمكن ، الى جانب تجهيز الدفاع عن جبهة القناة ٠

ومن التوافق الغريب حقا ان يتولى اللواء احمد اسماعيل على (القائد العام للقوات المسلحة الحالى) قيادة الجبهة اعتبارا من الساعة ٥٠٠ يوم اول يوليو ١٩٦٧ ٠

ورغم الالتزام الشديد بايقاف النيران ، الا ان تلك الفترة شهدت بعض الملاحم البطولية التى ادارتها قواتنا المسلحة ، بما كان متيسرا لديها من افراد واسلحة ومعدات قليلة ، فكانت أول تلك الملاحم معركة راس العش ، وهى باكورة المواجهة الحقيقية بعد يونيو ٦٧ ، التى تكشف عن معدن المقاتل المصرى ٠٠ حيث تقدمت قوة مدرعة اسرائيلية فى الساعات الأولى من صباح أول يوليو ٦٧ ، وغرور النصر الرخيص يملأ جوانحها ٠٠ تقدمت من الجنوب لاحتلال بور فؤاد فى الشمال ، فتصدت لها فصيلة من القوات الخاصة ، لا يزيد أفرادها عن ثلاثين مقاتلا مزودين بالأسلحة الخفيفة ، ولقنّت العدو درسا كانت خلاصته أن النصر الرخيص الذى اغتصبه قبل عشرين يوما فى غفلة من الزمن هو استثناء لن يتكرر أبدا ٠٠ وتمكن الرجال بأسلحتهم الخفيفة من ايقاف هجوم المدرعات الاسرائيلية ، وكبدوها خسائر فادحة مما أجبر العدو على النكوص عن محاولة استثمار مكاسبه فى يونيه ١٩٦٧ ٠٠ ولم يجرؤ بعدها ، وعلى امتداد ست سنوات ، أن يكرر محاولته لاحتلال بور فؤاد الصامدة ٠٠

لقد اثبتت معركة راس العش ان نكسة يونيو ١٩٦٧ لم تؤثر فى ارادة المقاتل المصرى ، وانه قادر على تحقيق النصر اذا ما اتيحت له الفرصة المتكافئة للمواجهة ٠ كما اثبتت ايضا ان الجندى الاسرائيلى ليس تلك الأسطورة التى رددتها عنه الدعاوة الصهيونية الخبيثة ٠٠

وفى الجو قامت النسور المصرية يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ بقصف قوات العدو المدرعة والميكانيكية والمدفعية ٠ وعندما تصدت لها طائرات العدو خاضت معها معركة جوية ٠٠٠ وكانت تلك الملحمة فى السماء مفاجاة تامة للعدو ، الذى كان الصلف قد اخذ به كل ماخذ اثر ضربته الجوية المركزة التى لم يمض عليها أكثر

من شهر الا قليلا ، ولم تفرغ الدعاوة الاسرائيلية عن الطنطنة لها والتأكيد للعالم اجمع أن قوات مصر الجوية لن تقوم لها قائمة فى المستقبل المنتظر ٠٠٠ ولهذا كانت الملحمة الجوية التى أدارها نسورنا البواسل يوم الرابع عشر من يوليو ١٩٦٧ مباغتة كاملة للعدو ، فر على اثرها جنوده مذعورين الى الخلف وقد تركوا مواقعهم رعبا وهلعا ٠٠٠

وفى البحر كان اغراق المدمرة (ايلات) ـ نصف قوة الأسطول الاسرائيلى من المدمرات ـ يوم الحادى والعشرين من أكتوبر ١٩٦٧ ملحمة أخرى ، ولكن هذه المرة فوق الأمواج ٠٠ فقد قام أحد لنشات الصواريخ المصرية بتحطيم تلك المدمرة وغيبها فى اليم ، لاجترائها على اجتياز مياهنا الاقليمية شمال شرق بور سعيد ٠٠

كانت تلك الملحمة فوق الأمواج أولى معاركنا البحرية بالصواريخ ٠٠٠ كما كانت أولى معارك الصواريخ البحرية فى التاريخ ٠٠٠ وقد ترتب عليها تغيير الكثير من النظريات البحرية العالمية ٠٠٠

ثم بدات مرحلة الدفاع النشط فى سبتمبر ١٩٦٨ ، واستمرت حتى فبراير ١٩٦٩ ، واتسم الصراع فيها بالتراشق بالنيران لفترات طويلة وبكثافة عالية ٠٠ واثمر ذلك فى تقييد حرية العدو فى التحرك والمناورة والاستطلاع ٠٠ كما تكبد العدو خسائر متزايدة فى الأفراد والأسلحة والمعدات ٠٠

بدات معارك المدفعية فى سبتمبر ١٩٦٨ ، وزادت خسائر العدو ، فاسرع يقيم التحصينات وينشىء الملاجىء والمخابىء ٠٠ وقامت المدفعية بتدمير بطاريات الصواريخ ارض / أرض القصيرة المدى التى اقامها العدو فى مواجهة مدينتى الاسماعيلية والسويس وباقى قرى منطقة القناة ، لتنفيذ مخططه بتدمير تلك المدن والقرى ٠

وحاول العدو التدخل بالطيران ضد مدفعيتنا ، ولكنه فشل لبراعة اخفاء مواقعها ، ومرونتها فى الحركة والمناورة بنيرانها ٠٠ ومن هنا بدأ العدو يخطط لاقامة خط تحصينات قوية على طول مواجهة القناة ٠٠ وكان ذلك ايذانا بمولد خط بارليف الأول ٠٠

ونجح العدو فى اقامة هذا الخط رغم ما تكبده من خسائر ٠٠ مستفيدا من سيطرة قواته الجوية فى ذلك الوقت ، ومن اضطرارنا الى تخفيف نيران مدفعيتنا ، حيث كان العدو يرد على قصفنا لمواقعه بقصف مدن وقرى منطقة القناة ٠٠ وبدا

تاثير نيران مدفعيتنا يقل نسبيا مع زيادة تحصينات خط بارليف ·· وهنا راحت قواتنا تبتكر وتستحدث لتدمير هذا الخط بالكامل ، وايقاع الخسائر فى اشد ما يؤلم العدو ·· جنوده وضباطه ·· فاذا ما كانت الأسلحة والمعدات سهلة الاستعواض من ترسانة الولايات المتحدة ، وبلا مقابل ، فكيف يستعوض الأفراد وخسائره فيهم فادحة !!

ولتحقيق هذين الهدفين معا بدات المرحلة الثالثة وهى مرحلة الاستنزاف فى الثامن من مارس ١٩٦٩ ، واستمرت حتى قبلت مصر مبادرة روجرز ، فصمتت النيران مرة اخرى يوم الثامن من اغسطس ١٩٧٠ ··

بدأت مدفعيتنا يوم الثامن من مارس ١٩٦٩ تقصف الخط بتركيز شديد ·· واستمر القصف فى اليوم الأول لمدة خمس ساعات متواصلة ·

وتوجه صباح التاسع من مارس الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس اركان حرب القوات المسلحة وشهيدها الغالى ، ليرقب عن كثب نتائج هذا القصف ·· وسقط وهو فى أقصى المواقع الأمامية ، ضاربا بذلك أروع مثل فى البطولة والفداء ·· واستمر القصف شبه متواصل الى أن تحطم زهاء ٨٠ ٪ من خط بارليف الأول · ولاحداث الخسائر فى أفراد العدو ·· ولتنمية الروح الهجومية فى أفرادنا وتدريبهم على تنفيذ العبور ·· بدأت عمليات الاغارة على مواقع العدو فى الضفة الشرقية للقناة ، وبالعمق القريب ·· ليلا ونهارا ··

واستهلت قواتنا اعمال العبور بمجموعات صغيرة ، ثم تحولت الى اغارات كبيرة الحجم والهدف ·· وصلت الى السرية ثم أكبر ·· ونجحت اعمال الاغارات ·· وبرز نشاط قواتنا الخاصة وجماعات الاستطلاع والكمائن ·· وتصاعدت انشطة قواتنا القتالية فاصبحت تنفذ ليلا ونهارا ·· وتحولت من مهاجمة اهداف فردية منعزلة الى مهاجمة مواقع حصينة للعدو فى وضح النهار ·· وارتفعت معنويات العرب مع كل عبور ·· وتزايدت خسائر العدو فى الأفراد والمعدات ·· وتميزت تلك الفترة بالاستنزاف المستمر ··

وزج العدو بقواته الجوية بتركيز شديد ضد مواقع الدفاع الجوى فى يوليو ١٩٦٩ ، تمهيدا للتوسع فى قصف القوات البرية المصرية وتنفيذ الاغارات بالقوات الخاصة فى العمق ، ضد بعض الأهداف المدنية المنعزلة ، مثل ابراج خط كهرباء الضغط العالى وما أشبه ·· وحاول العدو مهاجمة بعض مواقع

قواتنا المنعزلة ، كالجزيرة الخضراء ، وساحل خليج السويس ، وجزيرة شدوان ..
وظهرت بطولات لقواتنا وليس هنا مجال سردها .. ولكن يكفى أن نقول أن العدو
لم يحاول تكرار تلك الاغارات مرة أخرى ، لفداحة الثمن الذى دفعه فيها ..

وفى مواجهة ذلك قامت القـوات المصرية بتنفيذ بعض الأعمال القتاليـة
الخاصة ، التى أقنعت العدو ألا امان له ولا أمن طالمـا استمر يغتصب الأرض
العربية ، ويفرض وجوده الكريه فيها ..

وقامت قواتنا البحرية بقصف مواقع العدو فى رمانة وبالوظة على الساحل
الشمالى لسيناء ، وشنت الضفادع البشرية هجوما على ميناء ايلات الاسرائيلى
يوم ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ فأغرقت للعدو ثلاث قطع بحرية داخل الميناء ، ثم كررت
مهاجمة نفس الميناء يوم السادس من فبراير ١٩٧٠ فأغرقت له قطعتين بحريتين
كانتا مكدستين بالمعدات والذخائر .. وكان انفجارهما مروعا ، حطم الكثير من
تجهيزات الميناء ومقدمة البلدة ...

ومع كل هذه العمليات كانت قواتنا الجوية تشب عن الطوق .. وتفاجىء
العدو بين الحين والحين بضربات موجعة ، وتتصدى لطائرات العدو الجديدة من
طراز الفانتوم ، التى نشط العدو بالدعاوة لها ... وفى التاسع من ديسمبر
١٩٦٩ كانت بداية تحطيم الأسطورة ، اذ أسقطت طائرة ميج ٢١ طائرة فانتوم ..
ورسخت ثقة قواتنا الجوية فى نفسها وسلاحها وقدرتها ...

وجن جنون العدو ، وهو المختال بنصره ... وراعه توالى الفشل وراء
الفشل ... بينما قوات العرب تحقق نصرا بعد نصر .. وكان أشد ما يحنق
العدو ويحزنه شعوره بالعجز عن ايقاف أنشطتنا المتلاحقة برا وبحرا وجوا ..
وهداه تفكيره الخسيس الى أن يتجه وجهة أخرى ، لا تفتقر الى الضعة .. فبدأ
يقصف الأهداف المدنية ، لعل ذلك يخفف من ضغط قواتنا عليه ، ويرخى تكتلها
امامه .. ويزعزع ثقة الشعب فى قواته المسلحة ويهز ثباته .. فقصف مدرسة
بحر البقر الابتدائية للأطفال ، ومصنع أبى زعبل المدنى ..

وفشل مخطط العدو الجديد ... فقد ووجه بعملاق ضخم ، تصدى لطائراته
المغيرة بجدارة ومهارة .. هو شبكة الصواريخ المضادة للطائرات ، فركز اهتمامه
نحوها ، وحاول اعاقة بنائها .. وظهرت بطولات رائعة ، واستبان الاصرار الكامل
لرجال الدفاع الجـوى والمهندسين والعمال المدنيين ، الذين اشتركوا فى عملية

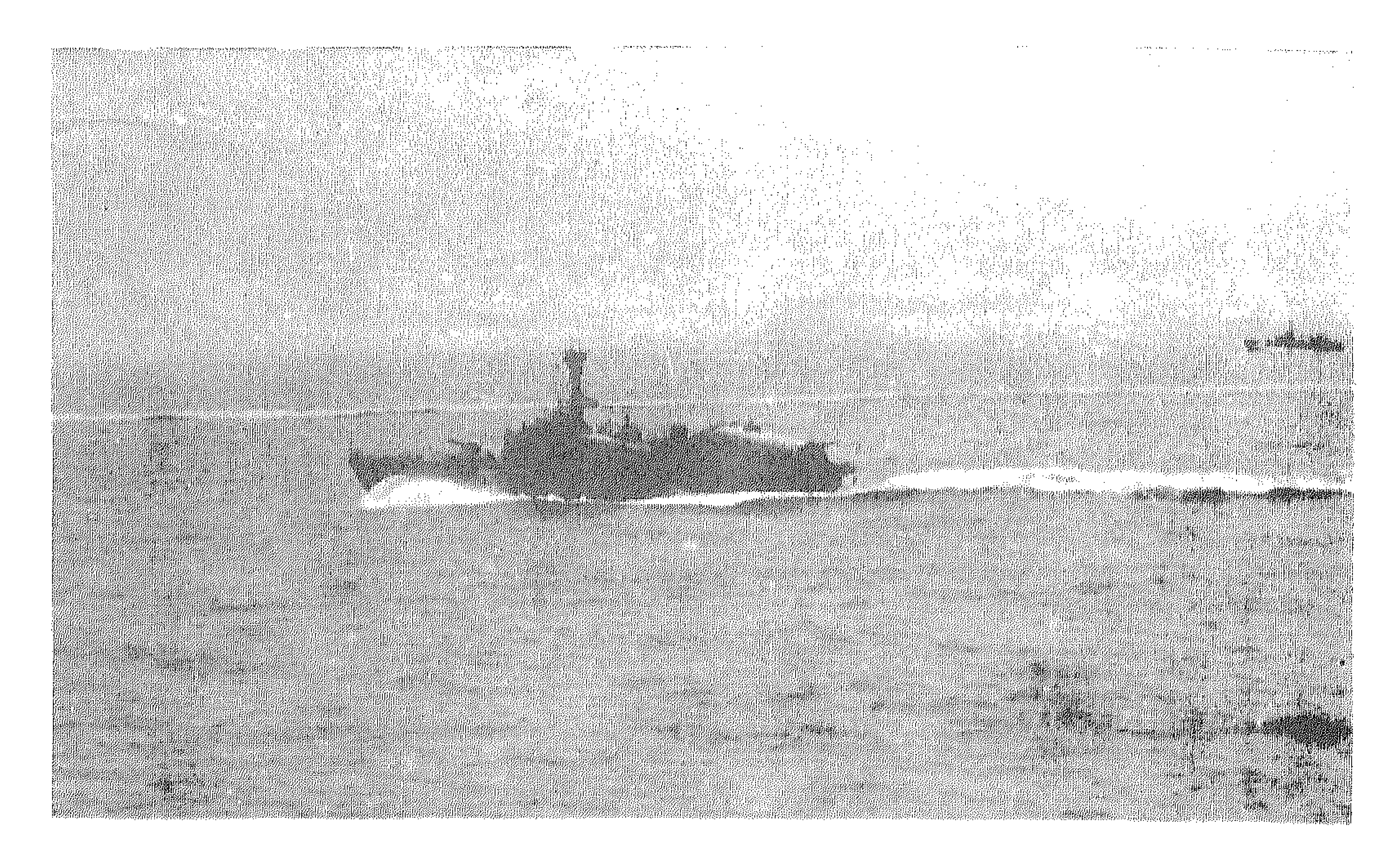
البنـاء ، واستشهد الكثير من العسكريين والمدنيين ٠٠ ولكنهم واصلوا تنفيـذ المهمة ، برغم كل الغارات والقصف المجنون الذى قام به العدو ٠

وبدأت فترة استنزاف طائرات العدو ٠ وتمكنت قوات دفاعنا الجوى من اصابه وتدمير احدى وعشرين طائرة معادية خلال شهر واحد هـو شهر يوليـو ١٩٧٠ ، مما كان له أكبر الأثر فى قبول العدو بالحاح لمبادرة وزير خارجية أمريكا المستر روجرز بايقاف اطلاق النار يوم الثامن من أغسطس ١٩٧٠ ٠

ومنذ هذا التاريخ دخلت مصر مرحلة جديدة ٠٠٠ هى مرحلة العمل فى صبر وصمت ٠٠٠ مرحلة استيعاب دروس حرب الاستنزاف ٠٠٠ مرحلة التخطيط والتجهيز لمعركة العزة والكرامة ٠٠ معركة أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠ حرب رمضان ٠٠



« .. وبدأت عمليات الاغارة على مواقع العدو فى العمق القريب »

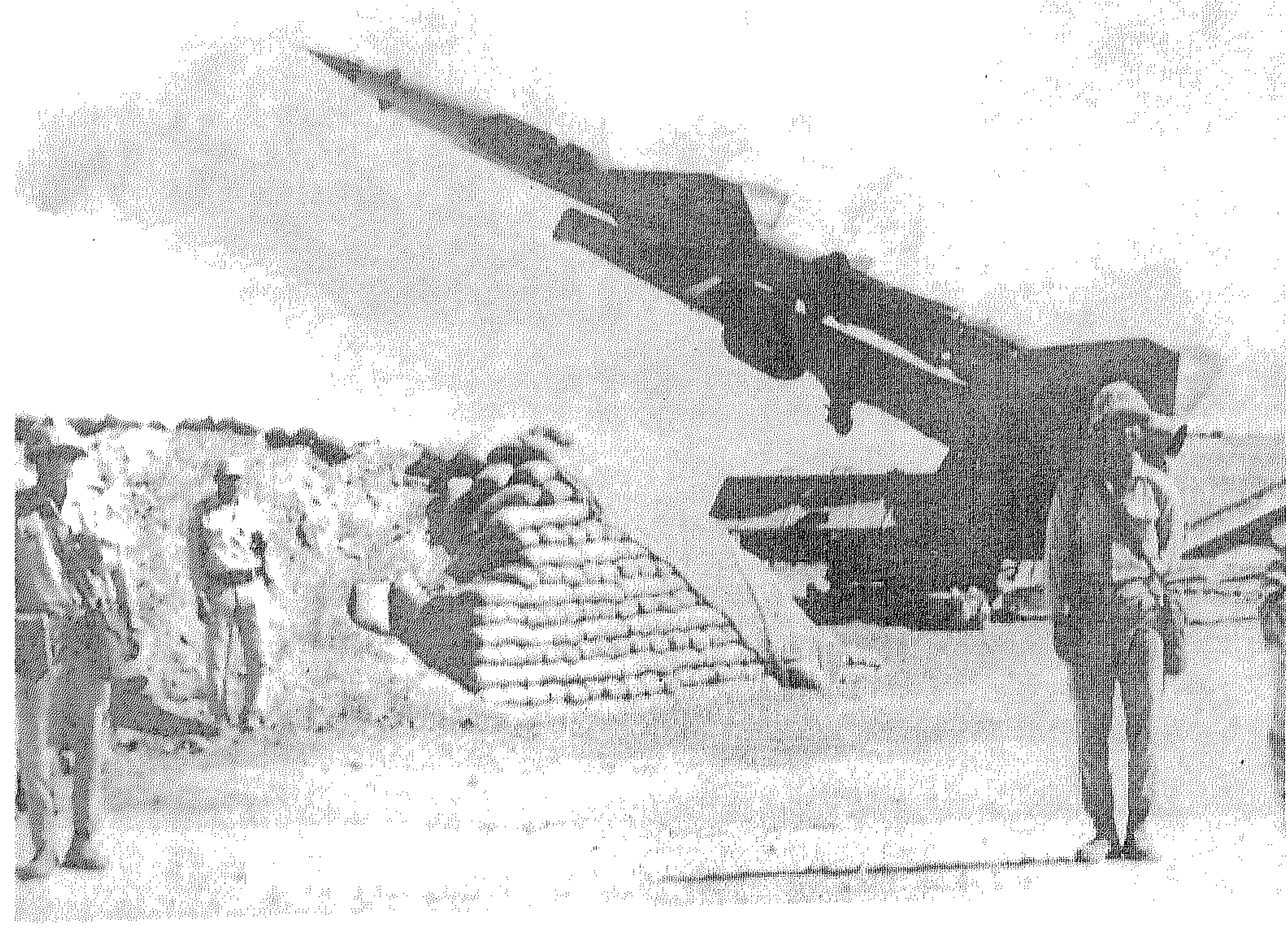


« قام أحد لنشات الصواريخ المصرية بتحطيم المدمرة ايلات فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ »

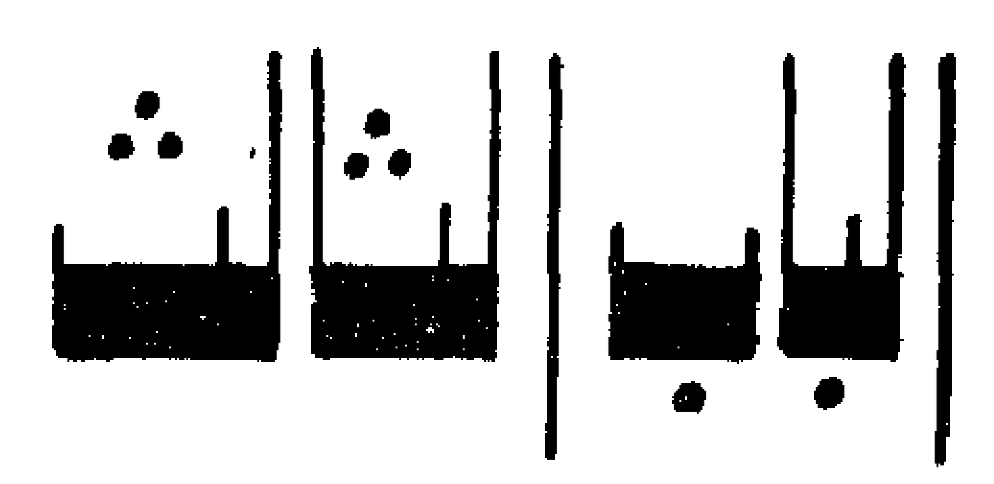
« .. واستهلت قواتنا أعمال العبور بمجموعات صغيرة »



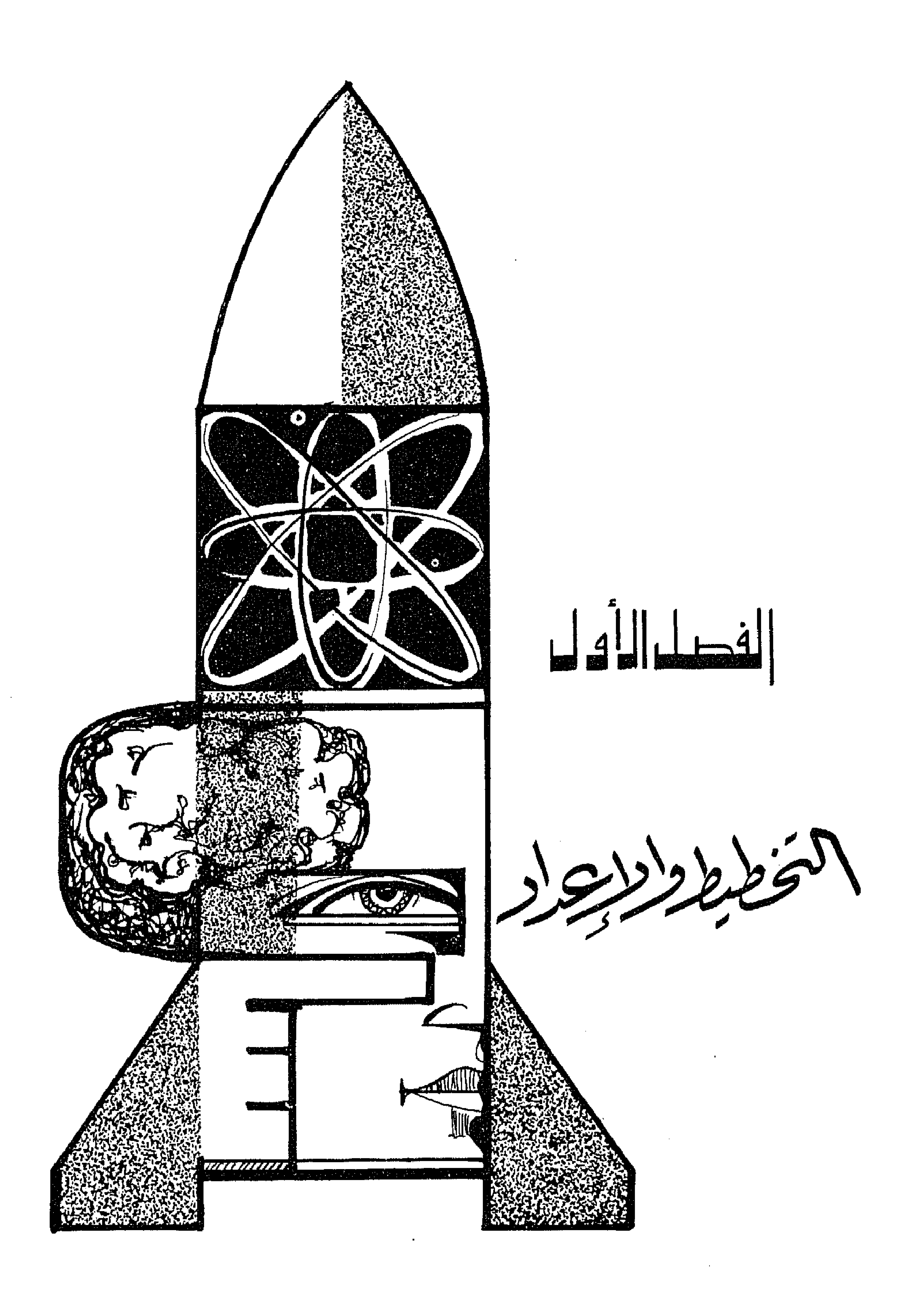
« ٠٠ وقامت القوات المصرية بتنفيذ بعض الأعمال القتالية الخاصة »



« ٠٠ وفشل مخطط العـدو اذ ووجه بعملاق ضخم
هو شبكة الصواريخ المضادة للطائرات »



في صبر وصمت



الفصل الأول

التخطيط والإعداد

التخطيط والإعداد

اللاحرب واللاسلم :

◆ فى أواخر عام ١٩٧٢ كانت مصر قد استنفذت كل الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحريك القضية من مازق « اللاحرب واللاسلم » ، فقبلنا كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ٠٠ وقبلنا كافة المبادرات الدولية ٠٠ وأيدنا مساعى الدول غير المنحازة ، والدول الافريقيــة ، ومبادرة روجرز الأولى والثانية ، ومبادرة يارنج فى فبراير ١٩٧١ ٠٠ بل وتقدم الرئيس السادات بمبادرته الخاصة فى نفس الشهر ، ثم أكدها فى مايو من نفس العام ٠٠ وقبلنا الاقتراح الأمريكى بالمحادثات عن قرب ٠٠ وعقدنا معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٧١ ٠٠

كل ذلك فعلناه لمعالجة تجميد الموقف فى الشرق الأوسط ، وكل ذلك فعلناه أملا فى تحريك القضية والوصول بها الى حل عادل ، وكل ذلك ذهب هباء دون أن نصل الى نتيجة مقبولة ، بينما انصرفت اسرائيل الى استغلال مرور الوقت لتصعيد شروطها المتعنتة ، وسد كل الطرق أمام العرب حتى تبقى ارادتها هى العليــا ٠

وفى الواقع ، فاننا لم نضيع هذا الوقت سدى ، بل قضيناه ونحن ندعم قوتنا ونعمق من تاثير جوانبها العديدة سياسيا واقتصاديا ومعنويا وعسكريا • ولما تحققت لنا أسباب هذه القوة المنشودة كان طبيعيا ان ندرس استخدام العامل العسكرى لكسر الجمود السياسى للأزمة ، وتهيئة الظروف المناسبة والمناخ الملائم لاستخدام باقى جوانب القوة المتاحة لنا •

وكان قرار استخدام العامل العسكرى •• وليد اقتناع القيادة السياسية والعسكرية بأننا لن نخرج من هذه الحالة الا بالقوة المسلحة •• كوسيلة اخيرة لاقناع اسرائيل بعدم جدوى استمرار العدوان ، أو استمرار احتلال الأراضى العربية بالقوة ، أو تجاهل الحقوق المشروعة للعرب الفلسطينيين •

القرار الجرىء

كانت اوجه الإختيار المطروحة أمام القيادة العسكرية المصرية والتى ناقشتها وطرحتها للبحث والمقارنة والتفضيل تنحصر فى مجالى عمل محددين هما :

- العودة الى حرب الاستنزاف •
- القيام بجهد عسكرى يفوق مستوى حرب الاستنزاف •

وانتهت المناقشات المستفيضة الى ان حرب الاستنزاف قد استنفذت اغراضها خلال الفترة التى مارسناها فيها من قبل ، كما أن اسرائيل لن تقبل بالعودة اليها لعدة عوامل وقيود عسكرية واقتصادية وبشرية معروفة • ولذا فان أى محاولة من جانبنا لفرض حرب الاستنزاف سوف تواجه من اسرائيل ـ ولا شك ـ برد فعل أقوى وأبعد مدى ، وكان ذلك يعنى أننا كنا امام احتمال قيامنا بعمليات صغيرة يقابلها العدو برد فعل كبير ، يزيد كثيرا عن قيمتها السياسية والعسكرية •

وهكذا استبعدت حرب الاستنزاف باشكالها المختلفة ، والتى كانت تشتمل على تراشقات بالمدفعية وغارات بالقوات الجوية واغارات القوات الخاصة والقوات البرية والقوات البحرية ، وغير ذلك من الأعمال المشابهة •

وبقى امامنا أن نفكر فى القيام بجهد عسكرى أكبر ، وان نحدد نوع هذا الجهد ومداه ، بحيث يساوى على الأقل تعرضنا لرد فعل كبير من العدو • وبمعنى آخر فلتكن ضربتنا ضد العدو كبيرة بينما نتأهب فى نفس الوقت ونكون على تمام الاستعداد لصد ضربة العدو المضادة ، التى سوف يوجهها يقينا ، ومهما كانت حدود واتجاهات ضربتنا ••

ولذا تقرر أن تكون ضربتنا ضد العدو شاملة • وكان انشاء القيادة العسكرية لدولة الاتحاد اضافة جديدة للموقف •• اذا فتحت مجالات لأن تكون هذه الضربة مشتركة من جبهتين ، وأنشئت هيئة عمليات للقيادة العامة الاتحادية تعين اللواء بهى الدين محمد نوفل رئيسا لها ، وقام بمهام التنسيق وتنظيم التعاون المشترك •

واتخذ القرار السياسى باستخدام القوة العسكرية ، كما استعدت القوات المسلحة لشن عمليات تعرضية رئيسية ضمن اطار استراتيجية شاملة ومباشرة ، يكون الدور الرئيسى فيها للقوات المسلحة ، بغرض تغيير موازين الموقف السياسى والعسكرى فى الشرق الأوسط ، وتهيئة الظروف المناسبة لاستخدام باقى أوجه القوة المتوفرة للعرب •

ولم يأت هذا القرار السياسى الجرىء نتيجة أفكار عشوائية أو ضغوط نفسية ، بل جاء نتيجة معرفة واقعية بأن الوقت هو أفضل وقت ، وأن أغلب – ان لم يكن كل – أبعاد الواقع المحيط بصانع القرار تبدو مناسبة ، بل وملحة ، لتحقيق الهدف المنشود •• وكانت واقعية هذا الهدف شديدة الارتباط بواقعية الرؤية الشاملة للظروف المحيطة به ، والعوامل التى تسمح بتحقيقه أو تعترض سبيله •

لهذا كله حدد صانع القرار قراره العظيم بما يناسب هذه الظروف جميعا ، فجاء مناسبا تماما ، فلا هو يعلو عليها فيلهو به فراغ اللا واقع ، ولا هو يهبط دونها فيردمه الواقع بركامه •

ومن خلال نظرته الموضوعية الفاحصة للظروف المحيطة ، وتجاربه العريضة عبر الجولات العربية الاسرائيلية ، وعبر السياسة المصرية والعربية ، وعبر صور الأزمة النفسية التى خلفتها هزيمة ١٩٦٧ ، وتحت الاصرار على بلوغ الهدف ، حدد صانع القرار قرار الحرب ، وبيّن الاطار والأسلوب وفسحه التنفيذ والهدف المنشود ، فجاءت كلها شديدة التناسق مع متطلبات النجاح •

وحدد الهدف العسكرى ليكون هزيمة تجميع قوات العدو الاسرائيلى فى سيناء والهضبة السورية والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهىء الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الأراضى المحتلة بالقوة المسلحة ، لفرض الحل السياسى العادل للمشكلة •

وبناء على هذا الهدف الواضح كان على القيادة العامة المصرية أن تخطط للقيام بعملية هجومية استراتيجية مشتركة ، تنفذ بالتعاون مع القوات المسلحة السورية ، وتقوم فيها مصر بالاقتحام المدبر لقناة السويس وتدمير خط بارليف ، والاستيلاء على رؤوس كبارى بعمق ١٠ ـ ١٥ كيلو متر على الضفة الشرقية للقناة ، وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة ، وصد وتدمير هجمات وضربات العدو المضادة ، والاستعداد لتنفيذ أى مهام قتالية أخرى تكلف بها فيما بعد • أما سوريا فتشن الهجوم وتخترق دفاعات العدو بالجولان وتجزىء تجميعه وتدمر قواته وتصل الى الخط ـ نهر الأردن ، الشاطىء الشرقى لبحيرة طبرية ـ •

وبدأت القيادة العامة عملا طويلا شاقا ، فأجرت العديد من التقديرات والدراسات ، ووضعت فى الاعتبار جملة عناصر أساسية لا غنى عنها لبلوغ النجاح ، وتحقيق التخطيط الحاذق والتنسيق الوثيق ، كان أهمها :

❶ دقة تحليل نظرية الأمن الاسرائيلى ، وتحديد جوانب القوة والضعف فيها •

❷ دراسة الظروف الطبوغرافية والجوية للمعركة القادمة لانتخاب أفضل الأوقات لادارتها من وجهة النظر العربية •

❸ دراسة المزاج النفسى للقيادة العسكرية الاسرائيلية ، والأسلوب المتوقع منها للتصرفات وردود الفعل •

❹ جمع المعلومات الدقيقة عن العدو ، ودراسة نظامه الدفاعى على قناة السويس ، وتقييم قدراته تقييما واقعيا ، دون تهويل أو تهوين •

❺ انتخاب الأسلوب المناسب لاعداد وتنظيم القوات المسلحة المصرية بما يتلاءم وطبيعة المهام الصعبة التى سوف تواجهها •

❻ التركيز الكامل على وسائل توفير النجاح ، وعلى رأسها تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية ، مع حسن استغلال العوامل السياسية والعسكرية المحيطة بالموقف •

العوامل

كان الهدف الأول أمام المخطط العسكرى المصرى هو اهدار نظرية الأمن القومى الاسرائيلى القائمة على أكذوبة « الحدود الآمنة » ، وحتمية الاحتفاظ بالمبادأة « والقدرة على الردع » ، وضرورة مواجهة العرب فرادى ، وضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته فى كل وقت •

ويرتبط مفهوم « ضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته فى كل وقت » بطبيعة نشأة وتطور اسرائيل فى الشرق الأوسط ، فالنزاع الذى ترتب على تلك النشأة لم يأت نتيجة تفاعلات على قمة النظام الدولى ، ولكنه ارتبط بها نتيجة طبيعة نشأة وتطور الطرف الاسرائيلى فيه ، وكونه جسما دخيلا بغيضا ، لا يستطيع منفردا أن يواجه العملاق العربى الذى لا شك سوف يلفظه خارج أرض العرب ••

ومن هنا كان لا مناص أمامه منذ البداية أن يرتبط عضويا ـ كأى كائن طفيلى ـ بجسم آخر قوى ، كى يستمد منه أسباب الأمن والحياة ، الى أن ينتشر فى المنطقة ويتشعب فى حناياها وشعابها ، فيسيطر على أهم أعضائها وأطرافها ••

★ ويتبلور مفهوم الحدود الآمنة فى الفكر العسكرى الاسرائيلى فى ضرورة تأمين المجال البرى والجوى والبحرى لاسرائيل بضم مساحات واسعة من الأراضى والمياه العربية التى تحقق :

1. الاستناد على مانع طبيعى منيع ، يحرم الدول العربية القدرة على القيام بأى تحرك عسكرى ، وفى نفس الوقت ، يسمح لاسرائيل بحرية العمل الهجومى ضد أى دولة عربية •
2. أن يقع هذا المانع بعيدا عن قلب اسرائيل ، بحيث يوفر لها عمقا استراتيجيا يضمن لها المزيد من الأمن ، ويفسح لقواتها مجالات أرحب لحرية العمل والمناورة ، بما يؤمن « اسرائيل » ويهدد عمق الدول العربية •
3. أن يمكن الدفاع عن هذا المانع بأقل قدر من القوات التى تستطيع باستغلال المانع أن توقف هجوم العرب لأطول مدة ممكنة ، حتى

تتــاح الفرص الكافيــة لتعبئة القــوات الاحتياطية الاسرائيليــة ، وتحريكها من العمق صوب أماكنها المجهزة لها مسبقا في الخطة العامة على جبهتى سيناء والجولان ٠

٤ أن يكون المــانع من القوة والضخامة بحيث يحقق تاثيرا نفسيا كبيرا على القوات العربية المواجهة ، وان يولد لديهم شعورا بالعجز والياس مع توالى الزمن ٠

ومن الواضح أن مفهوم الحدود الآمنة في قاموس اسرائيل ينبع أســاسا من فكر توسعى عدوانى ٠ اذ كلما زادت أراضى الدوله اتساعا زادت حاجتهــا الى نقل حدودها الى أرض جديدة على حساب جيرانها ، الأمر الذى لا يمكن أن يقف عند حــد معين . أو يحكمه منطق عاقل كما أكده الجنرال الفرنسى أندريه بوفر الفيلسوف الاستراتيجي الشهير ، ونوه عنه كل من السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ، والمستر جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى ٠

* اما عن مفهوم « القدرة على الردع » أو كما اطلق عليه بعض زعماء وقادة اسرائيل تعبير « اليد العليا » و « الذراع الطويلة » ٠٠ فهو قائم على عدة عناصر ياتى فى مقدمها :

١ رفض الانتظار لحين وقوع الضربة الأولى من الجيوش العربية ، ايمانا بفكرة « الضربة المسبقة » ، والتى تفترض توفر القدرات الكفيلة بكشف النوايا العربية مبكرا فى الوقت المناسب ، بواسطة جهاز مخابرات ممتاز ، يتعاون مع اجهزة المخابرات الأجنبية الغربيــة ، ويعتمد عليها ٠

٢ الاعتماد على القــوات الجــوية المتفوقة ٠ والتى تمثــل أداة الردع الرئيسية ، المزودة بأحدث واقوى الطائرات الأمريكية ذات المــدى البعيد ، القادرة على تهديد أعمق أعماق الدول العربية ٠

٣ تدمير أى هجــوم عربى فى كل مراحله بــل فى ســاعاته الأولى ، بضربات برية مركزة بقوات مدرعة كثيفة ، على درجة عاليــة من الكفاءة القتالية ٠

والى جانب هذه المفاهيم الرئيسية لنظرية الأمن الاسرائيلى فقد اهتمت اسرائيل اهتماماً بالغاً بتأمين مواصلاتها البحرية مع شرق أفريقيا وجنوب وشرق آسيا بصفة كونها مصدرها الرئيسى من المواد الخام ، وخاصة البترول ٠ وتخيلت اسرائيل أنه يكفيها لتأمين هذه المواصلات أن تتمسك بمنطقة شرم الشيخ المصرية وترفض التخلى عنها ، مع فرض سيطرتها على الساحل الغربى لخليج العقبة حتى ايلات ٠

ولاهدار نظرية الأمن الاسرائيلى ، حددت القيادة المصرية عدة اتجاهات رئيسية بنت عليها خطتها ، كان أهمها :

١ حرمان العدو من تفوقه الجوى ، وذلك بانشاء نظام دفاع جوى حديث وقوى يستطيع شل قدرة طيران اسرائيل ، ويعمل على استدراجه الى مناطق قتل بالصواريخ والمدافع ، مع اتخاذ كل الاجراءات اللازمة لضمان قدرة القوات الجوية المصرية على البقاء والعمل طوال الحرب ، بحيث تشكل تهديدا مستمرا للعدو ٠

٢ حرمان العدو من التمتع بمزايا توجيه الضربة الأولى ، وذلك بمفاجأته ومباغتته تماما ، وعلى كافة المستويات ، وسبقه فى توجيه الضربة الأولى ٠٠ وفى نفس الوقت ، وضع المخطط المصرى نصب عينيه أن هناك احتمالا ــ ولو ضئيلا ــ فى أن يكتشف العدو نية هجومنا مبكرا ٠

٣ حرمان العدو من القدرة على توجيه ضربات مضادة قوية بقواته المدرعة فى المراحل الأولى للهجوم ، وذلك بفرض المعركة على العدو قبل اتمام استعداد قواته واستكمال حشدها ، مع استغلال نتائج المفاجأة ، وحالة الارتباك التى سوف تسود قياداته ، وما يترتب على ذلك من اتخاذ قرارات سطحية دافعها العجلة بلا تخطيط مسبق ٠

وفى الوقت نفسه تقوية الدفاع المضاد للدبابات لقواتنا البرية المهاجمة ، وخاصة فى الأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ٠

٤ اقناع العدو بعدم جدوى وجوده العسكرى فى شرم الشيخ ، وانعدام فائدة تمسكه بها ، وذلك بقفل الطريق الوحيد لامداد اسرائيل بالبترول من ايران ، بفرض الحصار البحرى على باب المندب والبحر الأحمر ، وكذا اغلاق خليج السويس لايقاف اغتصابها لبترول سيناء ٠

وكان الهدف الرئيسى من ذلك كله هو اقناع اسرائيل والعالم اجمع أن وجودها فى شرم الشيخ ليس هو الحل المثالى لتأمين الملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر ، وأن الضمان الوحيد لذلك هو تحقيق السلام العادل فى منطقة الشرق الأوسط ٠

٥ حرمان اسرائيل من ميزة الاستناد على موانع طبيعية وصناعية قوية ، وذلك بالتخطيط الدقيق والاعداد المسبق والتدريب الشاق على اقتحام قناة السويس بالقوة ، وتدمير تحصينات خط بارليف الاسطورية المقامة على ضفتها الشرقية ، وتوفير كل مقومات النجاح لهذا العمل الفذ ٠

وكانت ركائز النجاح أمام هيئة التخطيط المصرية هى
ثقة بالله ليس لها حدود ، وثقة بعدالة القضية ، وثقة بأصالة المقاتل العربى ، وثقة بصلابة الجبهة العربية ٠٠

واحتلت دراسة الفكر العسكرى الاسرائيلى مكانا هاما فى تقديرات جهاز التخطيط بالقيادة العامة المصرية ٠ وكانت تلك الدراسة العميقة لمفاهيم الفكر العسكرى الاسرائيلى ، ومعتقداته وقوالبه ، وأنماط تصرفاته ، هى حجر الزاوية فى تحديد العوامل المؤثرة على تحقيق المفاجأة ، والمنطلق المناسب لامكان خداع العدو ومباغتته ، وادارة الأعمال التحضيرية والتنفيذية بشكل لم يألفه العدو من قبل ٠

وكان الغرض من هذه‌الدراسة هو تحديد الاتجاهات الفكرية للعسكرية الاسرائيلية للوصول الى أفضل السبل لاستغلالها بما يحقق نجاح العملية الهجومية ٠ ونتيجة لهذه الدراسة برزت المعالم الآتية للفكر العسكرى الاسرائيلى :

١ تعانى القيادة الاسرائيلية من ثقة مفرطة بالنفس تتجاوز حد المعقول الى متاهات الغرور الأحمق فى قدرتها على ردع وارهاب العرب ، وبث الخوف فى نفوسهم ، بما يشل قدرتهم على العمل ٠ كما تخيلت هذه القيادة أنها قادرة على ترويض العرب واخضاع العقلية العربية ـ ذات الأصالة والتاريخ العريق ـ لمفاهيم معينة ٠

٢ ومنذ عام ١٩٦٧ واسرائيل تطلق دعاوتها عن تفوقها على العرب ، وتؤكد بوجود فجوة حضارية كبيرة ، وفارق تكنولوجى ضخم ٠ وتصور العربى كانسان ضعيف القدرة على العمل الجاد ، أو التخطيط المنسق السليم ٠

وعلى ذلك فان مجرد الزعم بالقدرة على التخطيط لاقتحام مانع مائى مثل قناة السويس ، واختراق خط حصين مثل قلاع بارليف أنما هو امر يستحيل على العرب انجازه ، اذ يصعب تحقيقه على أكثـر الجيوش تقدما ، وأقواها بأسـا وأحدثهـا تسليحا ، فكيف بالجيوش العربية المتخلفة !

٣ ومن المعتقدات التى ملات أذهان قادة اسرائيل ضعف قدرة القيادة السياسية المصرية على اتخاذ القرار أو ادارة الصراع المحســوب بكفاءة ضمن اطار الموقف الدولى المعاصر والظروف العربية السائدة ٠

٤ ومن ناحية أخرى كانت اسرائيل تعتقد أن الوحدة العربية مجـرد خرافة ، وبالتالى ، فان هجوما شاملا تشترك فيه أكثر من دولة عربية امر بعيد الاحتمال ، ان لم يكن ضربا من الخيال ٠

ان هذه المعتقدات التى عششت فى تلافيف الفكر العسكرى الاسرائيلى قد طمست بصيرته ، وادت بقادة اسرائيل الى استنتاجات خاطئة لا تطابق الطبيعة العربية التى تتمسك بالحق ولا تفرط فيه ، ولا تسـاير النفس العربيـة التى تترسب فى أعماقها مشاعر العزة والكرامة ، والتى ينبض وجدانها بالحياة ويعمر قلبها الايمان ، ويملأ صدرها الاصرار على استرداد الحق والأرض مهما طال الزمن أو تعددت الصعاب ٠ فالحق يعلو ولا يعلى عليـه ٠٠ والعـرب خير أمة أخرجت للناس ٠٠ وسجلهم المشحون بالسؤدد ، الملىء بالفخار ، يمكنه أن يحتمل أقسى النكسات ثم يواصل الحياة الحرة الكريمة ٠٠ ويحقق المعجزات ٠

وقامت القيادة العربية باستغلال هذه المفاهم البالية التى سيطرت طوال ربع القرن المنصرم على العقلية الاسرائيلية المخدوعة ، وصبتها فى قالب من الجمود عكس آثاره السيئة على التفكير الاستراتيجى والتعبوى للقيادة الاسرائيلية ، التى لم تحاول بصدق أن تقترب من العقلية العربية اقترابا كافيا ، بل غرقت فى الأراجيف والأباطيـل التى ذهبت تروجها عن العرب ، حتى صـدقت افكها ، فخدعت نفسها بنفسها ، وضلت طريقها ٠٠ رغم وجود المعاهد التى تدعى لنفسها التخصص فى الدراسات العربية السحيقة والمعاصرة ٠٠

****

وكان العامل الثالث الذى واجهه التخطيط واستوجب عقـد الدراسـات المستفيضة هو تحديد حقيقة قدرات العدو ، ونقط القـوة ومكامن الضعف فى نظامه الدفاعى على قناة السويس ٠

ونتيجة لهذه الدراسة قدرت القيادة العسكرية أن العدو يملك عدة مزايا اساسية أهمها ، استناد نظامه الدفاعى على مانع مائى قوى هو قناة السويس ، وعلى تجهيزات دفاعية حصينة تتحكم فيه وتسيطر على ضفته الشرقية ، علاوة على احتياطيات عديدة من القوات المدرعة والميكانيكية المنظمة فى أنساق متتالية على طول العمق ٠

أما أهم نقط الضعف فى نظامه الدفاعى فكانت طول خطوط مواصلاته ، وطول مواجهة دفاعاته على امتداد القناة ، واضطراره الى الاحتفاظ بقوات عاملة صغيرة نسبيا فى سيناء فى غير وقت الحرب ، ومن ناحية أخرى فان رصيده البشرى لم يكن ليسمح له بقبول الخسائر الكبيرة الأمر الذى جعل وقوعها ذا تأثير حاسم ومباشر على تفكيره وتصرفاته ومعنوياته ٠ وأخيرا ـ وكما سبق القول ـ فهو عدو أصابه الغرور فظن أن تحصيناته على قناة السويس بمثابة مقبرة قد أعدها لجيش مصر ليرقد فيها رقدته الأخيرة ! ٠

وكان لزاما على القيادة المصرية أن تعمل قدر المستطاع على اضعاف أو تجميد نقط قوة العدو واستغلال نقط ضعفه ٠ وعلى ذلك ، استصوبت أن يتم الهجوم المصرى على طول مواجهة القناة (١٧٥ كم) ، بل ومده الى الجنوب من قناة السويس حتى مسافة ١٣٠ كم على امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس ، ودفعه فى عمق سيناء حتى مسافة ٥٠ كم شرقا ، على أن يبدأ كل ذلك فى وقت واحد ٠ فمثل هذا الهجوم الشامل سوف يحقق الآتى :

- يرغم العدو على توزيع ضرباته الجوية الموجهة لقواتنا ، وبذلك يصبح تأثيرها ضعيفا ٠

- يخدع العدو عن الاتجاه الرئيسى لهجوم قواتنا ، وبالتالى يحرمه من تركيز جهود قواته الجوية ضد قواتنا فى هذا الاتجاه أو ذاك ، علاوة على تأخير وارباك ردود فعله على الأرض ، ويؤجل شن ضرباته المدرعة الى أن يتحقق من اتجاه المجهود الرئيسى لقواتنا ودرجة خطورته عليه ٠

وكان معنى قرار القيادة المصرية مهاجمة العدو على امتداد مواجهة دفاعاته هو أن تقتحم القوات المصرية قناة السويس عنوة ، وأن تهاجم قلاع بارليف فيما بين السويس جنوبا وبور سعيد شمالا وتدمرها ٠

وحينما قررت القيادة المصرية ذلك كانت تعلم تماما أن عبور قناة السويس بجيش كبير ، بل بجيشين فى وقت واحد ، بأقصى ما يملكان من أسلحة وعتاد ، وفى وجه مقاومة عنيفة من العدو المتأهب على الضفة الشرقية ، كانت تعلم تماما أنها مشكله ضخمة يصعب حلها ، بل قد تبدو للبعض معضلة بالغة الخطورة أو مستحيلة ٠

فمما أظهره سجل الحروب أن عبور الموانع المائية كان دائما أشق العمليات وأعقدها وأكثرها فداحة فى الخسائر ٠ وكم من جيوش حاولت عبور الموانع المائية قديما او حديثا ففشلت وأصابتها الكوارث ٠ وقد يزعم قائل أن الموانع المائية قد قلت قيمتها بفضل تطور أسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات البرمائية ٠ ولكن قناة السويس مانع فريد ، جد مختلف عن باقى الأنهار والمسالك المائية الأخرى ، التى سبق اجتيازها بالجيوش على مدى التاريخ للأسباب التالية :

❶ يحد القناة شاطىء شديد الانحدار ، مغطى بستائر أسمنتية وحديدية ، تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة ، وهى صفة تنفرد بها قناة السويس عن مختلف قنوات وأنهار العالم ، فيما عدا قناة بنما فحسب ٠

❷ تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر ، فيختلف منسوب المياه تبعا لارتفاعها وانخفاضها عدة مرات فى اليوم الواحد ٠ ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمترا فى شمال القناة ، بينما يزيد هذا الفارق كلما اتجهنا جنوبا حتى يصل الى المترين قرب مدينة السويس ٠ ولمثل هذه الظاهرة أثرها الكبير على تخطيط العبور ، والأعمال الفنية الخاصة باقامة المعديات وانشاء الكبارى ٠

❸ وهناك عامل آخر كان له تأثيره المباشر على تخطيط العبور هو سرعة التيار واتجاهه ٠ اذ تتميز القناة بشدة التيار وسرعته التى تبدأ من ١٨ متر فى الدقيقة فى القطاع الشمالى ، وتصل الى ٩٠ متر فى الدقيقة فى القطاع الجنوبى ٠ وفضلا عن ذلك فان اتجاه التيار يتغير دوريا كل ستة ساعات من الشمال الى الجنوب وبالعكس ٠

❹ ويتراوح عرض القناة بين ١٨٠ ، ٢٢٠ مترا ، أما طولها فيصل الى ١٧٥ كيلو مترا ٠ ويتراوح عمقها بين ١٦ و ١٨ مترا ، وينخفض سطح المياه عن حافة الشاطىء بحوالى مترين ، وبذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات المختلفة ٠٠٠ لا عوما ولا خوضا ولا سيرا على القاع ٠٠٠

ومن الخصائص المميزة لقناة السويس أنه كان يوجد على ضفتها الشرقية ساتر ترابى من ناتج حفرها وتطهيرها ، يتراوح ارتفاعه من ستة الى عشرة أمتار ، وقد أوحى هذا الساتر للعدو ان يستغله فى اقامة خط دفاعى محصن على امتداد القناة ، فقام بتعليته حتى وصل فى بعض القطاعات الى ٢٥ مترا ارتفاعا ٠

وفى جوف هذا الساتر الترابى الكبير أقام العدو عدة نقط حصينة ، بذل فى بنائها جهدا ضخما وأموالا وفيرة ، واستخلص الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة فى علوم التحصينات والموانع وفنونها ، وطبقها على خط بارليف ٠

وقد أراد العدو أن يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة السويس سدا منيعا يحول بين جيش مصر وأرض مصر فى سيناء ، فلم يكتف برفع الساتر الترابى نحـو السماء ، بل قام بازاحتـه غربا حتى لامس حافة القنـاة تماما ، بزاوية ميل تزيد على ٤٥ درجة ، ليضع أمام المقاتل المصرى مزيدا من العقبات ، وأن ينمى فى وجدانه شعورا بالعجز واليأس ٠ ثم أقام داخل هذا الساتر وفوق قمته والى الخلف منه عدة خطوط دفاعية محصنة ، تشكل فى مجموعها منطقة دفاعية من أقوى المناطق الدفاعية التى عرفها التاريخ ٠ وقد أطلق اسم « خط بارليف » على الخط الأول منها ، الذى تكلف انشاؤه ٢٣٨ مليون دولار ، أى ما يقرب من نصف تكاليف السد العالى ٠

ولا تعتبر هذه المنطقة الدفاعية من الناحية العسكرية دفاعا مجهزا فقط ، بل هى منطقة حصينة على امتداد قناة السويس ، من شرق بور فؤاد شمالا حتى رأس مسلة على خليج السويس جنوبا ، وبعمق يمتد الى الشرق حوالى ٣٠ ـ ٣٥ كيلو مترا ، حتى منطقة المضايق ٠ وتحتوى هذه المنطقة الحصينة ، والتى تناهز مساحتها ٥٠٠٠ كيلومترا مربعا على نظام كامل من التحصينات الهندسية والسواتر الصناعية والموانع القوية وحقول الألغام المضـادة للدبابات والأفراد ، وتخترقها طرق طولية وعرضية للمناورة بالقوات ، كما تنتشر بها المستودعات والمخازن وورش الاصلاح ٠

وتعمل فى هذه المنطقة قوات العدو المدرعة ومشاته الميكانيكية ومدفعيته ووحدات دفاعه الجوى ، وجميعها مدربة على مهامها تدريبا جيدا بفضل المشاريع والمناورات المتتالية التى عقدتها على امتداد ست سنوات ، وخاصة شن الهجمات المضادة ، وأساليب التحرك والفتح لتنفيذها ، وأعمال المنـاورة لصد القـوات المهاجمة ، والقيام بالهجمات والضربات المضادة ، فى تعاون وثيق مع القـوات الجوية التى تقف على أهبة الاستعداد للتدخل ٠

وتستند المنطقة الحصينة الى موانع طبيعية قوية تمتد فى جميع الاتجاهات ، فالى الغرب توجد قناة السويس ، والى الشرق يقع خط المضايق الجبلية والى الشمال البحر الأبيض المتوسط ، والى الجنوب هضبة العجمة الجبلية وخليج السويس ٠

ويتكون هيكل الدفاع فى المنطقة الحصينة من عدة خطوط دفاعية ، ومناطق مجهزة لتمركز الاحتياطات المدرعة ، ومواقع المدفعية ، وشبكة الطرق الرئيسية والفرعية ، وشبكة الصواريخ المضادة للطائرات طراز (هوك) ، والمدفعية المضادة للطائرات ، والمناطق الادارية ، وخطوط أنابيب المياه ٠

ويتكون الخط الأول وهو « خط بارليف » من ٢٢ موقعا حصينا ، تضم ٣١ نقطة قوية ، تبلغ مساحة كل نقطة منها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع أو أكثر وهى عبارة عنْ منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل الى قمة الساتر ٠

ويتكون الطابق الواحد من عدة دشم (غرف) من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية وألواح الصلب ، ويفصل كل طابق عن الآخر طبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلحة والأتربة والأحجار ويبلغ سمك هذه الطبقة مترين ٠

وقد جهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك فى جميع الاتجاهات ٠ هذا فضلا عن دشم أخرى مجهزة لأسلحة المدفعية والدبابات ٠ وتتصل جميع هذه التجهيزات ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقه ، مبطنة بألواح الصلب وشكائر الرمل ٠

وقد وفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ١٠٠٠ رطل أو يزيد ٠

ولزيادة مناعة النقط الحصينة ، أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، والتى بلغ عمقها حوالى ٢٠٠ مترا ٠ هذا بالاضافة الى الشراك الخداعية التى تغطى ميول الساتر الترابى وقمته ٠ كما جهز العدو بعض النقط بخزانات الوقود ومواد النفط ، وتخرج منها مواسير الى القناة ليتسرب خلالها الوقود طبقا لنظرية الأوانى المستطرقة ، لتغطية سطح القناة ولاشعالها حتى تتحول مياهها الى مسطح هائل من اللهب ترتفع السنته الحارقة لأكثر من المتر ، وتصل درجة حرارته الى ٧٠٠ درجة مئوية ٠

واهتم العدو فى اختيار هذه النقط الحصينة أن تغطى الاتجاهات الصالحة لعبور القناة وتقدم القوات الى عمق سيناء ، وأن تتبادل المعاونة فيما بينها بالنيران ، وهكذا تخلق هذه النقط بالاضافة للسد الترابى العالى وحاجز اللهب المشتعل سدا آخرا من نيران الأسلحة المختلفة المتوسطة والثقيلة ، حيث جهز العدو مواقع لدباباته فوق الساتر الترابى بفاصل ١٠٠ متر على طول مواجهة القناة ٠

وحتى يتبين القارىء حقيقة هذه القلاع والحصون التى اشتمل عليها خط بارليف المنيع ، وتكتمل فى ذهنه الصورة الواقعية عنها ، نسوق له فيما يلى وصفا موجزا لأحد هذه الحصون كمثال لما قامت عليه دفاعاته المنيعة على طول امتداد ضفة القناة الشرقية ، كما ندعم الوصف بعدة صور فوتوغرافية ومخططات هندسية لزيادة الايضاح ٠٠

هناك بين سهل الطينة والملاحات شرقا ، ورأس العش وبحيرة المنزلة غربا ، وعلى لسان ضيق من الأرض ، قرب علامة الكيلو متر ١٠ جنوب بور فؤاد ، يقع حصن العدو المنيع ، الشهير بموقع الكيلو متر ١٠ ، الذى يشكل أقصى شمال حصون بارليف ٠

ويلف الحصن من الشمال والجنوب خمسة عشر نطاقا من الأسلاك الشائكة التى تفصل بينها حقول ألغام كثيفة ، أما من الغرب فيوجد ثمانية نطاقات أسلاك شائكة تفصل بينها أيضا حقول ألغام ٠ والحصن مزود بأجهزة الانذار والشراك الخداعية التى تكشف أى تسلل أو محاولة اقتراب منه ليلا أو نهارا ٠

ويرتفع الساتر الترابى حول الحصن الى ١٨ مترا ، ويحيط به من كافة الاتجاهات ، ويقع داخله الكثير من الدشم والملاجىء للأسلحة الصغيرة والرشاشات المتوسطة والثقيلة المبنية فى جسم الساتر الترابى على طول محيط الحصن لتوفر له الدفاع من جميع الاتجاهات ٠

وتتعاون هذه الدشم مع بعضها فى انتاج النيران المتقاطعة والمائلة ، ويصل عددها الى ٢٤ ملجأ ثقيل للأفراد والمعدات ، ٢٦ دشمة للرشاشات ، ٤ دشم للأسلحة المضادة للطائرات ، وعدد من مصاطب الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات المجهزة بسواتر لحمايتها من الأمام والأجناب ٠

ويحتوى الساتر الترابى أيضا على أماكن لمبيت وراحة الجنود تتوفر لها الوقاية من كافة النيران النقيلة عدا الذرية ، وبها كل أسباب الترفيه والاعاشة والتكديسات التى تكفى المدافعين لأشهر طويلة من الحصار ٠

ويصل بين كافة الدشم والملاجىء خنادق عميقة تكفل لأفراد الحصن التحرك تحت الأرض بطريقة مختفية ٠

وكل ملجأ أو دشمة يمكنها أن تتحمل القصف الجوى أو البرى الثقيل بفضل ما وفره العدو لها من شكاير رمال وطبقات من قضبان السكك الحديدية ثم طبقات الردم التى يصل سمك الطبقة الواحدة منها الى ٣ أمتار ، ثم سبعة صفوف فوق بعضها من البلاطات الخرسانية ، ثم طبقة أخيرة من الردم السميك ، وفوق كل ذلك سور من السلك الشائك الدائرى ، وصناديق سلك معبأة بالدبش والحجارة للوقاية من أسلحة الضرب المباشر ٠٠ وكل ذلك هو نتاج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة ، ومعين لاينضب من دولارات المعونة والتعويضات والتبرعات ٠

وهذه الملاجىء والمخابىء مجهزة للوقاية من الأسلحة الكيماوية وغازات الحرب ، وتتوفر بها كل سبل الراحة ووسائل التهوية والترفيه والاضاءة والتدفئة والاتصال التليفونى بالعائلات فى الخلف ٠

ويخرج من الحصن مواسير تخترق بطن الساتر الترابى لتلامس صفحة الماء ، وتتصل بخزانات وقود خاصة فى الخلف ، يمكن اشعالها فى حالة اقتحام المصريين للقناة ، فتحيل صفحتها الى شعلة من نار لا تنطفىء ، ولا تبقى ولا تذر ٠

وبالحصن معدات الاسعاف الأولى وطبيب معالج ، وبه أماكن للاستحمام بالمياه الساخنة والباردة ، ودورات مياه ، ومطابخ ، وصالة عرض أفلام سينمائية ، ومقصف ومنتدى للاجتماعات والنشاط الاجتماعى ٠ وفى قلبه ملاعب للكرة ولمختلف الألعاب الرياضية ٠ وليس كل ما قدمنا من وصف لحصن الكيلو متر ١٠ من خط بارليف سوى شرح بالغ الايجاز يقصر كثيرا عن واقعه ٠٠ ولعل الصور الفوتوغرافية المرفقة بالكتاب تساعد القارىء على الالمام بالصورة الحقيقية لحصون هذا الخط الأسطورى المنيع ٠٠

وبين الخط الأول على ضفة القناة الذى سبق شرحه ، وخط المضايق الجبلية ، أنشأت القوات الاسرائيلية خطين دفاعيين آخرين هما الخط الثانى والثالث ٠ ويبعد الخط الثانى حوالى ٣٠٠ ــ ٥٠٠ مترا عن الخط الأمامى ، ويتركز فى الاتجاهات الأكثر صلاحية لعبور القناة وتقدم القوات المهاجمة ، وقد أنشىء هذا الخط بنفس مواصفات الخط الأول ، وان كان أقل امتدادا واتصالا ٠٠٠ وهو مجهز أساسا لاحتلاله بالقوات المدرعة الموجودة على الأجناب وفى الخلف ٠

اما الخط الثالث فيمر على مسافة تتراوح بين ٣ ـ ٥ كيلومترات من القناة ، على بعض الاتجاهات الهامة ، وعلى أجناب الطرق الرئيسية المؤدية الى العمق •

وبين هذه الخطوط والى الخلف منها حتى خط المضايق ، انشأ العدو مجموعة من التلال والسواتر الصناعية ، وجهزها كي تحتل بالدبابات ليصد بها هجوم القوات المصرية أو يستخدمها كخطوط فتح لشن الهجمات المضادة ، ويقع أهمها على بعد ١٠ ـ ١٢ ، ١٥ ـ ٢٠ كيلومترا شرق القناة •

وبالاضافة الى كل ما سبق من خطوط وحصون ونيران ، فقد جهزت القوات الاسرائيلية مناطق تجمع للاحتياطيات المدرعة داخل نطاق المنطقة الحصينة ، وتقع مناطق التجمع هذه على أعماق مختلفة تتراوح بين ٥ ـ ٣٠ كيلو مترا من قناة السويس • وتتمركز في هذه المناطق احتياطيات العدو المدرعة ، والأسلحة المضادة للطائرات ، والصواريخ المضادة للدبابات •

وداخل اطار المنطقة الحصينة قام العدو بتجهيز عدد كبير من مواقع بطاريات مدفعية الميدان المتوسطة وبعيدة المدى ، بلغ مقدارها حوالى ٢٤٠ موقعا مجهزا ، يعمل ٣٠ موقع منهـا فى الحالات العادية ، ويعمل جزء من البـاقى فى حالات التوتر ، ويعمل الباقى كمواقع تبادلية يتم الانتقال اليها فى حالة تعرض أحد المواقع الاساسية لقصف المدفعية المصرية المؤثر •

ومن ناحية أخرى قام العدو بانشاء شبكة ضخمة من الطرق الطوليـة والعرضية شرق القناة وحتى مسافة ٣٠ كيلو مترا منها ، وذلك لتسهيل حركة قواته فى أى اتجاه ، وللمناورة بها حسب تطور القتال • وبلغ اجمالى أطوال هذه الطرق داخل المنطقة الحصينة حوالى ٧٥٠ كيلو مترا ، ومعظمهـا طرق عرضية تخدم التحركات من محور طولى الى محور آخر •

والى جانب اعتماد اسرائيل على قواتها الجوية لتوفير الدفاع الجـوى عن القوات المدافعة فى المنطقة الحصينة ، فانها أنشأت شبكة قوية من الصواريخ طراز هوك ، وزودتها بأحدث الأجهزة الالكترونية والرادارات الحديثة ، وذلك لحماية مراكز القيادة والنقط القوية والقلاع وغيرها من الأهداف الهامة •

كانت تلك مجرد عجالة عن منطقة العدو الحصينة وقلاع خط بارليف المنيع ، أما عن عمق سيناء فقد جهزه العدو بمناطق عديدة لتتجمع فيها احتياطياته التعبوية المدرعة ، وخطط أن تسع كل منهـا لواء مدرعا مدعما ، فى تأهب تام للقيـام

بالهجمات المضادة القوية ، وشن الضربات المضادة الحاسمه ، بمجرد شعوره باهتزاز الموقف الدفاعى داخل المنطقة الحصينة ...

وظل الاعتماد الرئيسى للقيادة الاسرائيلية على المنطقة الحصينة ، وقلاع خط بارليف بصفة خاصة ، ولذا لم تأل جهدا أو مالا أو خبرة لتحويله الى مانع يستحيل اقتحامه ...

من ذلك كله نجد أن قناة السويس وخط بارليف لم يكونا مجرد مانع حصين فحسب ، بل مانع فريد ليس له مثيل فى العالم ، وليست هناك خبرة سابقة فى التاريخ العسكرى لعبور مثله . ويحضرنا فى هذا المجال قول الجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان الجيش الاسرائيلى عن خط بارليف « أنه سيكون مقبرة للجيش المصرى » . غير أن الجندى المصرى قد أفسد رأى هذا القائد الاسرائيلى المتعجرف ، الذى عاد بعد الحرب ليعترف بكفاءة الجندى المصرى وبأسه ، فقال عنه « ان أكبر مفاجآت هذه الحرب كانت روح الجندى المصرى العالية وكفاءته » .

****

كان على القيادة المصرية أن تفحص كل هذه المشاكل ، وأن تعالجها مشكلة بعد الأخرى ، حتى تحقق للمقاتل المصرى أفضل الظروف لاظهار كفاءته وقدراته الكامنة .. اذ كان عليه أن يعبر القناة فى وجه سد من اللهب والنيران ، وأن يصل سليما هو وسلاحه الى الضفة الشرقية ، ويتسلق الساتر الترابى العالى ، ويقتحم بما فى يده من أسلحة خفيفة خط التحصينات ، ويدمر قلاعه القوية ، ويرفع علم مصر خفاقا فوق أعلى الروابى والقمم .

ثم كان عليه بعد ذلك أن يتابع تقدمه ويواجه دبابات العدو ويقاتلها ويقضى عليها .. كل ذلك تحت ظروف صعبة ولعدة ساعات حرجة تناهز الست ساعات . لقد كان على الجندى المصرى المترجل أن يقاتل بمفرده الى أن تقام المعابر وتصل الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى الى الضفة الشرقية .. وكان ذلك ضربا من الاعجاز البشرى ..

فالمشكلة الأولى هى أن يجد الوسيلة لاخماد النار فوق سطح الماء ، او يمنع اشتعالها أصلا ، ولتحقيق ذلك تقرر دفع بعض الأفراد لاغلاق مواسير النابالم بالأسمنت ، وعبور مجموعات من الصاعقة للاستيلاء بسرعة على مستودعات المواد الملتهبة • كما تم انتخاب قطاعات العبور بحيث تجتاز قواتنا صفحة القناة فوق التيار ، لتتفادى النيران المشتعلة فوق الماء •

والمشكلة الثانية كانت فتح الممرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية حتى يمكن اقامة المعديات وتركيب الكبارى لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة • وأجرى ما يزيد على ٣٠٠ تجربة ومحاولة مضنية على امتداد عدة سنوات تمت فيها اختبارات كثيرة لفتح هذه الممرات التى لا غنى عنها لنجاح العبور - بالمدفعية وبكل أنواع المفرقعات والصواريخ والألغام وقنابل الطائرات ذات الأوزان الثقيلة •• التى فشلت جميعا فى أن تحقق شيئا من المطلوب ••

واهتدى أحد الضباط الى فكرة استخدام مدافع المياه ، وفى التو واللحظة قابلت الفكرة التشجيع اللائق بها ، ودرست من كافة الزوايا والتفاصيل ، وتقرر استخدام طريقة التجريف بالمياه تحت ضغط كبير بالاعتماد على مضخات المياه القوية ، والتى أطلق عليها اسم « مدافع المياه » ، بعد تعديلها بواسطة المهندسين المصريين • وكان الأمر يتطلب فتح ٨٥ ممرا فى الساتر الترابى ، يحتاج كل منها لازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الرمال والأتربة ، أى ما يساوى ١٢٧٥٠٠ متر مكعب ، تحتاج لجهود نصف مليون رجل / ساعة لرفعها بالطريقة التقليدية ، ولكن مدافع المياه كفلت لنا أن يتم فتحها جميعا خلال ٣ - ٥ ساعة •

والمشكلة الثالثة كانت تأمين اقتحام المجموعات الأولى من القوات ضد نيران العدو المصوبة برشاشاته ومدفعيته ودباباته ، والتى كان قد ضبط مراميها لتغطى سطح القناة وتحيله الى سد من النيران المتشابكة • ولهذا الغرض خططت اعمال المدفعية وأسلحة الرمى الأخرى لتنفيذ أقوى تمهيد نيرانى شهده الشرق الأوسط على امتداد تاريخه الحافل بالمعارك •

والمشكلة الرابعة كانت ارتقاء الساتر الترابى الذى ناهز ارتفاعه العشرين مترا ، والأفراد يحملون كامل أسلحتهم وذخائرهم ومعداتهم • وقد ابتكر الكثير من الأدوات والأجهزة لتسهل صعود هذا الساتر الحاد الزاوية ••• كما كان لتصميم الجنود وعنادهم الفضل فى نجاح الجميع فى ارتقاء الساتر ••• بالمعدات المبتكرة حينا ، وبالأظافر والأنياب أغلب الأحيان •••

أما المشكلة الخامسة فكانت تتلخص فى توفير القدرة للقوات المترجلة على القتال ضد دبابات العدو وعرباته المدرعة ، التى سيدفعها لشن الهجمات المضادة بعد الدقائق الأولى لاقتحام جنودنا القناة • ولهذا الغرض تم تخطيط عدة اجراءات أهمها :

١. أن يحمل جنود الموجات الأولى أكبر قدر من الأسلحة والذخيرة وأقل قدر من التعيينات والمياه •

٢. أن تبتكر وتصنّع عربات صغيرة لنقل مالا يستطيع الجنود حمله ، على أن تجر بالأيدى ليتسلقوا بها الساتر الترابى •

٣. أن تزاد نسبة تسليح الجنود بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، مع زيادة نسبة الصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات ، وأن تجهز خطط النيران لمدفعية الميدان للمعاونة من الضفة الغربية •

٤. أن تدرب الأطقم على فك المدافع وحملها بالأيدى حتى اتمام صعود الساتر الترابى ، ثم يعاد تركيبها بسرعة لتستخدم فى تدمير دبابات العدو المقتربة •

٥. أن تجهز سواتر عالية على الضفة الغربية للقناة لتحتلها الدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات ، لتشتبك بالضرب المباشر ـ من الضفة الغربية ـ ضد دبابات العدو التى سوف تهاجم قواتنا فى الضفة الشرقية •

٦. أن تشكل مجموعات اقتناص دبابات لتدفع تحت ستر نيران المدفعية قبل اقتحام القناة بالقوات الرئيسية ، لتتوغل داخل مواقع العدو ، وتقيم الكمائن على طرق تقدم دباباته ، وتمنعها من الاقتراب صوب القناة •

ولعل أبرز معالم العبور كانت تتلخص فى الآتى :

١. لم يحدث فى تاريخ الحروب أن نفذت عملية عبور أو اقتحام لقناة صناعية مجهزة هندسيا ومقام عليها قلاع حصينة كما جهزت قناة السويس وضفتها الشرقية •

❷ كان لزاما أن يتم اقتحام قناة السويس وقلاع خط بارليف بالمواجهة . بخلاف المتّبع فى مهاجمة المواقع الحصينة بالالتفاف حولها ، اذ لم يكن هنـاك مجال لتفادى خط الميـاه أو خط التحصينات المتصلة أو الالتفاف حولها • ويعتبر ذلك أعقـد أنواع الاقتحـام للخطوط الدفاعية الحصينة •

❸ كانت المرحلة الأولى للاقتحام تمثل أخطر مراحل العملية وأكثـرها حرجا بالنسبة للقوات المهاجمة ، وأسهلها بالنسبة للعدو المدافع • اذ كان على الجندى المترجل المهاجم أن يستمر فى قتال دبابات العدو لمدة لا تقل عن ٦ ساعات قبل أن تبدأ الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى فى عبور القناة والوصول اليه لترفع عنه عبء مقاتلة دروع العدو منفردا بصدره المكشوف •

التجهيز الهندسى لمسرح العمليات

لقد احتلت أعمال التأمين الهندسى دورا هاما فى التحضير للعملية الهجومية ، وتشعبت تلك الأعمـال وتعددت أنواعها واستغرقت وقتا طويلا واستنفذت جهدا كبيرا • وكانت أهم تلك الأعمال هى اجراءات التجهيز الهندسى فى منطقة الجبهة وفى باقى المناطق العسكرية ، التى بدأت منذ يونيه ١٩٦٧ ، واستمرت حتى انطلقت الشرارة الأولى لحرب رمضان الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ •

وتمت أعمال التجهيز الهندسى على مراحل ، مع استغلال طاقات الشركات المدنية للانشاءات ، وشركة استصلاح الأراضى ، وكذا الهيئات التابعة لوزارة الرى • وبلغت التكاليف الاجمالية للتجهيز الهندسى فى منطقة الجبهة بمفردها ٣٠ مليون جنيه •

وكانت أبرز تلك الأعمال هى انشاء ساترا ترابيا على الضفة الغربية لقناة السويس لتوفير الوقاية لقواتنا من نيران ومراقبة العدو ، وانشاء هيئات حاكمة تعلو الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة بحوالى ٤ ـ ٦ مترا ، وذلك لاحتلالها بالدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات ، وتجهيز شبكة من الطرق والمدقات لتسهيل مناورة القوات أثناء العبور ، وتجهيز ساحات الاسقاط لمعدات الكبارى •

فقامت قوات المهندسين العسكريين بالاشتراك مع شركات القطاع العام وشركة استصلاح الأراضى ، بتعلية الساتر الترابى الأمامى على الضفة الغربية للقناة • وتم فى سبيل ذلك تنفيذ أعمال تقدر بحوالى ٥ مليون متر مكعب من الرمال والأتربة •

اما الهيئات الحاكمة (أو مصاطب الدبابات كما أطلق عليها) فقد بلغ حجم الهيئة الواحدة منها ١٨٠ ألف متر مكعب من الرمال والأتربة فى المتوسط ، وأنشىء منها عدة عشرات على طوال المواجهة ، بحجم عمل اجمالى زاد على عشرة مليون متر مكعب من الرمال والأتربة ••

واستمر تنفيذ الأعمال النهائيـة فى تلك الهيئات حتى بدأت المدفعية المصرية فى تنفيذ التمهيد النيرانى عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ •• وكان هذا من مقتضيات خطة الخداع ••

ولتسهيل مناورة القوات المصرية أثناء الاقتحام والعبور تم انشاء شبكة مطورة من الطرق والمدقات بلغ طولها فى منطقة الجبهة بمفردها حوالى ألفى كيلو متر ، كما تم اقامة ستائر على أجناب تلك الطرق وفى مواجهتها لاخفاء تحركات قواتنا عليها ، وتم أيضا تجهيز عدة عشرات من المخاضات على ترعة الاسماعيلية وترعة السويس للربط بين شرق الترعة وغربها ، وذلك بالاضافة الى الكبارى التى كان يعيبها تعرضها للقصف الجوى والتدمير بفعل العدو ••

واستعدادا لاقامة الكبارى على القناة فقد تم تجهيز ساحات الاسقاط لوحدات الكبارى على الضفة الغربية للقناة ، وكذا المنازل اللازمة لاستخدام المعدات ، وذلك على طول المواجهة من السويس الى شمال القنطرة ، على مسافات متساوية ، حتى لا يتمكن العدو من تحديد قطاعات العبور مبكرا فيركز جهوده ضدها بما قد يفسد عملية العبور أو يحبطها ••

****

ولم تقتصر أعمال التأمين الهندسى على تلك الاجراءات التى سبق شرحها فحسب ، بل قامت قوات المهندسين والشركات المدنية من القطاعين الخاص والعام بأعمال مجيدة ضخمة شملت أراضى الجمهورية كلها • والجدير بالذكر أن اجمالى تكاليف أعمال التجهيز الهندسى لتجهيز مسرح العمليات بلغ عشرات الملايين من الجنيهات •• ولذلك قصة يجب ذكرها من البداية ••

فدائما يأتى المهندسون مع البداية ، وكل عمل عسكرى يتطلب تأمينا هندسيا ، ودائما تفرض ظروف المعركة السياسية والعسكرية أين يعمل المهندسون ، وتحدد لهم الأرض والميدان ، ويصبح على المهندس العسكرى أن يطوع علمه ومعداته للتجاوب مع الفروض التى أعطيت له وقررت أمامه . والمهندسون العسكريون لا يملكون حلا وحيدا لمسألة واحدة ، وانما يجب عليهم امتلاك مفاتيح متعددة لكل موقف ، وهو أمر يحتمه وجود عدو يحاول وضع العراقيل فى وجه كل حل ، فضلا عن نقص المعلومات الدقيقة فى بعض المواقف وخاصة عن الأرض التى تتغير طبيعتها من مكان لآخر .

أما عن الظروف التى عاصرها المهندسون بعد ١٠ يونيو ١٩٦٧ . فلقد انتهى العدو الى مانع مائى هو قناة السويس ، وعلى الضفة التى يسيطر عليها من القناة وجد امتيازا ، فعلى مدى مائة وعشرة أعوام هى عمر القناة حتى ذلك التاريخ لم تتوقف أعمال تطهير القناة ، وكانت الكراكات تحمل الأتربة من قاع القناة لتلقيها على البر الشرقى حيث الصحراء ممتدة ، ولم يكن أمامها اختيار فالبر الغربى أرض مزروعة وعليها طريق القناة وغيره من الانشاءات .

ووجد العدو ــ علاوة على ستائر الصلب والحوائط الحجرية الساندة لمجرى القناة ــ أتربة سهلة التشكيل فى انتظاره ، فقام بتعلية هذه الأكوام من الأتربة وحولها الى ساتر ترابى يرتفع من نحو ثمانية أمتار الى نحو عشرين مترا وأكثر فى بعض القطاعات ، ودفعه الى حافة القناة مباشرة بميوله الحادة التى تعجز مركبات القتال عن تسلقها ، وصنع منه ومن الأرض خلفه نقطا قوية تعمل معا فى نظام متكامل يعتمد أساسا على دشم للأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات وزود الدشم الخرسانية بمزاغل قوية التحصين تسيطر بنيرانها على الشاطىء الغربى للقناة ، وعلى مياه القناة لمنع أية محاولة لعبورها .

واستمر العدو يعمل بكامل قوته من أرض مرتفعة صالحة للتجهيز ، ضد رجالنا على الضفة الغربية المنخفضة ، فى أرض تنتشر بها مزارع وقرى عامرة بالمواطنين المدنيين ، والعدو يحاول منع قواتنا ــ باصرار وعناد ــ من تنفيذ أى عمل من أعمال تحصين المواقع .

وكان علينا أن نقيم التحصينات لوقاية الأفراد وقطع السلاح والمعدات ، وأن نحفر الخنادق ومرابض نيران المدفعية ، وأن ننشىء مواقع الدفاع الجوى ، وأن نجهز مراكز القيادة على جميع المستويات حتى يستطيع القادة أن يسيطروا على رجالهم وأسلحتهم .

ثم كان علينا أن ننشىء نقطا قوية مشكلة من سواتر ترابية ومرابض نيران وملاجىء وغير ذلك من التجهيزات الهندسية التى تستطيع منها قواتنا أن ترد على نيران العدو بالمثل ، بل وأن تبدأه بقصفات رادعة اذا أبلغت نقط ملاحظتنا عن نية مبينة له للعدوان ٠

ثم كان علينا أن نقيم نظاما من الموانع المضادة للدبابات والمضادة للأفراد فى تنسيق كامل مع خطة النيران ٠

كل هذا الجهد تم ونيران العدو وقنابل طائراته تنهمر فى محاولات متكررة لنعويق العمل الهندسى الذى استمر برغم ذلك ـ ليلا ونهارا ـ لتحقيق صمود قواتنا فى تلك الفترة ٠

ولنا أن نذكر نموذجين يحققان لنا صدق معالجة المهندسين للموافف المختلفة تبعا لما تفرضه ظروف المعركة ٠

◆ النموذج الأول ـ والجميع يذكرون أن جزءا من سيناء بقى فى قبضة قواتنا بعد يونيو ١٩٦٧ ، وهو منطقة بور فؤاد التى تتصل بمناطق سيطرة العدو بشريطين من الأرض ، أحدهما يصل الى مدينة القنطرة شرق مارا برأس العش والثانى يسير بحذاء ساحل سيناء الشمالى ٠

وأعد المهندسون الشريط الأول بمواقع متتالية يعتمد كل منها على سواتر ترابية ومرابض نيران وأحزمة من الموانع ٠ ولكن الثانى كان أكثر قسوة فرجالنا بمدافعهم وأسلحتهم ينتظرهم شتاء تشتد فيه نوات البحر ٠ وحمل المهندسون مهمتهم واتجهوا الى البحر حيث قاموا بانشاء المواقع الدفاعية وحواجز الأمواج لحمايتها ، وربطها جميعا بطريق ذى تصميم خاص يكفل له الحماية من أمواج البحر ٠ وفى الوقت الذى كانت الحجارة والمواد الأخرى تنقل الى نقط العمل على طول الشريط بجميع الوسائل بحرا وبرا كانت نيران العدو لا تهدأ فوق رءوس الرجال ٠

◆ النموذج الثانى ـ حيث قام العدو بضرب ترعة الاسماعيلية فى فرعها المتجه الى بور سعيد بهدف قطع المياه عن نحو خمسين ألفا من الرجال والعاملين المدنيين فى المدينة الباسلة ٠٠ فبين القناة وترعة الاسماعيلية لسان ضيق من الأرض ما أيسر قطعه بقنابل الطائرات الثقيلة حتى تتدفق المياه العذبة من الترعة الى مياه القناة المالحة ، والأرض كلها مابين القناة وبحيرة المنزلة لسان محدود العرض يسميه الرجال « رقبة الأوزة » ، وعلى المهندسين أن يتحركوا بما أعدوه

من خطط ومواد ومعدات لانقاذ المياه ، وتتحرك دبابات العدوان لحماية ما صنعته من خراب ودمار ولتمنع يد الاصلاح ، ولكن المهندسين ـ فى كل مرة ـ كانوا سرعان ما ينجحون فى الاصلاح .

ويبحث المهندسون عن طرق أخرى لضمان امدادات المدينة من المياه ، فينشئون خطوط أنابيب طاقتها عدة آلاف من الأمتار المكعبة في اليوم ، مع انشاء خزانات للمياه بالمدينه تكفى الاستهلاك عدة أيام .

ويقدم المهندسون مفتاحا آخر للموقف ، وذلك بتجهيز صنادل عائمة تحمل المياه من مدينة المنزلة الى بور سعيد عبر البحيرة . ويقصف العدو المجرى الملاحى فى بحيرة المنزلة بالقنابل الموقوتة ، ويقوم المهندسون بتطهير المجرى أولا بأول .

اتجه العدو بعد ذلك الى ضرب منشآت الصيانة والتحكم فى مناسيب مياه الترعة الحلوة فى سافها المنجه من القاهرة الى الاسماعيلية وفرعيها المتجهين من الاسماعيلية الى كل من السويس وبور سعيد . فقصف هاويس مدينة القنطرة الذى يتحكم فى منسوب المياه المتجهه الى بور سعيد لتحقيق هدفين أولهما قطع المياه عن بور سعيد وثانيهما تحويلها الى الأرض الواطئة لاغراق مواقعنا ورجالنا حول مدافعهم بالمياه الغزيرة المنصرفة من الترعة . وكان هذا أمرا متوقعا ومحسوبا . وسرعان ما تحكم رجال الرى فى فيض المياه من بوابات الاسماعيلية بينما سعى المهندسون لاصلاح نتيجة القصف المتكرر وانشاء السدود المؤقتة .

وقصف العدو سحارة أبو صوير حيث تنساب مياه الصرف أسفل الترعة ، ودارت دوامة رهيبة تشفط مياه الترعة الى المصرف . وقام المهندسون ابتداء ـ وفق تخطيط مسبق ـ بمحاولة سد السحارة ، ولكن الدوامة البشعة التهمت كل ما ألقى فيها من دبش ورمال .

وأسرع رجال الرى بخفض مناسيب المياه فى البوابات والأهوسة من شبرا الى الاسماعيلية ، بينما أسرع المهندسون بسد الترعة ذاتها بحجارة كانت معدة لهذه المهمة حتى تم اصلاح المجرى المائى ومنشآته .

ولم يحقق العدو هدفه فى اغراق الأرض بما عليها من مزروعات وما تحتضنه من رجال وسلاح . وتشهد بور سعيد الخالدة للمهندسين بأن المياه لم تنقطع عنها يوما واحدا ، وبأنهم كانوا الأبناء المخلصين لمدينة الأبطال .

والى جوار الأعمال الهندسية التى نفذت لتحقيق صمود قواتنا البرية تم تنفيذ أعمال هندسية على نطاق واسع لتحقيق صمود قواتنا الجوية ، بل ولمعاونتها فى انزال ضربات ساحقة بقوات العدو •

ولهذا الغرض تم تطوير شبكة المطارات والقواعد الجوية بانشاء نحو عشرين مطارا جديدا ، واعداد الممرات التبادلية فى جميع المطارات والقواعد الجوية • كما تم تجهيز ملاجىء محصنة للطائرات من الخرسانة المسلحة زودت ببوابات من الصلب بأسلوب علمى مبتكر ، وتصميم هندسى مصرى بحت يعد مفخرة للمهندسين المصريين ـ عسكريين ومدنيين ـ الذين تكامل علمهم معا فى انجاز هذا التصميم الرائع •

واذ تتكلم الأرقام فى أى عمل هندسى ، تتكلم أرقام هذا العمل الذى تم بالمجهود المشترك للمهندسين العسكريين وشركات القطاع المدنى فتقول ان التكلفة فى هذا المجال فقط قد جاوزت مائة مليون من الجنيهات ، وان العمل قد شمل أربعة وعشرين مليونا من الأمتار المكعبة من أعمال الحفر والردم ، وصب المهندسون خرسانة مسلحة وعادية تجاوزت مليونا ونصف مليون متر مكعب ، واستخدموا كمية من الحجارة تتجاوز مليونى متر مكعب ، أى أنها تصل فى مجموعها الى قرب ما يحتويه الهرم الأكبر من الأحجار ، وأضافوا عليها مليونا ونصف من المواد الأسفلتية ، ولقد بلغ وزن بوابات الدشم الخرسانية نحو خمسة عشر ألف طن من الصلب •

وقام المهندسون بتشكيل وحدات هندسية لكل مطار ، تتضمن عناصر قادرة على توفير حاجته من الأعمال الهندسية خلال المعركة ، واستعادة كفاءته فى حالة تعرضه للقصف الجوى فى أسرع وقت ممكن ، بما فى ذلك عناصر ازالة القنابل الموقوتة والتى لم تنفجر •

وفى اطار توفير التأمين الهندسى للقوات الجوية الذى سار جنبا الى جنب مع كل الأعمال الخاصة بالقوات البرية ، فقد درس المهندسون المشكلتين اللتين تنجمان عن كل قصف جوى •

كانت المشكلة الأولى هى كيفية اصلاح الممرات بعد قصفها بقنابل الطائرات ، فى وقت محدود ، يسترد المطار بعده كفاءته ، ويطلق طائراته نحو السماء ، وتم التنسيق مع وزارة البحث العلمى ، واستغرق الجهد المشترك نحو ستة شهور ، الى أن انتهى الدارسون الى خلطة تستخدم فى رصف المساحات المدمرة من الأسفلت والأسمنت سريع التصلب بنسب محددة •

ولم يلبث رجالنا ـ فى متابعتهم للبحث والتطور العلمى ـ أن عثروا على ألواح صلب تصلح لهذا الغرض ، وأمكن تصنيعها فى مصانعنا ٠

وكانت المشكلة الثانية هى ازالة القنابل التى لاتنفجر لدى ارتطامها بالأرض ، وتحتوى على أجهزة تفجير موقوتة ، بهدف منع رجالنا من اصلاح ما تم تدميره ، وابقاء المطار فى حالة شلل انتظارا لانفجارها ، وتم تشكيل وحدات هندسية كاملة لهذا الغرض صار تزويدها بأحدث الأجهزة ٠

ولتوضيح مدى نجاح تلك الأعمال التحضيرية يجدر بنا أن نسبق الحوادث قليلا فنذكر أن التجهيز الذى تم للمطارات والقواعد الجوية قد أثبت كفاءته ، وصمدت الدشم الخرسانية التى صممها ونفذها مهندسون مصريون لهجمات العدو الجوية بجميع أنواع القنابل والصواريخ ، وكان صمودها دليل نجاح مهندسينا وقدرتهم على التصميم والتنفيذ ، فلم تحدث أى اصابة تذكر لطائراتنا وهى داخل الدشم ، كما أن شبكة الممرات التبادلية التى تم انشاؤها بكل مطار وقاعدة جوية فوتت العدو فرصة اغلاق أى مطار ، أو منع طائراتنا من مغادرته أو العودة اليه ٠

أما رجال وحدات ازالة القنابل فقد أثبتوا أنهم من خيرة رجال المهندسين فى البذل والفداء ٠٠ ونجحوا فى رفع القنابل من الأهداف التى تعرضت للقصف الجوى ٠٠ ونظرة على كشف حسابهم تكفى لتبيان أنهم قد رفعوا نحو خمسة آلاف قنبلة مضادة للدبابات ، وما يزيد على عشرة آلاف قنبلة مضادة للأفراد ، وأكثر من ألف قنبلة ثقيلة من أوزان الألف رطل ٠٠ وجميعها من أنواع مختلفة ، ومزودة بأحدث ما اكتشفه العلم من شراك خداعية ٠

☆☆☆☆☆☆☆☆

ونعود مرة أخرى لنستأنف الحديث عن أعمال التجهيزات الهندسية فى مجال الاعداد ٠٠

فى نهاية عام ١٩٦٩ صدرت الأوامر بتركيز جميع الجهود والامكانيات لانشاء شبكة مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوى بما يحقق وقاية مناسبة للأفراد والمعدات ضد قصف العدو الجوى ٠ وكان للمهندسين العسكريين أيضا خبرتهم الخاصة فى تصميم المنشآت الوقائية بهذه المواقع ، والتى استفاد بها أصدقاؤنا فى حلف وارسو كما استفادت بها الدول العربية الشقيقة ٠

وبدأ العمل بشكل مكثف في يناير ١٩٧٠ ، تحت قصف جوى شديد استمر نهارا وليلا ، ليقين الجميع بأن اتمام انشاء مواقع الدفاع الجوى واحتلالها هو بداية النهاية بالنسبة لتفوق العدو الجوى ٠

تكاتفت جهود مؤسساتنا الانشائية المدنية مع جهود وحدات المهندسين العسكريين لتنفيذ هذه المهمة ٠ وساهمت النساء بل وساهم شباب المدارس فى بعض المحافظات فى أعمال الانشاء بجهد قوى وعزيمة صادقة بما يثبت أن الارادة المصرية لاتقهر ٠

وأعيد انشاء كثير من المواقع عدة مرات عقب التدمير المتكرر بقنابل طائرات العدو ، وأزيل من هذه القنابل مئات كانت موقوتة قبل أن تنفجر ٠ ولجأ المهندسون الى العمل ليلا حيث تقل كفاءة العدو فى القصف الجوى ٠ وتم تنفيذ معظم هذه الأعمال فى ضوء القمر والمصابيح اليدوية الصغيرة ٠

وقبل ايقاف اطلاق النار في أغسطس ١٩٧٠ تمت المهمة ، واحتلت وحدات الصواريخ مواقعها المحصنة ، واختفت طائرات العدو من سمائنا ٠

وحين تتكلم الأرقام فان الرجال أتموا بناء عدة مئات من مواقع وحدات الصواريخ ، وعددا مماثلا من المواقع المموهة ، شمل انشاؤها نحوا من ١٢٫٥ مليون متر مكعب من أعمال الحفر والردم ، ومليون وثلاثة أرباع متر مكعب من الخرسانة المسلحة والعادية ، وتم انشاء آلاف الملاجىء مسبقة الصنع ، كما تجاوزت أطوال الطرق الداخلية فى هذه المواقع أربعة آلاف كيلو متر أى مثل المسافة بين القاهرة وطرابلس ، وأنفق المهندسون فوق جهدهم ومعداتهم نحوا من ثمانين مليونا من الجنيهات فى هذه المهمة ٠

ولم يخل واجب المهندسين من تجهيز مواقع لرجال بحريتنا وما يتطلبه ذلك من تعامل مع موج البحر ، وتصميمات خاصة للتعامل مع المياه المالحة ، كما شمل ذلك مراكز قيادات ومواقع قوات ونقط الدفاع الساحلى ٠

أما عن ضفاف القناة ومسألة العبور . .

كان على المهندسين أن يعدوا أنفسهم للاشتراك فى تنفيذ قرار العبور مهما كانت الصعاب التى تقابلهم ٠ فبدأوا بشبكة للطرق بلغت جملة أطوالها أكثر من ألفى كيلو متر ، أى ثلاثين مرة طول القناة نفسها ، لتأمين تقدم قواتنا الى القناة ، ومعها وحدات الكبارى ٠

وتلا ذلك تجهيز ساحات ومنازل اسقاط مهمات العبور فى مياه القناة بطول المواجهة من السويس جنوبا حتى شمال القنطرة • وكان التجهيز يتم على مسافات متقاربة مما يحرم العدو من تحديد القطاعات الحقيقية المخططة لانشاء المعابر كما يعطى قواتنا الحرية فى مناورتها من اتجاه لآخر حسب الموقف •

ولتأمين عبور القوات فى عملية هجومية شاملة كان لابد من اعداد الحجم الكافى من معدات العبور ومهماته • وتمت دراسات على أعلى مستوى من الفكر الهندسى لتحويل أنواع قديمة من الكبارى العادية التى يستغرق انشاؤها يوما كاملا الى كبارى اقتحام لا تستغرق أكثر من بضع ساعات • وجرى تنفيذ هذه الأعمال الفنية وغيرها محليا فى الورش والمصانع المصرية بما حقق زيادة فى كمية وسائل العبور تعادل نصف الكمية التى وردت من الاتحاد السوفيتى •

أما عبور المشاة فى المرحلة الأولى من العملية لحماية الكبارى وتأمين رءوس الجسور فكانت تستلزم تدبير ألفين وخمسمائة قارب ، وقد أمكن للمهندسين اعداد هذه الكمية بفضل تصنيع نصفها محليا فى مصانعنا المحلية أيضا •

ولمعاونة المشاة فى تسلق الساتر الترابى لخط بارليف ابتكر المهندسون سلالم من الحبال وزلاقات من الصاج وغيرها انتجت فى ورش المهندسين •

ورغم بساطة هذه المهمات فانها حققت نجاحا كبيرا اذ مكنت قواتنا خلال الفترة من بدء العبور حتى بدء تشغيل الكبارى والمعديات أن تنقل أعدادا كبيرة من المدافع الخفيفة المضادة للدبابات والرشاشات المتوسطة والرشاشات المضادة للطائرات وصناديق الذخيرة وغيرها من الأسلحة والامدادات اللازمة للقوات فى الساعات الأولى من المعركة •

وقد كانت أعقد المشاكل التى قابلت المهندسين ، هى الوصول الى أنسب أسلوب لفتح الممرات فى الساتر الترابى الهائل الذى أنشأه العدو على حافة الضفة الشرقية ، وذلك حتى يتمكن رجال الكبارى من انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات ، وحتى تجد مركبات القتال ـ من عربات ودبابات وجرارات تحمل قطع المدفعية والصواريخ الثقيلة ـ ميولا رأسية تستطيع صعودها الى خلف الساتر الترابى •

وعلى امتداد خمس سنوات أجريت مئات من التجارب على فروع النيل جهزت بحيث تمثل الواقع تماما على القناة ، وقد استخدمت طرق متعددة فى التجارب منها النسف بالمفرقعات ، والقصف بالطيران ، والرمى بالمدفعية والصواريخ ، الا أنها لأسباب مختلفة لم تحقق النتائج المطلوبة •

وفى سبتمبر ١٩٦٩ استخدمت لأول مرة طريقة التجريف بالمياه باستخدام طلمبة كبيرة تسمح بضخ خمسمائة متر مكعب من المياه فى الساعة ، ورغم أنها نجحت فى فتح ممر فى الساتر الترابى فى توقيت مناسب الا أنها اعتبرت وسيلة غير ناجحة لثقل وزن الطلمبة وحاجتها الى مصـدر كهرباء لامدادها بالطاقة ، ومشاكل أخرى لم يكن من المتيسر حلها ٠

وفى أواخر ١٩٧٠ طور مهندسو الجيش الثانى أسلوب التجريف بالميـاه باستخدام عدد من الطلمبات الصغيرة الخفيفة ، التى يمكن حملها بالأفراد وتحميلها على القوارب والتى تعمل بالوقود السائل ، وقـد حقق هـذا الأسلوب النجـاح الابتدائى المنشود ، واعتبر التجريف بالمياه هو الأسلوب الرئيسى الذى يلزم التركيز عليه وتطويره منذ ذلك التاريخ ٠

وكان التطوير المنشود هو تدبير طلمبات مياه خفيفة الوزن تعمل بالوقود ولها قدرة عالية على ضخ المياه ٠ أمكن تدبير نوعين من الطلمبات يحققان المواصفات المطلوبة : أحدهما يعمل بالوقود العادى ، وقدرته متوسطة ، ويحتاج فتح ممر باستخدامها نحو خمسة طلمبات ٠ وثانيهما طلمبات تربينية تعمل بالوقود العادى أيضا الا أن قدرتها تفوق قدرة النوع الأول ، وبذلك أمكن اختصار عدد الطلمبات للممر الواحد الى ثلاثة بدلا من خمسة ٠

ونتطرق الى مسائل التدريب على العبور فنجدها تشمل ـ بالنسبة لوحدات المهندسين القائمة بالتنفيذ ـ مسائل ثلاثة ، تدريب وحدات العبور على انشـاء وتشغيل الكبارى والمعديات والناقلات البرمائيـة ، وتدريب القوات على العبور بالقوارب والكبارى ووسائل العبور الأخرى ، وتدريب نحو ثمانين وحدة صغرى من وحدات المهندسين على فتح الممرات فى السـاتر الترابى تدريبا مشتركا مع وحدات العبور ، وذلك لتحقيق مستوى عال من الكفاءة فى انشاء المعابر المتكاملة ، سواء كانت معابر كبارى ، أو معابر معديات ، أو معابر ناقلات برمائية ٠

ولعل أعقد برامج التـدريب التى قابلتْ المهندسين هو انتخاب وتجهيـز أجزاء من المجارى المائية تتوفر فيها طبيعة قناة السويس من حيث العرض والعمق وسرعة التيار وتغير منسوب المياه ، ثم تجهيز شواطئها بالتكسيات والسواند المشابهة للقناة ، وانشاء سواتر ترابية ونقط قوية تطابق التى أنشأها العـدو على الضفة الشرقية للقناة ٠

كذلك كان يلزم توفر المسافات الكافية من حيث مواجهات وأعماق الأرض على كلا الشاطئين بحيث تماثل طبيعتها تلك الموجودة على جانبي القناة ، ثم امكان استخدام الذخائر الحية بجميع أنواع الأسلحة والطائرات مع التقليل الى أدنى حد من الخسائر المحتملة فى الأرض المزروعة والممتلكات الأخرى القريبة • كل هذه العوامل كانت حيوية حتى يسير التدريب بصورة واقعية •

ولا بأس من أن نذكر بعض الأرقام حتى نقرب الى الذهن ما تطلبه التدريب على فتح الممرات فى الساتر الترابى من جهد وتكاليف •

فلاعداد وحدة مهندسين لفتح ممر فى الساتر الترابى كان يلزم تدريبها على الأقل مرتين نهارا ومرتين ليـلا • ولو فرضنا أن كمية الأتربة التى يلزم ازاحتها لفتح الممر فى المتوسط تصل الى ألف وخمسمائة متر مكعب ، وبالحساب البسيط ، نجد أن الوحدة تجرف ستة آلاف متر مكعب فى مرات التدريب الأربع • ثم لاعادة الساتر الترابى الى ما كان عليه يلزم نقل وتشكيل ستة آلاف متر مماثلة بدلا من تلك التى جرفت • أما اعادة القطاع المائى لمـا كان عليه فيلزم استخدام الكراكات لتطهير المجرى المـائى من ستة آلاف متر مكعب جرفت من الممر وتحولت الى وحل فى القاع • أى أن تدريب كل وحدة يستلزم تحريك أتربة تصل الى ثمانية عشر ألف متر مكعب ، فى حين أنها فى العمليات الفعلية ستقوم بازاحة جزء من اثنى عشر جزء من هذه الكمية أى ألف وخمسمائة متر فقط •

ولاتمام تدريب ثمانين وحدة بهذا الشكل كان يلزم القيام بنقل أتربة فى حدود مليون ونصف مليون متر مكعب ، فى حين أن ما سيتم تجريفه منهـا فى العمليات لن يزيد على مائة وعشرين ألف متر • هذا بخلاف أعمال نقل الأتربة التى تمت أثناء اجراء مئات التجارب التى جرت للوصول الى أنسب أسلوب لهذه العملية ، والتى لا تقل عن نصف مليون متر مكعب أخرى •

هكذا غطت الأعمال المجيدة التى قامت بها قوات المهندسين العسـكريين والشركات المدنية من القطاعين الخاص والعام أراضى الجمهورية كلها •• استعدادا ومساهمة منهم فى المعركة الوشيكة •• حرب رمضان ••

إعداد القوات

ومن العوامل الهامة التى وضعتها القيادة العامة المصرية فى تقديراتها أن الظروف قد فرضت على القوات المسلحة أن تقضى ست سنوات ونصف وهى تمارس أعمال الدفاع التى تتسم عادة بالجمود ، الأمر الذى قد يصيب أى قوات تتعرض لمثل هذه الظروف بما يسمى « مرض الخنادق » • ولذلك كان لزاما أن يكون هدفنا الأول من اعداد القوات المسلحة للعملية المقبلة هو تخليصها من آثار حرب الخنادق وعقدها ••

ولهذا الغرض وضعت سياسة حكيمة لاعداد القوات المسلحة ، استغرق تنفيذها فترة طويلة ، وركزت على مجموعة من اللزوميات لاعادة الحيوية والايجابية الى القوات ، وتنقية معنوياتها من شوائب الماضى ، ومن أبرز هذه اللزوميات :

١ اقناع كافة القوات أن القتال أمر حتمى لا مفر منه ولا حل دونه مصداقا للآية الكريمة « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » •

وكانت جولات الرئيس السادات العديدة وزيارات وزير الحربية والقائد العام للقوات الميسلحة المتتالية لتفقد القوات أثرها الكبير فى تحقيق هذا الهدف •

وكان الخط الأساسى الذى تضمنته توجيهات الرئيس السادات يدور حول الوضع المتجمد الذى لا مناص من تغيره • وان هذا التغيير يجب أن يتم بأيدينا نحن قبل أن يفرض علينا العدو الأمر الواقع بكل ما يعنيه من اجحاف ومهانة ، وان حالة « اللاسلم واللاحرب » غير قابلة للاستمرار الى مالا نهاية ، فاذا لم نبدأ نحن بالقتال فان العدو سوف يسبقنا يوما اليه ، ليكرس احتلاله لأراضينا ، واغتصابه لحقوقنا المشروعة ••

٢ تدعيم ثقة الرجال فى سلاحهم وتغيير المفهوم القديم الذى يقول بأن « الرجل بالسلاح » فالحقيقة هى « أن السلاح بالرجل » •• فالرجل اذا لم يكن واثقا من نفسه فأى سلاح سوف يحميه ؟ واذا وثق من نفسه فكل سلاح سوف ينصره • وقد كان هذا العامل الهام من العوامل الحاسمة فى القتال ، اذ تمكن المقاتل المصرى فعلا أن يجد ذاته وأن يواجه بسلاحه أقوى أسلحة العدو فيفتك به وبها •

٣ ومن نافلة القول أن نذكر أن التخطيط مهما بلغت دقته فان نجاحه يتوقف بالدرجة الأولى على كفاءة التنفيــذ • لذلك كان التدريب المضنى على مهام العمليات أمرا ضروريا ، كما كان استيعاب السلاح ، ورفع قدرة المقاتلين على السيطرة الكاملة عليه أمرا حيويا •

ففي مواجهة هذه المهام العديدة التى كان على هــذا المقاتل أن يذللها فان التدريب الشاق كان هو الحل الوحيد لضمان القدرة على تنفيذ أعقد المهام وأصعبها بنجاح •• فقطرة العــرق فى التدريب توفر قطرات دم فى الحرب •

٤ واذا كنا قد وصلنا بالرجال الى اقتناع بحتمية القتال وثقة بالسلاح ومهارة بالتدريب الشاق فقد كان لزاما علينا أن نعمل على كسر حاجز الرهبة ، وتغطية الفارق بين التدريب والواقع ، بأن ترى القوات رأى العين ما سوف تواجهه من أهوال ومشاق •

ولهذا تركز الاهتمام على واقعية التدريب ، واختيار الميادين القريبة الشبه الى أقصى حد بظروف وطبيعة المهمة التى سوف تواجه القوات ، وأولاها وأهمها مهمة عبور القناة والتغلب على ساتر اللهب فوق المياه ، ومواجهة تحصينات العدو وقلاعه • وتم اختيار مجار مائية مشابهة للقناة أقيمت على ضفتها السواتر المماثلة لسواتر العــدو وأنشئت عليها النقط القوية المماثلة لنقط العدو •

بل انه فى بعض الحالات نفذ التدريب فى القناة نفسها ، فى منطقة تمتد القناة فيها فى فرعين ، أحدهما ناحيتنا وتحت السيطرة الكاملة لقواتنا •• وذلك عند جزيرة البلاح •

المفاجأة وكيف خططنا لها

كانت المفاجأة وأسلوب تحقيقها من أهم الأمور الجوهرية التى شــغلت بال القيــادة العــامة المصرية لفتــرة طويلة ، واستنفذت منها جهــودا مضنية • ولقــد نجحت القيادة فى ابتكار الأساليب الايجابية والسلبية التى تحقق هذه المفاجأة ، سواء على المستوى الاستراتيجى أو التعبوى أو التكتيكى ••

وكان من العوامل الرئيسية التى ساعدت على تحقيق المفاجأة وضع خطة محكمة وشاملة للخداع الاستراتيجى فى كل من مصر وسوريا ، على مستوى الدولة ككل ، تنظمهـا وتشترك فيها أجهزة الدولة المختصة ، على أن تتمشى مع خطة الخداع العسكرى لتحقيق الآتى :

١ خداع العدو عن احتمال استخدام القـوات المسلحة فى عمليـات هجومية قريبة ..

٢ الاحتفاظ بالسرية الكاملة لفكرة العمليات الهجومية .

٣ اخفاء التوقيت المحدد لبدء الحرب .

كما تم توجيه الأجهزة السياسية والاعلامية لتوحيد جهودها وتركيزها لتضليل العدو عن نوايانا الهجومية . وقد تم التنسيق اللازم فى سرية كاملة ، وحددت خطوط العمل .

واعتمدت فكرة الخـداع الاستراتيجى على تنسيق جهـود وزارات الاعلام والخارجية والحربية قبل بدء العمليات بمدة ٥ ـ ٦ أشهر ، لتنفيذ مجموعة من الأعمال والقاء بعض التصريحات التى تهدف الى حجب اسـتعدادنا العسـكرى للقيام بأى أعمال قتالية قريبة ، مع خداع العـدو عن التوقيت الحقيقى لبـدء العمليات . وفى نفس الوقت تم التنسيق كاملا مع سوريا ..

وتحدد هدف الخداع الاستراتيجى من وجهة النظر العسكرية ليكون خداع العدو عن نية شن عملية هجومية حاليا وستر توقيتاتها واتجاه الضربات الرئيسية وحجم القوات المشتركة فيها .. ويتم ذلك بالايحاء للعدو بأن قواتنا تواصل استكمال استعدادتها الدفاعية ورفع كفاءتها القتالية وتنفيذ تدريبها ومناوراتها العادية ..

اجراءات الخداع العسكرى :

تضمنت الخطة الكثير من اجراءات الخداع التى اسـتمر تنفيذها عدة شهور ومن هذه الاجراءات :

١. متابعة تمام الاستعداد لاستكمال مطالب العملية الدفاعية وتجهيز الخطوط الدفاعية فى العمق استعدادا لصد أى هجوم مفاجىء للعدو ٠

٢. تحريك قوات فى اتجاهات مختلفة وثانوية ، واجراء تحركات عرضية داخل الجبهة ، وعكسية من والى الجبهة ، تحت ستار التدريب ، مع التغيير المستمر فى حجم وأوضاع القوات البرية ، وأماكن تمركز القطع البحرية فى الموانى والمراسى المختلفة داخل وخارج الجمهورية ٠

٣. استغرق تجميع القوات للهجوم فتـرة من ٣ الى ٤ أشهر ، بدفع الوحدات فى عناصر صغيرة ، وتكديس الاحتياجات تباعا فى الجبهة ٠ كما دفعت القوات الرئيسية من العمق الى الجبهة قبل ثلاث أسابيع من بدء الهجوم ، تحت ستر القيام بأعمال هندسية لاجراء مناورة كبرى مشتركة ، وبدأ القتال فعلا أثناء هذه المناورة ٠

٤. وضعت خطة خاصة لتحريك معدات العبور من الخلف الى الجبهـة ، وهى تعتبر أخطر الشواهد على نية الهجوم خاصة مع حجمها الكبير ٠ وقد تضمنت الخطة تحركات كثيرة لهذه الوحدات من الخلف للأمام ، ومن الأمام للخلف ، بالاضافة للتحركات العرضية كنوع من التدريب على التحـرك ٠

٥. تضمنت الخطة اجراء تجارب اسـتدعاء أفراد الاحتياط على فتـرات منتظمة ، بحيث تقع أضخمها فى الفترات المحددة لتنفيذ الهجوم ٠ بل أنه تم تسريح ٢٠ ألف جندى قبل بدء العمليات بمدة ٤٨ ساعة ٠

٦. وحددت الخطة الخداعية الخطوط الرئيسية للتحرك الاعلامى والسياسى الخداعى ، ونفذ كثير من الأعمال والاجراءات الاعلامية والسياسية لخدمة الخطة الموضوعة ، وقد حققت كلها نجاحا كبيرا ٠

ويكفى القول أن مخطط الخداع الاستراتيجى ـ التعبوى قد حقق نجاحا ساحقا ، أدى الى وصول أجهزة المخابرات العالمية ، وعلى رأسها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكذا المخابرات الاسرائيلية الى استنتاجات خاطئة ، وبالتالى فوجىء العالم أجمع بالهجوم المصرى السورى المباغت ٠

لقد حاول المتحدثون العسكريون الاسرائيليون تعليل ما حـدث بقولهم « أنهم قد رأوا ولكنهم لم يفهموا » ٠ كما برروا الفشل بأن اسرائيل كانت تعلم

ولكنها تركت مصر توجه الضربة الأولى • وهذه الأقوال مردود عليها ، فقبول الضربة الأولى يتعارض تماما مع جوهر الاستراتيجية الاسرائيلية ، القائمة على ضرورة السبق فى توجيه الضربة الأولى كتدبير وقائى لا غنى عنه لاحباط التحضيرات العربية •

ومن ناحية أخرى فان ما يحدث داخل اسرائيل بعد الحرب من تحقيقات ومطالبة بمعاقبة المسئولين عن أجهزة المخابرات والقوات المسلحة ، خير دليل على نجاح الخطة المصرية والسورية فى خداع اسرائيل وأجهزة المخابرات العالمية الضالعة معها •

اختيار أنسب التوقيتات لتنفيذ العملية الهجومية :

من أهم العوامل الرئيسية فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية اختيار أنسب التوقيتات الملائمة لتنفيذ العملية الهجومية وضمان نجاحها • وقد تضمنت هذه العوامل اختيار الآتى :

(١) أنسب شهور السنة •

(٢) أنسب أيام الشهر •

(٣) أنسب وقت لبدء الهجوم أو ساعة « س » أى ساعة الصفر •

ولهذا الغرض أجريت دراسات مستفيضة لتحديد هذه التوقيتات ، نظرا لما تمثله من أهمية كبرى ليس فقط فى تحقيق المفاجأة ولكن كذلك لتوفير واختيار أنسب ظروف الأرصاد الجوية والأحوال الجومائية والهيدروجرافية التى تساعد أعمال العبور وتؤمن أعمال القتال البحرى والجوى • ومن ناحية أخرى كان ضروريا اختيار افضل التوقيتات التى تناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد •

أولاً : إختيار أنسب شهور السنة

هدفت الدراسة الى اختيار شهر من السنة يتوفر فيه الآتى :

- ظروف جوية مناسبة لقواتنا وأقل مناسبة للعدو •
- امكان تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية •

- امكان الاستفادة من الظروف السياسية الداخلية والخارجية ، والمناسبات والأعياد التى تؤثر على الموقف العسكرى للعدو ٠
- أن تكون قواتنا قد استكملت رفع كفاءتها واستعدادها الكامل لتنفيذ المهام المخططة فى العملية الهجومية ، وأتمت التجهيزات الهندسية فى الجبهة ٠
- اعتدال الطقس ومراعاة أحوال الجو فى الجبهتين المصرية والسورية ، حيث يبدأ موسم تساقط الثلج فى الجبهة السورية فى شهر نوفمبر أو ديسمبر وتختل الأحوال الهيدروجرافية فى القناة فى نهاية فصل الخريف ٠
- أن يتميز بليل طويل حتى يمكن استغلال ساعاته فى اتمام عبور القوات ٠

وقد توفرت كل هذه الشروط فى شهر أكتوبر حيث :

- تستعد اسرائيل لاجراء انتخابات الكنيست فى ٢٨ منه ٠
- يزدحم شهر أكتوبر بالأعياد الاسرائيلية والدينية ، وهى عيد الغفران ، وعيد المظال ، وعيد التوراة ٠
- ويأتى شهر رمضان المبارك خلال هذا الشهر ، بما له من تأثير معنوى على قواتنا ، فضلا عما يمكن تحقيقه من مفاجأة استراتيجية بشن الهجوم فى شهر الصيام ، الأمر الذى لا يتوقعه العدو ٠
- وليل أكتوبر طويل يصل الظلام فيه الى حوالى ١٢ ساعة ٠
- والطقس صالح فى الجبهتين لتنفيذ عمليات حربية واسعة ٠
- وهو أفضل أشهر السنة بالنسبة للأحوال الجومائية المناسبة للعمليات البحرية ٠

ثانيًا : إختيار أنسب أيام الشهر

كما هدفت الدراسة الى اختيار أحد الأيام الذى يتوفر فيه الآتى :

- أن يكون عطلة رسمية أو عيد أو عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة للعدو ٠

- أن يكون فرق المنسوب بين المد والجزر أقل ما يمكن لتوفير ظروف أفضل لاقامة المعابر والكبارى على القناة •
- أن يتميز بضوء القمر الساطع ، خاصة فى نصفه الأول ، حتى يساعد على اقامة المعديات والكبارى ليلا ، ثم يبدأ عبور القوات فى الظلام خلال النصف الثانى من الليل • وهذا يتطلب ألا تقل مدة الاضاءة القمرية عن ٥ ـ ٦ ساعات قبل أن يغرب القمر ويأفل ضوءه •

وقد توفرت كل هذه الشروط فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ حيث :

- تتوقف الحياة فى اسرائيل فى هذا اليوم ، فضلا عن كونه يوم سبت وعطلة نهاية الأسبوع •
- يوافق يوم ١٠ رمضان حيث القمر مناسب ومضىء من غروب الشمس حتى منتصف الليل •
- يعتبر فرق منسوب مياه القناة فى هذا اليوم مناسبا حيث سيتزايد بعد ذلك مع اكتمال القمر بدراً •

ثالثاً : إختيار ساعة (س) ـ وقت بدء الهجوم ـ

وأخيرا هدفت الدراسة الى اختيار الوقت المناسب الذى يوفر عددا محدودا من ساعات النهار تحقق الآتى :

- أن تتمكن القوات السورية من تنفيذ مهمتها الحيوية الأولى ، التى تتضمن اجتياز خندق مضاد للدبابات حفره العدو على طول امتداد الجبهة ، ثم تستولى على خط هام من المرتفعات ، وذلك فى ضوء النهار •
- أن يتوفر للقوات الجوية السورية والمصرية الوقت الكافى لتوجيه ضربة جوية مركزة فى ضوء النهار ، وأن تتاح لها فرصة تكرارها قبل آخر ضوء اذا تطلب الموقف ذلك •

وفى نفس الوقت لا توفر للعدو الفرصة الكافية من ضوء النهار لتركيز قواته الجوية والرد على ضربتنا الجوية قبل آخر ضوء اليوم الأول للعمليات • وبذلك نحرم العدو من رد الفعل المؤثر قبل صباح اليوم الثانى ، اذ كانت هذه الفترة ضرورية لتنفيذ أعمال العبور الرئيسية دون تدخل جوى معاكس من العدو •

- أن تتوفر نهارا القدرة الجيدة لمراقبة وتصحيح نيران المدفعية أثناء التمهيد النيراني للهجوم ، وأثناء قيام قواتنا بصد هجمات العدو المضادة المتوقعة فى الساعات الأولى التى تلى العبور .
- أن يمكن اسقاط معدات العبور الثقيلة فى مياه قناة السويس بمجرد هبوط الظلام ، على أن يبدأ تركيبها فى ضوء القمر ، بحيث يبدأ العبور عليها بعد غروب القمر فى منتصف الليل .
- أن تكون أشعة الشمس فى أعين العدو أثناء عبور قواتنا فى ضوء النهار ، بما يقلل من كفاءته فى المراقبة والتصويب .

وبناء على كل ما سبق تم اختيار ساعة « س » لتكون قبل آخر ضوء بمدة ٣½ ساعة ، حتى يتم خلالها انجاز الأعمال الرئيسية التالية :

- توجيه الضربة الجوية المشتركة بالقوات المصرية والسورية بقوة حوالى ٣٠٠ طائرة .
- تنفيذ التمهيد النيرانى بالمدفعية خلال أربع قصفات مركزة بحوالى ٢٠٠٠ مدفع ولمدة حوالى ساعة .
- تحريك الكبارى من مناطق تجمعها الخلفية الى الضفة الغربية للقناة ، وبدء اسقاطها فى المياه .
- فتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام مضخات المياه بوحدات المهندسين .
- ابرار قوات الصاعقة فى عمق العدو قبل آخر ضوء مباشرة .

لقد كانت الدراسات التى أجريت لتحديد هذه التوقيتات على درجة عالية من الدقة والمهارة حتى أنها حققت كافة أهدافها دون استثناء . وعلى رأس هذه الأهداف تحقيق المفاجأة الاستراتيجية على العدو ، وما يترتب عليها من أحداث لاحقة . وخير ما نعبر به عن قيمة هذا العمل هو ما ذكره القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى مجال تعليقه على عوامل تحديد يوم الهجوم وساعته اذ قال :

> « لقد كان تحديد يوم « ى » عملا علميا على مستوى رفيع .. ان هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير ، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين » ..

سرية التخطيط والتجهيز للعملية :

مع بداية مرحلة التخطيط للعملية الهجومية « بدر » تم تحديد الأسلوب الذى يتبع فى هذه المرحلة بما يكفل سريتها المطلقة ، وأختير أسلوب « التخطيط المتتالى » بحيث يسير العمل من مستوى الى مستوى أدنى تدريجيا ، ووفقا لجدول زمنى محدد • كما اقتصر التخطيط فى كل مستوى على مجموعة معينة ومحدودة من ضباط القيادة ، ومنع تداول وثائق الخطط لغير هذه المجموعة •

ومن ناحية اخرى تم تلقين مهام العمليات لبعض المستويات على زعم أنها مشروعات تكتيكية وضعت خصيصا لهذا الغرض لكى تجرى بمعرفة قيادات وقوات هذه المستويات • كما وضع نظام خاص لتداول وثائق خطة العمليات على كافة المستويات ، ومن مستوى الى المستوى الأقل ، مع تحديد الوظائف المسموح لها بتداول هذه الوثائق •

وكانت النتيجة البارزة التى جمعت محصلة النتائج التى حققتها مفاجأة العدو هى احداث تغيير جذرى وفورى فى ميزان القوى العسكرى بالمنطقة ، وخلق موقف استراتيجى جديد خلال الساعات الأولى من القتال • وبالاضافة الى ذلك فقد حققت المفاجأة النتائج التالية :

١ - شل وارباك القيادات العسكرية الاسرائيلية على كافة المستويات ، ومنعها من العمل السريع أو التصرف السليم أو رد الفعل الفورى الذى تشتهر به ، وقد استمرت هذه الحالة عدة أيام •

٢ - حرمان العدو من تعبئة قواته المسلحة وموارده البشرية والاقتصادية وحشدها فى الوقت المناسب والمكان الملائم قبل بدأ الهجوم •

٣ - تنفيذ مهام العمليات المعقدة وعلى رأسها اقتحام قناة السويس وتدمير قلاع بارليف فى ظروف أكثر سهولة •••

٤ - الاقلال الى حد كبير من الخسائر التى تتعرض لها القوات المصرية ، مع تكبيد القوات الاسرائيلية أفدح الخسائر فى القوى البشرية وفى الأسلحة والمعدات •••

الخطوط الرئيسية لفكرة العملية

وعلى ضوء هذه العوامل العديدة رسمت الخطوط الرئيسية لفكرة العملية الهجومية الاستراتيجية ، ووضع نصب العين عامل أساسى حاكم هو حقيقة قدرات العدو ، وقدرات القوات المسلحة المصرية •

وعلى هذا الأساس روعى الآتى بالنسبة للعدو :

❶ أن يتم تحقيق الهدف من خلال تدمير الجزء الأكبر من القوات المسلحة للعدو فى البر والجو والبحر •••

❷ اضعاف قدرة العدو الجوى وشل فاعلية قواته الجوية على العمل السريع الحاسم ، وحرمان قواته البرية من التمتع كعهدها السابق بسلاح المعاونة الرئيسى والعنصر الهام فى أعمال الحسم ، ونعنى به قوات اسرائيل الجوية •••

❸ شل قيادات العدو وارباكها لفترة زمنية مناسبة ، وعرقلة اجراءات التعبئة السريعة أو الحشد الفعال •••

❹ اعاقة تحركات العدو وحرمانه من القدرة على المناورة السهلة أو العمل من خطوط داخلية ضد أكثر من جبهة عربية واحدة فى وقت واحد أو بالتتالى السريع كما حدث فى الجولتين الأولى والثالثة •

❺ اسكات مصادر نيران العدو منذ اللحظات الأولى للقتال ، وافساد خططه الدفاعية القائمة على سرعة الحركة والمرونة الفائقة للقوات والنيران •

وبالنسبة للجبهة المصرية فقد روعى الآتى :

❶ أن تستعد للعمل تحت ظروف تفوق العدو الجوى ، وتحت ستر غطاء دفاعنا الجوى فى وقت واحد •

❷ أن تكون مهمتها الأولى بعد العبور هى تدمير قوات العدو على مراحل ، وخاصة الدبابات •

❸ أن تعمل على امتصاص ردود الفعل المعادية ، وقدرات العدو الهجومية ، بأعمال دفاعية وايجابية نشطة •

٤ أن تتأهب لتطوير الهجوم فى اتجاه الشرق ، على ضوء ما تسفر عنه المعارك فى رؤوس الكبارى •

٥ أن تشن الهجوم على طول المواجهة ، وفى عمق سيناء وجنوبها ، وأن يتم كل ذلك فى وقت واحد •

على أساس هذه الخطوط العريضة وضعت العملية الاستراتيجية الهجومية المشتركة وسميت بالاسم الرمزى « بدر » واستكملت الخطة جوانبها وأصبحت جاهزة للتنفيذ رهن الاشارة وصدور القرار الجرىء من قائدنا الأعلى ببدء القتال ، سيرا على درب النضال فى سبيل تحرير الأرض وتحقيق النصر •

التنسيق مع الجبهة السورية

كان مجلس رئاسة الجمهوريات العربية قد قرر فى العاشر من يناير سنة ١٩٧٣ تعيين الفريق أول أحمد اسماعيل قائدا عاما للقوات المسلحة الاتحادية • وعلى أثر ذلك أوكل الى هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية دراسة الموقف العسكرى على الجبهتين السورية والمصرية ، واستعراض طرق الحل المفتوحة أمام الاستراتيجية العربية ، ووضع أسلوب السيطرة الاتحادية على الجبهات العربية •

وقرب نهاية الشهر كانت هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية قد أتمت حصر قوات الدعم من دول الخط الثانى التى سوف تحشد فى المسرح لخدمة المعركة المرتقبة جنبا الى جنب مع أشقائها قوات دول المواجهة •

وفى العاشر من مارس ١٩٧٣ أتم قائد عام القوات المسلحة الاتحادية دراسة التخطيط للضربة الجوية المشتركة لاضعاف القوات الجوية الاسرائيلية وشل شبكة السيطرة والحرب الالكترونية المضادة فى بداية المرحلة الافتتاحية للعملية الهجومية العربية المقبلة •

وفى الحادى والعشرين من مارس عقد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية دراسة مستفيضة مع هيئة عملياته ، تناول فيها دقائق يوم ى وسمت س • كما ناقش احتمالات رد فعل العدو • واستعرض الاطار العام لتنظيم التعاون الاستراتيجى بين الجبهات العربية القائمة بالهجوم ، وأسلوب الخداع التعبوى والاستراتيجى لمفاجأة العدو ومباغتته فى العملية الهجومية المرتقبة •

وفى أول أبريل تم تنظيم التعاون على الجبهة السورية واعتمد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية أسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين وطرق تبادل المعلومات بينهما ، كما درس الطرق المختلفة لسحب احتياطيات العدو الاستراتيجية من جبهة الى أخرى بما يكفل تهيئة الظروف المناسبة لهزيمة العدو على مراحل مسبقة التخطيط ، وحرمانه من ميزة العمل على خطوط داخلية ضد الجبهات العربية الواحدة بعد الأخرى كما اعتاد فى أغلب جولاته العدوانية السابقة ٠

وفى صباح الثانى من مايو اجتمعت القيادتين الاستراتيجيتين المصرية والسورية للاتفاق بصفة مبدئية على توقيتات يوم ى وسعت س مع مراعاة كافة العوامل المؤثرة بالنسبة لمصر وسوريا ٠ وفى المساء جرى التخطيط العام للضربة الجوية السورية المصرية المركزة ضد اسرائيل ، فحددت أهدافها وشكلها وأسلوب السيطرة عليها ، وتم حصر امكانيات مصر وسوريا التى يمكن تخصيصها لشن هذه الضربة التى كان الجميع على يقين من تأثيرها البالغ على كل ما سوف يتلوها من أعمال قتال ٠

وفى الثانى والعشرين من مايو أصدر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية توجيهاته بالفكرة العامة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لكل من الجبهتين السورية والمصرية ، وحدد لكل جبهة الاجراءات والأعمال المنوطة بها ، والمدة الزمنية المفروضة لانجازها ٠

وفى صباح السابع من يونيه قام الفريق أول أحمد اسماعيل بتحديد الهدف الاستراتيجى العسكرى للعملية الهجومية للقيادتين السورية والمصرية ، كما حدد لهما الهدف من تنظيم التعاون بين الجبهتين ، وشرح فكرة العملية الهجومية لكل من القوات المسلحة السورية والقوات المسلحة المصرية على كلا الجبهتين السورية والمصرية ، واستعرض التشكيل التعبوى لهما وكذا الاحتياطى العام للجبهتين ٠

وفى نفس السابع من يونيه قام اللواء بهى الدين نوفل بتنظيم التعاون بين الجبهتين المصرية والسورية ٠

وفى اغسطس ١٩٧٣ تم بثغر الاسكندرية وأحد من أهم مؤتمرات التخطيط والتنسيق وأطولها ، اذ اجتمع القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية برؤساء اركان القوات المسلحة السورية والمصرية وقادة الأفرع الرئيسية ورؤساء هيئات

العمليات المصرية والسورية والاتحادية لمناقشة مختلف العوامل المؤثرة على تحديد درجة استعداد القوات المسلحة للعملية الهجومية ويوم بدء الهجوم بالنسبة للجبهتين ، وفحص حالة البحر والمد والجزر ، والجو والطقس وطول الليل والنهار ، والقمر ، ومستوى تدريب القوات وكفاءتها القتالية • كما استعرض الأوضاع الداخلية فى اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وفحص المناخ الدولى من زاوية تأثيره على سير القتال المرتقب •

وتم الاتفاق على أن أنسب توقيت للعملية الهجومية بالنسبة لكافة هذه العوامل هو شهر سبتمبر أو أكتوبر ١٩٧٣ ، مع اعتبار أن التوقيت الثانى هو الأفضل ، ثم أمر الفريق أول أحمد اسماعيل أن يترك البت النهائى فيه للقيادة السياسية •

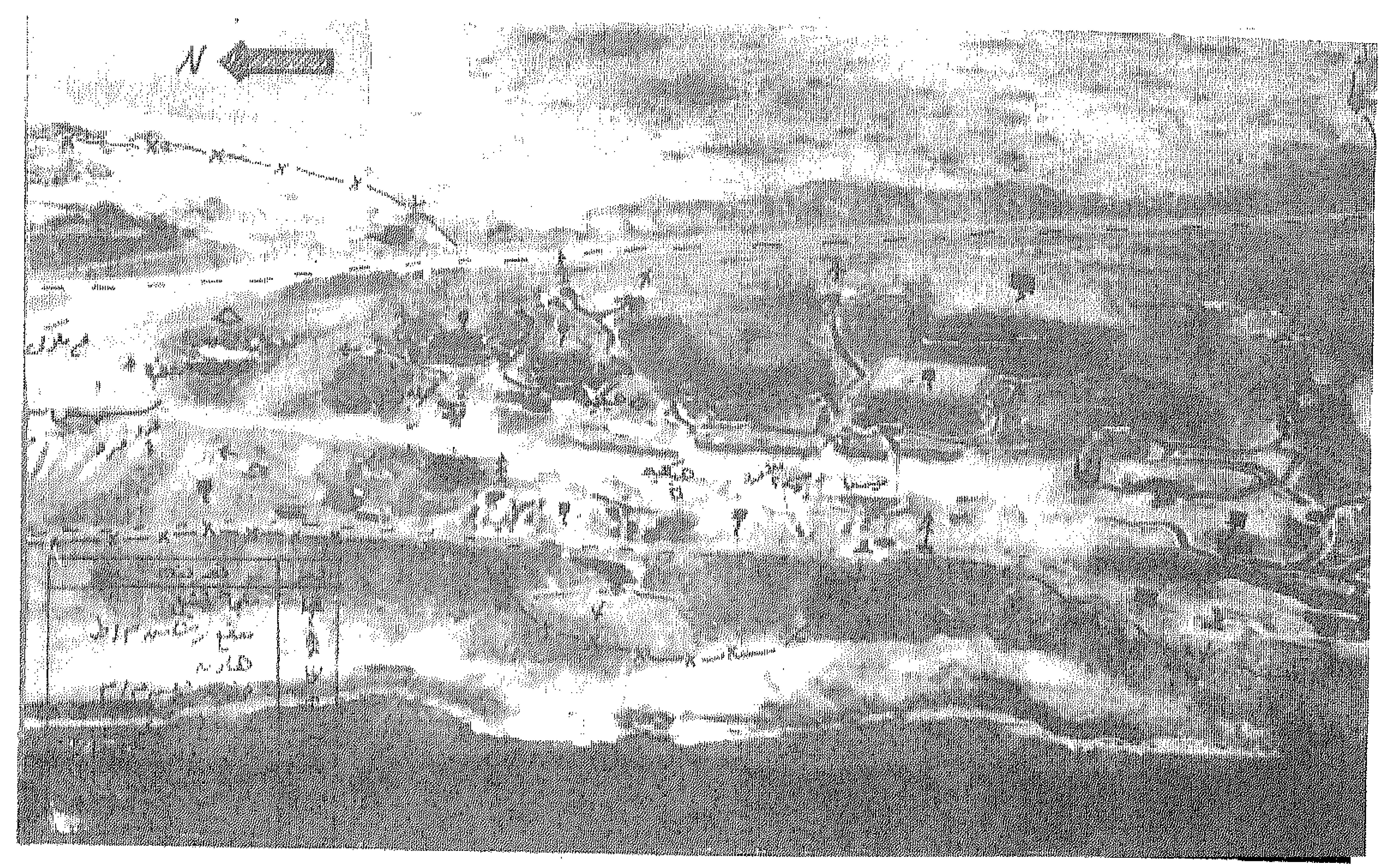
وفى اجتماع تال مع هيئات العمليات اتفق على ان أنسب يوم لبدء الهجوم هو يوم ١٠ رمضان المبارك ، الموافق ٦ أكتوبر (تشرين أول) • وفى مساء ٦ سبتمبر أصدر الفريق أول أحمد اسماعيل توجيهات القيادة العامة الاتحادية باستعداد القوات المسلحة السورية والمصرية لشن العملية الهجومية (بدر) فى ظرف خمسة أيام اعتبارا من أول ضوء ١ أكتوبر ١٩٧٣ (تشرين أول) •

وفى أول أكتوبر (تشرين أول) قرر الفريق أول أحمد اسماعيل توجيهاته الاتحادية بتنفيذ الضربة الجوية المشتركة السورية المصرية سعت ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ، وكذا الأمر ببدأ تنفيذ العملية بدر •

وفى الثالث من أكتوبر توجه الفريق أول أحمد اسماعيل الى دمشق وبصحبته اللواء بهى الدين نوفل حيث اجتمع بزميله وزير الدفاع السورى اللواء مصطفى طلاس وقيادته وتم الاتفاق على اللمسات النهائية للعملية الهجومية « بدر » على الجبهتين المصرية والسورية طبقا للخطط الموضوعة والتوقيتات المحددة •

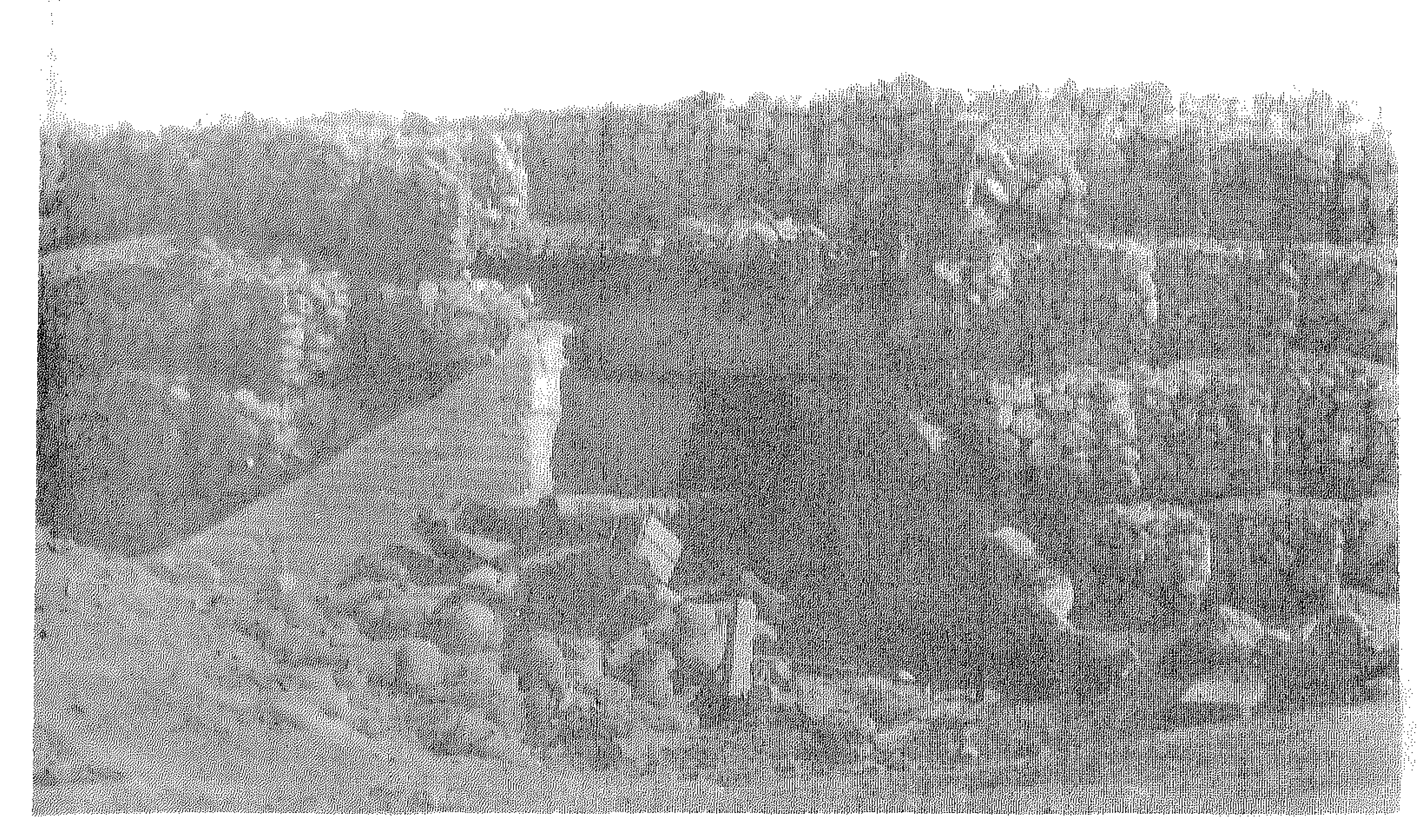
وختم الفريق أول أحمد اسماعيل المؤتمر المصرى بتأكيده أن المعركة الوشيكة سوف تكون قاسية وطويلة ، وأن العرب سوف يضربون بكل قوتهم وفى كل مكان وفى العمق ، وأن الكل يدرك خطورة القرار الجرىء ومنتهى الأمل أن ننجز عمل ناجح وأن نقبل المخاطر المحسوبة ••

وفي الظهيرة استقبل الرئيس حافظ الأسد القائد العـام للقوات المسلحة الاتحادية واعتمد له العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لتبدأ الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم قفل الفريق أول أحمد اسماعيل عائدا الى القاهرة ليضع اللمسات الأخيرة لمعركة المصير ٠٠

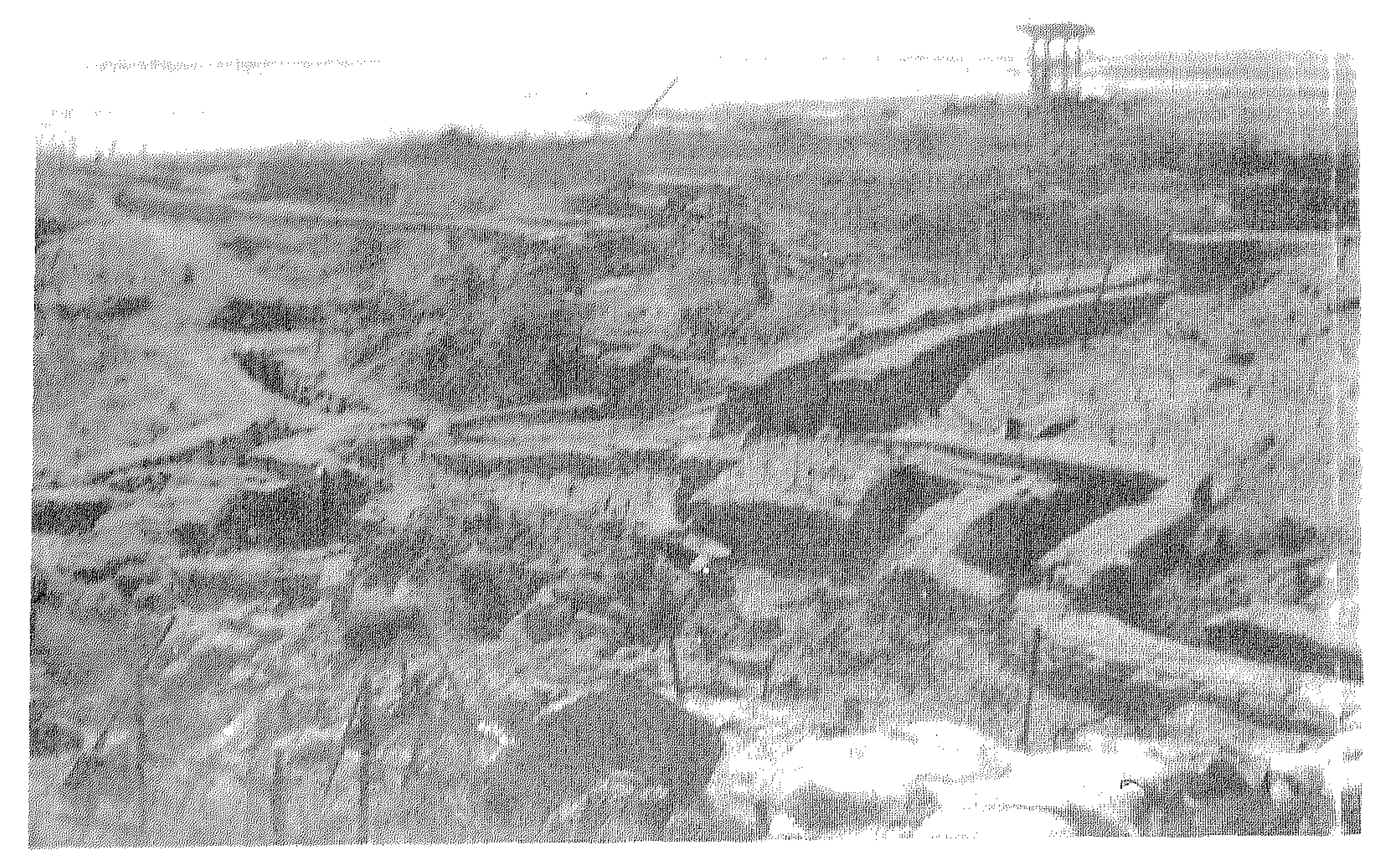


« .. والنقطة القوية عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل الى قمة الساتر »

« .. وتبلغ مساحة كل نقطة حوالى ٤٠٠٠ متر مربع »



« .. وجهزت كل دشمة بعدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات »



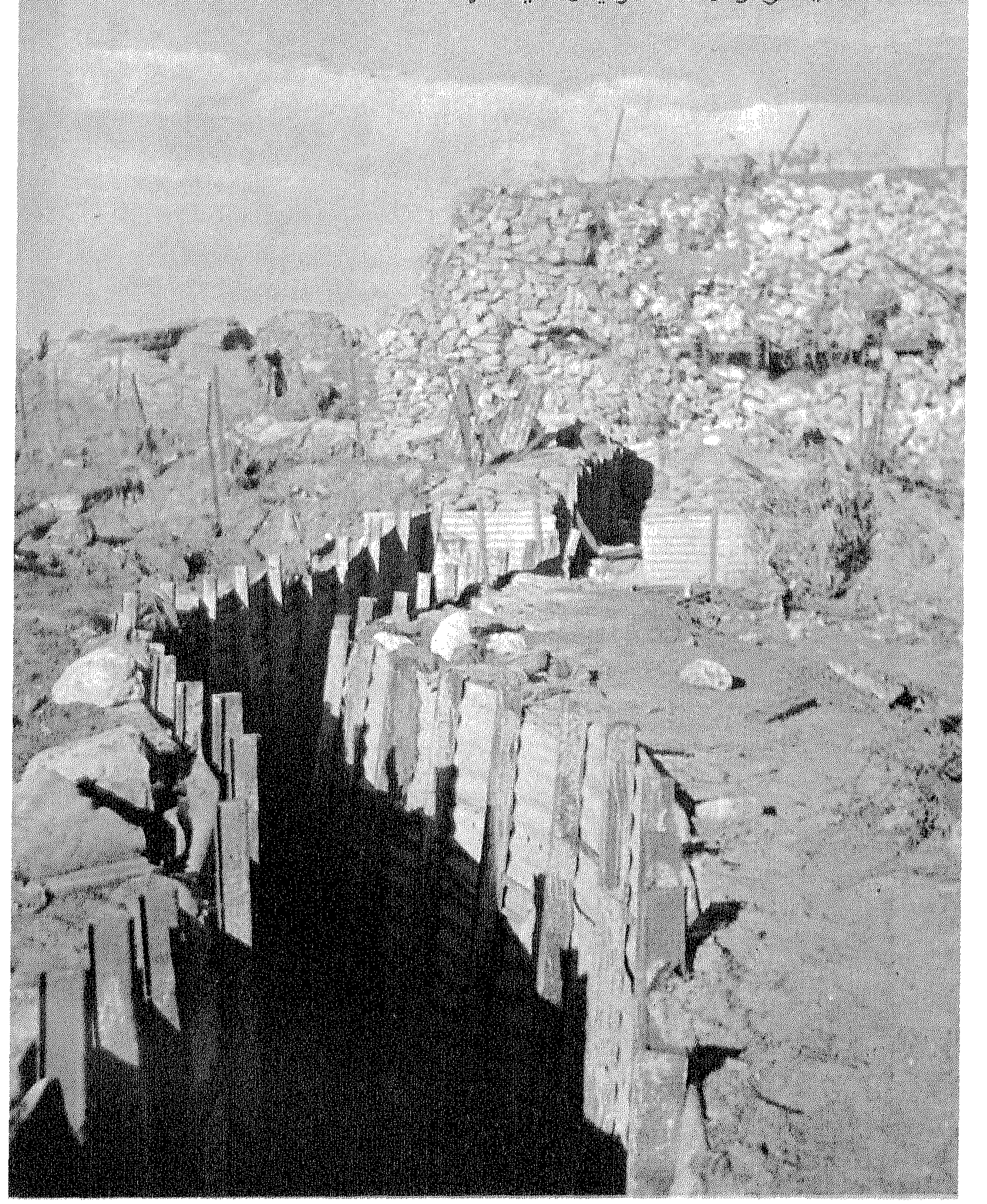
« .. وتتصل جميع الدشم ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة مبطنة بألواح الصلب وشكائر الرمال »



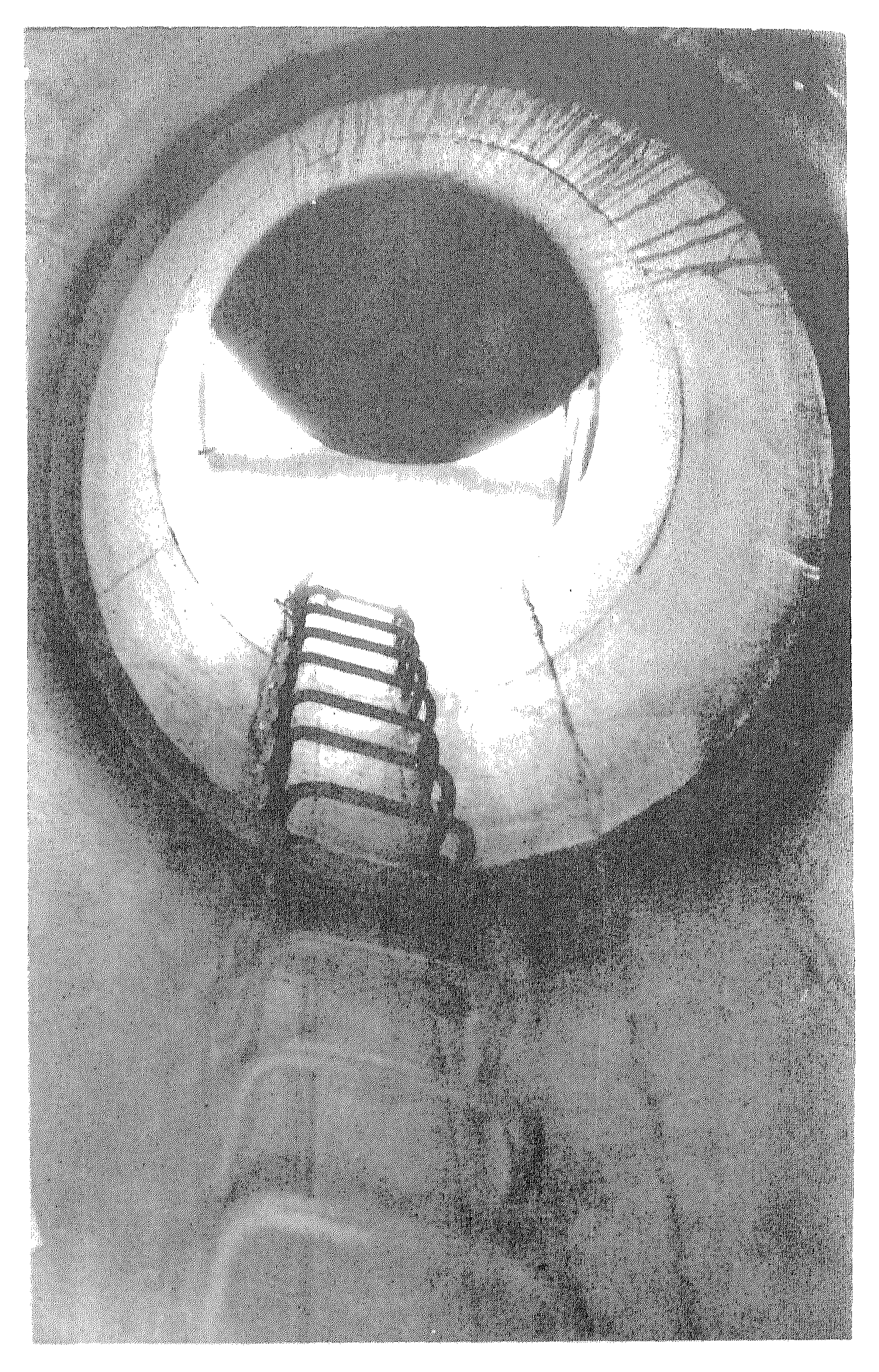
« .. ولزيادة مناعة النقط الحصينة أحاطها العـدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام »



« .. وكل دشمة يمكنها أن تتحمل القصف الجوى أو البرى الثقيل بفضل شكائر الرمل وقضبان السكك الحديدية »



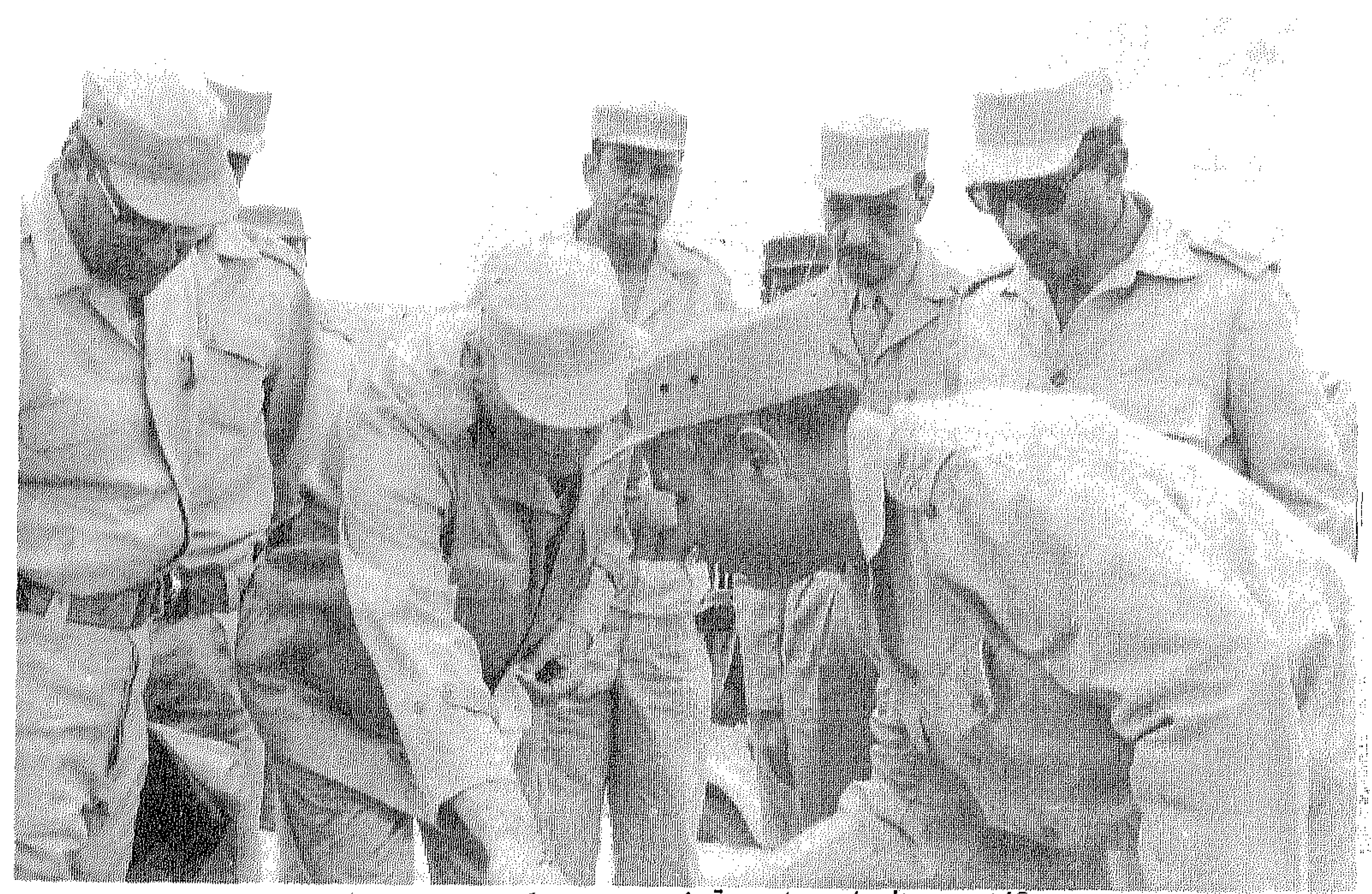
«.. وظل الاعتماد الرئيسى للقيادة الإسرائيلية على قلاع خط بارليف بصفة خاصة»



« .. وكل ذلك هو نتاج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة »



« .. كانت جولات الرئيس السادات العديدة وزيارات القائد العام للقوات المسلحة لتفقد القوات أثرها الكبير فى تحقيق الهدف »



« .. وكان على القيادة المصرية أن تفحص كل المشاكل ، وأن تعالجها مشكلة بعد الأخرى »

قطاع رَأسى فى إحدى النقط الحصينة

(.... ويتكون خط بَارليف من ٢٢ موقعـًا حصينًا ، تضم ٣١ نقطة قويـّة)

خرَيطة قنَاة السّويس


الفصل الثاني
اللمسات الأخيرة

اللمسات الأخيرة

◆ أتمت القوات المسلحة لجمهورية مصر العربية الفتح التعبوى طبقا لخطة دقيقة ، نفذت خلال فترة زمنية طويلة ، وكان هدفها احداث تغيير في أوضاع وتجميع قوات الجيوش الميدانيــة تدريجيا وبأسلوب ينطلى على العــدو ، دون أن يثـير شكوكه بمـا يدور على الجبهـة المصرية ٠٠ وكان ذلك أحد العوامل الرئيسية لخداع العدو الخداع الكامل بالنسبة للعملية الهجومية الوشيكة .

كما استهدفت أعمال الفتح التعبوى اتخاذ باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ـ ونعنى بها القوات البحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوى ـ الأوضــاع المناسبة لتنفيــذ مهامها المخططة ضمن اطـار العمليــة الهجومية الاستراتيجية ٠

ولم تقتصر أعمــال المرحلة التحضيرية على اجراء الفتح التعبوى للقــوات المسلحة فحسب ، بل شملت أيضا ـ وبطبيعة الأمر ـ مختلف الاجراءات التنظيمية للعملية المقبلة ، بدءاً باتخاذ القرار الاستراتيجى ، وحتى تخصيص المهــام لكل فرد ، علاوة على مختلف الأعمــال التحضيرية والتنفيذية من تكديس وتشوين

المعدات والذخائر والامدادات ، وتجهيز مسرح العمليات ، وتدريب واعداد القوات والقيادات ..

وانتهت تلك الأعمال وقد اتخذت القوات أوضاعها الملائمة لشن الهجوم ، وأتقن كل فرد مهامه فى العملية المقبلة ، وتدرب عليها وملأ الشوق جوانبه لخوض المعركة وأداء الواجب .. وفى نفس الوقت ، وبنفس الخطا السريعة الهادفة ، وطبقا لمخطط محكم ، سار اعداد الدولة والشعب للحرب المقبلة .. للجولة الرابعة فى الصراع العربى الاسرائيلى .. لمعركة المصير .

وفى الحقيقة ، فان الاعداد للحرب والتحضير لها كان قد بدأ منذ رفض الشعب المصرى .. بل الأمة العربية كلها الهزيمة بأنتفاضة ٩ ، ١٠ يونية ١٩٦٧ ، وعندما أعلن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر « أن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة » ..

وعندما قرر برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ « أن لا صوت يعلو على صوت المعركة » .. وعندما سلم الشعب المصرى الشعلة الى الرئيس محمد أنور السادات ليقود النضال الشريف على طريق زميله فى الكفاح نحو النصر .. وعندما تولى الرئيس السادات رئاسة وزارة المواجهة الشاملة .. استعدادا لتحمل قدره فى الكفاح .. وعندما أعلن فى مجلس الشعب « أن التمنى بلا ارادة نوع من أحلام اليقظة » ... كانت هذه جميعا سمات اصرار أكيد على خوض جولة أخرى ... والاعداد لها بكل ما تملك مصر من قدرات .

ولذا صار من غير المستساغ ، بل ومن غير الممكن ، أن نتكلم هنا بالتفصيل عن مراحل واجراءات اعداد الدولة والشعب والقوات المسلحة للحرب .. فهى اجراءات استغرقت سنوات عدة ، وكلفت الشعب المصرى آلاف الملايين من الجنيهات .. دفعها راضيا .. اسهاما فى نصيبه من الكفاح الحتمى ، أملا فى تذوق حلاوة النصر ..

وسوف نقصر الحديث هنا على سرد أهم الاجراءات التى نفذت فى ختام المرحلة التحضيرية قبيل المعركة :

* رفعت درجة استعداد القوات المسلحة المصرية الى الحالة الكاملة اعتبارا من سعت ٠٨٠٠ يوم ١ أكتوبر ١٩٧٣ . وتم احتلال جميع مراكز القيادة والسيطرة على مختلف المستويات .. وقد أعلن حينذاك أن

تلك الاجـراءات قد فرضت لأغراض التدريب ، ولتنفيـذ مشروع استراتيجى تعبوى ٠٠

وقد استمرت القوات البرية فى تنفيذ اجراءات التحضير للعملية الهجومية ، واعادة التجميع والفتح التعبوى تحت ستار التدريب ، ورفع كفاءة التجهيز الهندسى لمسرح العمليـات تحت ستار تحسين الدفاعات ٠

* واستمرت القوات الجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوى فى تنفيـذ مهامها العادية (الروتينية) لحماية سماء ومياه الجمهورية ٠ وكانت أبرز تلك الأعمال فتح المدمرات والغواصات فى المناطق المحددة لها ، واتخاذها الأوضاع الأخيرة ٠

* ورغم ذلك كله فلقد استمر نشاط العدو على مستواه السابق ، وان انحصر اساسا فى المستوى العسكرى فقط ٠٠ اما المستوى السياسى والاعلامى فقد تزايدت حـدة تهديدات العـدو الكلامية وتصريحاته المتشددة ، التى تهدف الى التأثير النفسى والمعنوى على الشعب المصرى ، وتثبيت صورة القوات الاسرائيلية « الرادعة » فى أذهان الرأى العام العالمى بصفة عامة ، والاسرائيلى على وجه الخصوص ٠

وعلى الجانب المصرى استمرت عجلة الاستعداد فى التزايد ، فتم تحـديد الساعة ٠٦٠٠ يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ لتكون وقت تمام استعداد القوات المسلحة المصرية للعمل ٠٠ وأصدرت القيـادة العامة تعليماتهـا التى تحدد التوقيتـات الرئيسية لبداية العملية الهجومية ، وأرسلتها الى القيادات والرؤساء المختصين طبقا للخطة الزمنية المحددة ، التى راعت المحافظة على سرية النوايا ٠٠ كمـا أصدرت القيادة العامة تعليماتها بعدم السماح بدخول السفن التجارية المصرية والأجنبية الى موانىء ومراسى خليج السويس ، وتخفيض عدد السفن المدنيـة الموجودة هنـاك ٠٠ وذلك للمحافظة على أرواح البحارة المدنيين من أى أعمال غادرة قد يقوم العدو بها ٠٠

ويجدر بنا أن نسبق الأحداث لنذكر أن العدو عندما لم يتمكن من الانتقام لخسائره فى القطع البحرية الحديثة ، وخاصة فى لنشات الصواريخ « سعر » التى ملأ الدنيا ضجيجا بشأنها ، عمد الى تركيز نشاطه البحرى والجوى لاغراق عدد من قوارب الصيد المدنية الصغيرة التى تصادف وجودها فى البحر الأحمر ٠

لقد بدأت آلة الحرب فى الدوران سعت ٠٦٠٠ يوم ٥ أكتوبر وأصبح من المستحيل ايقافهـا ٠

ومنذ الصباح الباكر ليوم ٦ أكتوبر المجيد ٠٠ تزايدت سرعة دوران آلة الحرب والاستعداد العسكرى ٠٠ فقد قامت قوات المهندسين العسكريين بفتح الثغرات فى موانعنا على الضفة الغربية على طول المواجهة لتسهيل تقدم قواتنا لاقتحام قناة السويس ، كما قامت بقفل مأخذى المياه لترعة السويس والاسماعيلية ، لتسهيل عبور الدبابات والحاملات والعربات الترعة الحلوة عبر المخاضات والمعابر من عمق قواتنا الى الضفة الغربية لقناة السويس ٠٠

وأتمت جميع القوات تحركاتها واتخذت أوضاعها ٠٠ واحتلت الصواريخ أرض ـ أرض التكتيكية والتعبوية مواقعها ٠٠ وعادت الدوريات التى تسللت فى هدوء لتلقى نظرة استكشاف أخيرة على النقط الحصينة وما وراءها من « خط بارليف » ، كما عادت الجماعات الخاصـة التى دفعت لأحباط تحضيرات العـدو ولاشعال سطح القناة بالوقود الملتهب ، وذلك بعـد أن قصت الخراطيم وسدت المواسير بالأسمنت ، وأغلقت المحابس والصنابير ٠٠

وقد يثير العجب أن هذه العملية قد تمت بنجاح تام ، فلم يفلح العدو فى اشعال حريق واحد فوق سطح القنـاة ، واستولت قواتنا على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها ، مما دفع العدو الى انكار وجود هذه التجهيزات الشيطانية أصلا ، رغم وقوع أحد مهندسى صيانتها أسيرا فى يد مصر ، وافشائه كل أسرار النابالم وكيفية اشعاله لصفحة القناة بسعير من النيران ٠

وعلى مستوى الدولة سارت أيضا الاستعدادات للحرب بوتيرة متزايدة فى السرعة ، فرفعت درجة استعداد الدفاع المدنى الى « الحالة ج » ، أى الى حالة الاستعداد الكاملة سعت ١٣٤٠ ، قبل بدء العملية الهجومية بخمس وعشرين دقيقة فحسب ٠ وللمحافظة على سرية النوايا أعلنت القيادة العامة أن هذا اجراء وقائى ضد أعمال محتملة للعدو ٠٠ وأخيرا صدرت الأوامر بايقاف حركة الطيران المدنى والمساعدات الملاحية ٠

وفى مركز قيادة القوات المسلحة المصرية وضعت آخر اللمسات استعدادا لبدء العمليات ، فرفعت خرائط ووثائق المشروع التدريبى الاستراتيجى التعبوى ، وفتحت الخزائن المغلقة ونشرت الخرائط والوثائق الحقيقية ، وتم ضبط جميـع الساعات الى أقرب ثانية ٠٠ كما ضبطت كذلك مع كل القيادات المشتركة فى

العملية ضمانا للدقة المتناهية فى التنسيق ٠٠ حتى أن الضبط المبدئى للساعة الرئيسية تم مع اشارات ضبط الوقت من الاذاعة المصرية سعت ١٢٠٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ضمانا للتنسيق الدقيق مع الجبهة السورية ٠

ووصل الرئيس محمد أنور السادات رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة الى مركز قيادة العمليات ، واتخذ مكانه على رأس هيئة القيادة العامة فى القاعة الرئيسية ، وجلس عن يمينه الفريق أول أحمد اسماعيل ، وعن يساره الفريق سعد الشاذلى ، وعن قرب منه اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ، وأشارت عقارب الساعة الى تمام الساعة ١٣٣٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأمسك التاريخ قلمه ليسطر أروع الأحداث ٠٠٠

****

وكان المشهد رهيبا ومثيرا الى أبعد الحدود ٠٠٠

****

وفى معسكر العدو كان المشهد جد غريب ٠٠ اذ اجتمعت الحكومة الاسرائيلية ظهر الجمعة ٥ أكتوبر ، ودارت المناقشات واحتدم الجدل ٠٠ ثم انفض الجمع وقد جزمت السيدة مائير بأن لا خطر للحرب ، ولا احتمال لهجوم عربى وشيك ، وانصرف كل الى سبيله ليحتفل بعيد الغفران ، رغم أنه على الجانب العربى وقع حدثان كانا كافيان لكشف نوايا الهجوم العربى الوشيك لو صادفا ما يستحقانه من دراسة وتمحيص من أجهزة المخابرات الاسرائيلية ٠٠

أما الحدث الأول فهو بدء رحيل عائلات بعض المدنيين الأجانب من مصر وسوريا على وجه الاستعجال ، وأما الحدث الثانى فكان اصدار وزارة الطيران المدنى أمرا بايقاف حركة الطيران المدنى فى سماء مصر وايقاف مساعدات الملاحة الجوية المدنية ظهر يوم ٥ أكتوبر ، وأن تداركت القيادة العامة ذلك باصدار الأمر الفورى باستئناف حركة الطيران المدنى بشكلها المعتاد ٠

وفى فجر ٦ أكتوبر دارت الشكوك فى صدر الجنرال دافيد اليعازر ٠٠ فالشواهد تجمع على اتمام الحشد العربى على الجبهتين المصرية والسورية ٠٠ وكان ان اجتمعت الوزارة مرة أخرى ٠٠ وعندما انفض الجمع ظهر السبت ٦ أكتوبر كان القرار أن تتكفل السيدة مائير بالاتصالات السياسية لتخفيف حدة التوتر ، فاتصلت بوزير خارجيتها الذى تصادف وجوده بأمريكا ، وأمرته بابلاغ وزير خارجية الولايات المتحدة تأكيد اسرائيل انه اذا كان العرب يخشون هجوما اسرائيليا وشيك الوقوع فان اسرائيل لا تعتزم الهجوم ٠٠

وتمت المحادثة التليفونية بين ايبان وكيسنجر فى الساعة الواحدة وعشر دقائق ظهرا حسب توقيت القاهرة ..

وفى نفس الوقت نصحت السيدة مائير وزير دفاعها بالتفكير فى توجيه ضربة اجهاض ضد القوات المصرية .. فقد كان التوقع أن تهجم مصر فى آخر ضوء نفس اليوم .. وكأنما عاد الزمن ست سنوات الى الوراء ، الى ٢٧ مايو ١٩٦٧ ، عندما انتهجت اسرائيل نفس أسلوب التخدير لكسب الوقت لتوجيه ضربة ٥ يونية الغادرة ..

ثم أمرت السيدة مائير الجنرال ديان برفع درجة استعداد القوات المسلحة الى أقصى حالاتها مع البدء فى التعبئة القومية .

****

اما على جبهة القناة كان المشهد بالغ العجب .. ففى الضفة الغربية كانت جماعات من جنود مصر يجلسون على حافة القناة فى استرخاء وتكاسل ، البعض يمص أعواد القصب ، والبعض يمص رحيق البرتقال ، وهناك من يسبح فى القناة ، ومن يصطاد سمكاً .. والشركات المدنية جد نشطة بمعداتها الميكانيكية فى تعلية الساتر الترابى على الضفة الغربية .. والجميع فى متعة وخلو بال ، وقد تركوا أسلحتهم وخوذاتهم فى الخنادق الخلفية امعانا فى خداع العدو بينما كان الجيشان الميدانيان فى أقصى درجات الاستعداد للوثوب الى الشرق ..

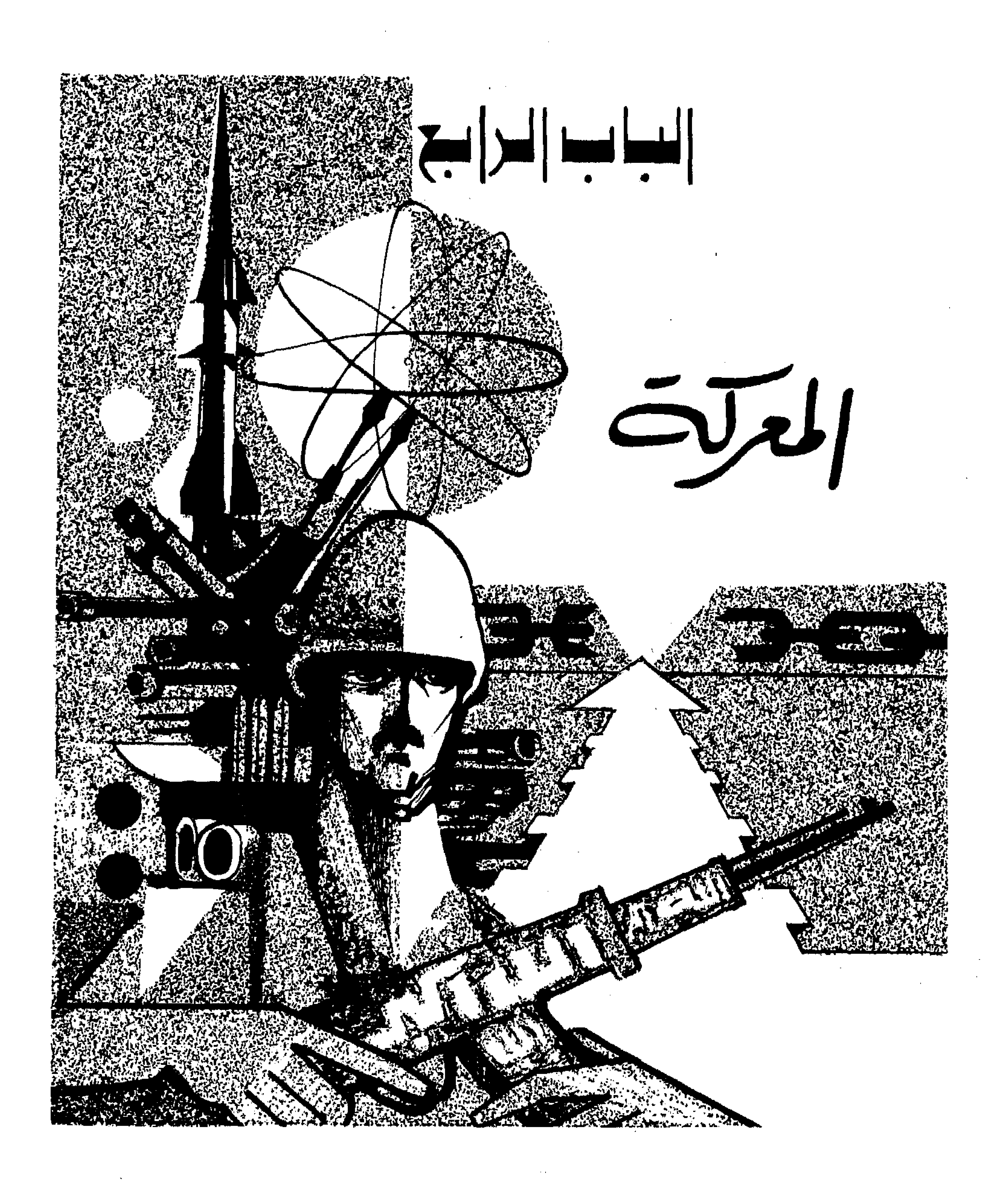
وعلى الضفة الشرقية ، راح بعض جنود اسرائيل يلعبون الكرة ، والبعض الآخر يجهزون ولائم العيد ، والمراقبون الاسرائيليون قد خلعوا خوذاتهم ، وجلسوا فى أبراج المراقبة يلعنون ظروف الخدمة فى هذا المكان المنعزل يوم عيد الغفران .. ويتثاءبون من رتابة الحال وركود الموقف سنوات اثر سنوات ..

****

وكان هذا هو المشهد فى الثوانى السابقة على بدء حرب رمضان .. ثم انفجر البركان .

الباب الرابع

المعركة



الحرب... للسلام

[من الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر الى الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣]

كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية وخمس دقائق من بعـد ظهر ٦ أكتـوبر ١٩٧٣ عندما عبـرت طائرات سوريا ومصر خطوط المواجهة مع اسرائيـل ، واتجهت نحـو أهدافهـا المحددة فى الخطة المشتركة ، ثم هدرت مدافع العرب على طول الجبهتين الشمالية والجنوبية فى أقوى تمهيد نيرانى شهده الشرق الأوسط .

فعلى الجبهة المصرية انطلقت مائتـا طائرة مصرية تشق عنان السماء ، فى طريقها المرسوم الى عمق سيناء ، حيث تقع أهدافها المنتخبة بحذق ومهارة ، لتنفيذ الضربة الجوية المركزة التى كان عليها تحطيم ثلاثة مطارات وقواعد جوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية ، بالاضافة إلى عدد آخر من محطات الرادار ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وكافة حصون العدو شرق بور فؤاد .

وفى نفس اللحظة هدرت نيران أكثر من ألفى مدفع على طول الجبهة ، بين مدفعية ميدان ، ومدفعية متوسطة وثقيلة ، ومدفعيات وهاونات تشكيلات ووحدات المشاة والمدرعات ولواء صواريخ تكتيكية متوسطة المدى أرض / أرض ..

وبينما استمر الألفا مدفع ونيّف تصب حممها على خط بارليف ونقطه الحصينة ، بدقة وكثافة لم يسبق لها مثيل ، ولمدة ٥٣ دقيقة كاملة ، راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر المحكم التصويب على دشم العدو وأهدافه المنظورة ، التى نجح المراقبون فى كشف خباياها رغم ما بذله العدو من جهد ومال لاخفائها وتمويهها عن المراقبة الأرضية والجوية ..

وتحت ستر هذه النيران القاتلة ، التى ناهز وزنها الاجمالى ثلاثة آلاف طن على امتداد فترة التمهيد النيرانى للعبور المجيد ، أخذت جماعات من الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات تعبر مياه قناة السويس ، لتبث الألغام والشراك فى مصاطب دبابات العدو ، وتقيم الكمائن على طرق اقتراب المدرعات الى القناة ، لتشل حركتها ، وتمنعها من التدخل فى عملية الاقتحام الوشيكة ..

لقد كانت الساعة الثانية وخمس دقائق هى ساعة البدء التى حددها الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقيادة الاتحادية المصرية والسورية . كما كانت هى الساعة التى طال انتظار العرب لها .. ليثأروا لنكسات سابقة ، ويستردوا حقوقا مسلوبة .. كانت هى الساعة التى أراد العرب أن يبدأوا فيها الجولة الرابعة مع اسرائيل ..

وسرعان ما تتابعت الأحداث الجسام .. فى وتيرة عالية .. ثم استمر تتابعها ثلاثة وعشرين يوما حافلا بأخطر الأمور .. أيام كلها مشحونة بالقتال الضارى العنيف .. الذى تحطمت خلاله أساطير ، وتهاوت نظريات ، وسقطت عقائد ، وتوارت استراتيجيات ، وانكشف الزيف للمزاعم الصهيونية الباهتة ، وافتضحت الدعاوى الاسرائيلية الرخيصة ، التى طالما نفخت بها أبواق الدعاية الاسرائيلية على امتداد ربع القرن المنصرم ، عن العرب .. وتخلفهم الحضارى المزعوم .. والفجوة التكنولوجية التى تمسك بتلابيبهم .. وعن نظريات الغزو والتوسع الاسرائيلى .. وأمن اسرائيل والحدود الآمنة .. والجيش الذى لايقهر .. والذراع الطويل وحصانة خط بارليف الرهيب .. وكل تلك الأكاذيب والافتراءات التى نقلتها أجهزة الاعلام الصهيونية عن تل أبيب ، ثم راحت تروج لها بامكانياتها

الواسعة في مشـارق الأرض ومغاربهـا ٠٠ حتى صدقها الكثيرون ٠٠ وقديما قيل « يستمر الرجل يكذب حتى يصدقه من حوله ٠٠ ثم يكذب حتى يصـدق نفسه ٠٠ وهنا تقع الطامة » ، وقد وقعت باسرائيل فزلزلت بنيانها المنفوش ٠

لقد صدقت اسرائيل أكاذيبها ، حتى خرج عليها يوم ٢٤ أكتوبر رئيس دولتها ابراهام كاتزير يوقظها من أحلام الخيال ، ويكشف لشعبها المخدوع طرفا من الحقائق الأليمة فيقول ٠٠

« لقد كنا نعيش فيما بين عام ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ في نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش في عالم من الخيـال لا صلة له بالواقع ٠ وهذه الحـالة النفسية هي المسئولة عن الأخطاء التي حدثت قبـل حرب أكتوبر ٠ وفي الأيام الأولى للحرب ، لأنها كانت قد تفشت في كل المجالات العسـكرية والسياسية والاجتماعية ، وأحدثت فيها مواطن ضعف خطيرة ، يجب على الاسرائيليين جميعا أن يتحملوا مسئوليتها ، وعلينا أن نتعلم بعد هذه الحرب الفظيعة أن نكون أكثر تواضعا وأقل نزوعا الى المـادية ، كما يتحتم علينـا أن نبذل كل طاقتنـا لازالة الفجوة الاجتماعية ، والتغلب على المـادية التي أحدقت بنـا » ٠٠

وقبل أن يتكلم ابراهام كاتزير ، وبعد أن تكلم ، كانت الحقائق تفـرض نفسها على المسرح ٠٠ فيتناقلها العالم أجمع بين الدهشة والانبهار ٠٠

* فعن أكذوبة التخلف الحضاري العربي التي أفترتها اسرائيـل بعد جولة ١٩٦٧ ٠٠ خرجت جريدة الفيجـارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر تقول « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة تشتبك في حرب طويلة الأمد مع اسرائيـل التي تكافح اليوم لكي تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليـه حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » ٠

* وعن الفجوة التكنولوجية التي زعمت اسرائيل أنها سوف تحرم العرب من اللحاق بها حتى منتصف القرن الواحد والعشرين على أقل تقدير ، قالت مجلة نيوزويك الأمريكية يوم ٢١ أكتوبر ٠٠ « ان ثقة اسرائيل في تفوقها التكنولوجي على العرب قد سقطت » ٠

كما قالت مجلة الأبزرفر البريطانية قبل ذلك بيوم واحد ٠٠ « يبدو الآن أن مصر قد لحقت باسرائيل بل وسبقتها تكنولوجيا » ٠

ثم قالت مجلة تايم الأمريكية يوم ٥ نوفمبر ٠٠ « ان التكنولوجيا المصرية قد جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال يذهب فى ذمة التاريخ » ٠

* وعن سياسة اسرائيل التوسعية ٠٠ قال اليهودى ناتان ليفنجستون الأستاذ بجامعة كوينز كولج فى جريدة التايمز اللندنية يوم ١٣ أكتوبر ٠٠ « أن عدوان اسرائيل وسياستها التوسعية التى تحاول فرضها عن طريق الحرب واقامة المستوطنات هى التى تسهم الى حد كبير فى استمرار النزاع فى الشرق الأوسط » ٠

وقالت جريدة النجم الأحمر السوفيتية فى نفس اليوم ٠٠ « ان تل أبيب قد بدأت تدفع ثمنا غاليا لسياسة الغزو العدوانية التى تعتنقها » ٠

* وعن نظرية الأمن القومى الاسرائيلى ، نقلت وكالة رويتر عن تل أبيب يوم ٢١ أكتوبر افتتاحية العدد الأسبوعى للجيروسالم بوست التى تحمل تساؤلا يراود الاسرائيليين الذين عجزوا عن طرحه لعدم شعورهم بالأمن وهو ٠٠ « ما الذى حدث ؟ وأين يكمن الخطأ ؟ » ٠

أما جريدة لومانيتيه الفرنسية فتؤكد فى عددها الصادر يوم ١٧ أكتوبر ٠٠ « ان الأحداث الخطيرة التى تجرى الآن فى الشرق الأوسط توجه ضربة قاتلة لنظرية الحدود الآمنة كما يفهمها حكام تل أبيب » ٠

وقبل ذلك صرحت جريدة الديلى تلجراف اللندنية يوم ١٥ أكتوبر بأن ٠٠ « أسطورة الأمن الاسرائيلى قد تحطمت تماما ، ويجب على اسرائيل بعد الآن أن تتخلى عن فكرة أن أمنها يمكن أن يتحقق بمجرد احتلال قطعة من الأرض دون اى برنامج سياسى » ٠

* وعن أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ، قال أريك سيلفر مراسل الجارديان البريطانية فى القدس ٠٠ « كانت الصدمة الحقيقية لحرب يوم الغفران هى أن الجيش الاسرائيلى قد بدا فى مظهره على نحو لا يختلف عن سائر الأنشطة فى اسرائيل ، لقد كان الجيش بعيداً عن

الاتقان فى تصرفاته ، وكان يرتجل ، وقد دهمته الأمور وهو فى اغفاءة تنم عن تكاسل ورضا » ٠

أما جورج ليزلى رئيس المنظمة اليهودية فى ستراسبورج فيقول يوم ٢٩ أكتوبر فى نفس المعنى ٠٠ « لقد أسفرت الجولة الرابعة عن كارثة كاملة بالنسبة لاسرائيل ، فنتائج المعارك والانعكاسات التى بدأت تظهر عنها فى إسرائيل تؤكد أهمية الانتصارات التى حققتها القوات العربية فى المعركة ، تلك الانتصارات التى أنهت الشعور بالتفوق الاسرائيلى وجيشها الذى لا يقهر ، وأكدت كفاءة المقاتل العربى وتصميمه وفاعلية السلاح الذى فى يده » ٠

* وعن ذراع اسرائيل الطويل وقواتها الجوية الرادعة ، يقول توماس تشيتهام مراسل وكالة اليونيتدبرس من تل أبيب يوم ١٦ أكتوبر ٠٠ « ان الطيران الاسرائيلى لم يتمكن من تحقيق النجاح الذى كانت عامة الشعب الاسرائيلى تتوقعه له قبل الحرب ٠ لقد وضح من خلال سير العمليات أن التأكيدات الرسمية التى كانت تتحدث عن قدرة القوات الجوية الاسرائيلية على القيام بعمل سريع ضد العرب فى حالة تجدد القتال كانت مزاعم غير دقيقة » ٠

أما جان فرنسوا لى موف فيقول يوم ٢٧ أكتوبر ٠٠ « لقد شد انتباه الخبراء الغربيين الذين درسوا سير الصراع العربى الاسرائيلى وفنون الحرب التى استخدمها المتصارعون أنه بينما انتصر الاسرائيليون عام ١٩٦٧ بفضل تفوقهم الجوى الكامل ، اذ بنشاطهم الجوى يضمحل هذه المرة فى القتال والقصف بفضل تسلح العرب بالصواريخ سام ٠ ويرى بعض الخبراء العسكريون أن مبدأ التفوق الجوى الذى أعترف به خبراء الاستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية قد يعاد النظر فيه على ضوء أحداث الجولة الرابعة ، بينما لا يتردد البعض الآخر فى تأكيد أن هذا المبدأ قد انهار تماما » ٠

* وعن مخابرات اسرائيل التى « لا تفوتها شاردة ولا واردة » فلعل ما حدث ذو دلالة خاصة وهو أن تستهل لجنة تقصى الحقائق عملها فى البحث عن أسباب الهزيمة العسكرية فى جيش اسرائيل يوم ٢٧ نوفمبر برئاسة القاضى شمعون اجرانات رئيس المحكمة العليا الاسرائيلية ، فتبدأ بالتحقيق مع الجنرال الياهو زعيرا رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية ، الذى سبق توجيه الكثير من النقد والاتهامات الى جهازه

لاساءته تقدير الموقف على الجبهتين المصرية والسورية ، مما جعل اسرائيل تفاجأ بالحرب ، وكادت هذه المفاجأة أن تعرضها لكارثة محققة • هذه المفاجأة التى وصفها الجنرال حاييم بارليف فى الصنداى تايمز يوم ٩ ديسمبر بقوله •• « لقد هاجمونا ونحن فى غفلة » •

ثم لا يقف الأمر عند أجهزة مخابرات اسرائيل بل يتعداها الى مخابرات الولايات المتحدة الأمريكية نفسها التى أكدت مجلة يو اس نيوزاند ورلد ريبورت • « ان هناك دلائل تشير الى أن وزارة الدفاع الأمريكية غير راضية عن تقارير المخابرات التى تلقتها عن الاجراءات الحاسمة حول الحرب فى الشرق الأوسط ، والدليل على ذلك أن ثلاثة من كبار الضباط فى وكالة المخابرات الأمريكية قد اقيلوا من مناصبهم بصورة مفاجئة فى نهاية شهر أكتوبر ١٩٧٣ » •

* وعن خط بارليف المنيع يقول الناقد العسكرى باولوبترونى فى مجلة أنابيلا الاسبوعية الايطالية الصادرة فى ٣٠ أكتوبر •• « ان خط بارليف الذى شيدته اسرائيل على غرار خط ماجينو قد تحطم تحت ضربات القوات المصرية ، تماما كما سقط خط ماجينو منذ ٣٤ عاما •• لقد فر الجنود الاسرائيليون من هذا الخط بعد أن كانوا يجلسون فى خنادقه وهم يلتقطون أنفسهم وقد علت القذارة ابدانهم وشحبت وجوههم •• لقد فرت فلولهم من الجحيم الذى اطلقه عليهم الهجوم المصرى المفاجىء » •

* وعن شرعية العمل العربى العسكرى صرح انتونى ناتنج الوزير البريطانى السابق لجريدة التايمز يوم ١٣ أكتوبر يقول •• « هل يمكن أن يوصف بالعدوان رجل يذود عن أرضه ضد جيش احتلال طالبته أعلى سلطة دولية مرارا وتكرارا بالانسحاب ؟ •

وهل يصل الافتراء بالبعض الى درجة الزعم بأن مثل هذه المحاولة الباسلة لاسترداد الأرض تشكل تهديدا على وجود المحتل فيها ؟ •

ان اللعب بالألفاظ والحقائق بهذه الطريقة الرخيصة يشكل وضعا مشينا » •

وفى نفس المعنى تساءل ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا يوم ٩ أكتوبر •• « هل تعنى محاولة عودة أناس الى ديارهم ـ بالضرورة ـ عدوانا مفاجئا ؟ » •

* وعن اعجاز العبور قال الرئيس محمد أنور السادات ••• « ان القوات المسلحة قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى » •••

اما توماس تشيتهام مراسل وكالة ى• ب• أ فى تل أبيب فيقول يوم ١٢ أكتوبر ••• « لقد واجهت اسرائيل كارثة مثل بيرل هاربور تماما ، وسوف تأتى بعدها فضيحة ووترجيت أخرى ، فمن الواضح أن اسرائيل على أبواب فضيحة • لقد عبرت القوات المصرية السورية خطوط وقف اطلاق النار فجأة يوم السبت ٦ أكتوبر • وقد أمسكت هذه العملية بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل » •

وفى نفس المعنى يقول هارولد سيبيف مراسل الديلى تلجراف بالقاهرة يوم ٢٩ أكتوبر « لقد غيرت الساعات الست الأولى من يوم ٦ أكتوبر ، عندما عبر الجيش المصرى قناة السويس واقتحم خط بارليف ، غيرت مجرى التاريخ بالنسبة لمصر ، وبالنسبة للشرق الأوسط كله » •

* وعن الشرف والكرامة العربية فقد ناشدت جريدة الصنداى اكسبريس اللندنية يوم ١٤ أكتوبر الرئيس السادات بوقف القتال •• « بعد أن سلم الشرف العربى ، وأصبح الرجل الذى يمكنه وقف النار صباح اليوم هو الرئيس السادات » •

وكتب فى نفس المعنى أديبنا الكبير الأستاذ توفيق الحكيم فى جريدة الأهرام القاهرية يوم ٩ أكتوبر قائلا « عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء •• ومهما تكن نتيجة المعارك فان الأهم الوثبة •• فيها المعنى أن مصر هى دائما مصر •• تحسبها الدنيا قد نامت ولكن روحها لا تنام • واذا هجعت قليلا فان لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام •• سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر » •

ثم خرجت صحيفة المجاهد الجزائرية يوم ٢٣ أكتوبر بافتتاحية تقول فيها •• « ان الأمة العربية كلها تحس اليوم بفخر عظيم وشكر عميق لجيوش مصر وسوريا التى حققت للعرب أول انتصار لا رجوع فيه ، ومهما تكن النتائج النهائية للمعركة فسوف تبقى حقيقة أنها أنهت مهانة ١٩٦٧ ، وجددت الكرامة العربية » •

* وعن السبب الحقيقى وراء رضوخ اسرائيل لقرار ايقاف النيران قالت نيوزويك الأمريكية فى عددها الصادر يوم ٢٩ أكتوبر •• « من العوامل التى دفعت اسرائيل الى قبول وقف اطلاق النار أنها كانت تترنح وتئن تحت وقع خسائرها المروعة » •

* وعن كشف الأرباح والخسائر للجولة العربية الاسرائيلية الرابعة أذاعت وكالة ن٠ ى٠ ت يوم ١١ نوفمبر « ان المصادر العسكرية الأمريكية قد أكدت أن الميزان الاستراتيجي فى الشرق الأوسط قد مال بعد حرب أكتوبر ٧٣ لصالح العرب » ٠

أما مجلة نيوزويك الأمريكيــة فقالت في عددها الصــادر نفس اليوم ـ « ان الحرب الأخيرة قد كلفت اسرائيل غاليا ، ولولا وقف النار لوجدت تلك الدولة الصغيرة نفسها وقد اقتصرت فى معيشتها على الكفاف ٠ ان الحزام مشدود الآن على البطون فى اسرائيل الى أقصى درجة ممكنة » ٠

وكتبت جريدة يوركشاير بوست يوم ١٥ أكتوبر تقول ٠٠ « ان هناك أمرا واحدا مؤكد تماما الآن ، وهو أن العرب أصبحوا فى الوقت الحـاضر فى مركز تفاوض أقوى بكثير مما كانوا عليه من أسبوع مضى ، وان اسرائيل قد أصبحت فى مركز أسوأ بكثير مما كان العرب أو أى أحد يعتقده ممكنا قبل بداية الحرب » ٠

ومن البنتاجون صرحت وكالة ى٠ب يوم ٢٩ أكتوبر بأن توقعات المسئولين العسكريين الأمريكيين تقدر الخسائر الأولية لاسرائيل فى حرب أكتوبر بحوالى ١٠٠٠ دبابة و ٢٠٠ طائرة وما بين ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ قتيل وجريح ٠

ومن تل أبيب أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٩ أكتوبر ٠٠٠ « ان الشعور بالألم يسود شوارع اسرائيل حيث الوجوه مقطبة وجامدة ، ولم يحدث من قبل أن تركت حرب مثل هذا الشعور بالحسرة والمرارة فى اسرائيل ٠ انه لم يعد يتردد فى اسرائيل اليوم سوى سيرة الموت هنا وهناك » ٠

☆☆☆☆☆☆☆☆

مراحل القتال

هكذا ، وعلى امتداد ثلاث وعشرين يوما من القتــال الضــارى النشط ، فيما بين الساعة الثانيــة وخمس دقائق يوم ٦ أكتوبر ، عندما انطلقت طائرات العــرب تشق عنان السماء ، وهدرت مدافع العرب تدك حصون اسرائيل ، وحتى الساعة ١٢٣٠ ظهر يوم ٢٨ أكتــوبر

عندما توقفت نيران الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل ، انقسم القتال طبقا لحجمه وطبيعته الى خمس مراحـل متميزة هى :

المرحلة الأولى ولمدة ثمانية أيام فيما بين ٦ ، ١٣ أكتوبر

وتم خلالها اقتحام قناة السويس ، واحتـلال خط بارليف الحصين وقلاعه القوية ، والاستيلاء على رؤوس الكبارى للألوية ثم الفرق ثم الجيوش الميدانية وتعزيزها ٠

وبدأت هذه المرحلة بتوجيه الضربة الجوية المفاجئة المركزة العربية ، وبالتمهيد النيرانى الكثيف على كل من جبهتى القتال ، بدرجة عاليـة من التنسيق نوهت عنها الدوائر العسكرية الأمريكية يوم ١٠ أكتوبر ، ونقلتها عنها وكالة الأنباء الفرنسية الى كافة أرجاء المعمورة بقولها ٠٠ « لقد نسقت مصر وسوريا جهدهما العسكرى بصورة رائعة لم يسبق لها مثيل من قبل ، كما أنهما استوعبتا كافة دروس الجولات السابقة » ٠

كما أكدت الجارديان البريطانيـة فى نفس اليوم ٠٠ « ان الجيش المصرى والسورى قد برهنا أنهما أفضل تدريبا وأحسن تشكيلا واستعدادا وأشد جلدا وأفضل عتادا عما سبق » ٠

وعندما أشارت عقارب الساعة الى الثانيـة والثلث كانت الأمواج الأولى من طائراتنا تعبر القناة عائدة من مهامها الناجحة ، بعد أن قصفت أهدافها فى عمق سيناء حتى حطمتها ٠

وفى نفس اللحظة إمتلأ المكان بصيحات ثمانية آلاف من المقاتلين البواسل . صمم مهجة مصر وفلذة كبدها . يصرخون بأعذب الكلمات وأسماها .. الله أكبر .. الله أكبر .. وامتلأت صفحة الماء بقوارب المطاط .. واندفعت موجات الإقتحام الأولى والعيون تحدق من المقل شوقاً إلى الرمال الذهبية الحبيبة . التى أمض القلوب لوعة الحنين إليها . وعندما وصل الرجال إلى الضفة الشرقية .. كانت اللحظة ، وكان الحدث الذى طال إنتظارهما ..

وانطلق الجنود البواسل يصعدون ساترا ترابيا مليئا بكل ما تفتق عنه ذهن الصهاينة الجهنمى من شراك ومفجرات وألغـام ، ثم تحولوا الى قلاع خط بارليف يهدمونها بأسلحتهم تارة ، وبسواعدهم تارة أخـرى ، وبأنيابهم وأظافرهم أكثر الوقت ..

واستمرت صيحتهم تملأ الأسـماع .. الله أكبر .. الله أكبر .. والفيض لا ينقطع من الأمواج اللاحقة ، تقتحم وتنضم اليهم على أغلى ثرى فى أشرف مهمة . حتى تم لهم الاستيلاء على رؤوس كبارى الألوية ثم الفرق المشاة ، الى أن وحدوها جميعا فى رأس كوبريين لجيشين ميدانيين .

المرحلة الثانية ولمدة يوم واحد هو يوم ١٤ أكتوبر

وتم فيها تطوير الهجوم شرقا نحو مضايق سيناء الغربية بهـدف تخفيف ضغط قوات العدو البرية والجوية على الجبهة السورية الشقيقة ، وجذب جهد العدو الرئيسى نحو سـيناء .. وبمجرد أن أيقنت القيـادة الاتحادية من تحقيق ذلك ، وبعد أن حول العدو بجهوده الجوى صوب مصر ، وبدأ فى تحريك احتياطياته المدرعة الى سيناء ، رأت أنه من الحكمة والحذق أن تشدد قبضتها على رؤوس الكبارى المكتسبة عبر القناة ، وأن تواصل دعمها حتى تجعل منها الصخرة المنيعة التى تتحطم عليها كل أمواج العدو المهاجمة ، بالغا ما بلغت قوتها وكثافتهـا ، على أن يؤجل تطوير الهجوم شرقا لمرحلة تالية طبقا للخطة الموضوعة مسبقا .

المرحلة الثالثة ولمدة ثلاثة أيام فيما بين ١٥ ، ١٧ أكتوبر

وتم خلالها صد وتدمير كافة هجمات العدو وضرباته المضادة التى ركزها ضد رؤوس الكبارى شرق القناة ، وبصفة خاصة على الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى ، فى محاولة مستميتة لتصفية رأس كوبرى هذه الفرقة الباسلة ، ثم الجيش الثـانى بالتالى ، توطئة لاعادة الاسـتيلاء على شريحة من الضفة الشرقية شمال البحيرات المرة لستر عبور بعض مفارزه المدرعة الى الضفة الغربية لتدمير ما يمكن تدميره من مواقع صواريخ الدفاع الجوى ، الى جانب ما يمكن أن تحققه مثل هذه العملية التليفزيونية كما أسـماها الجنرال الفرنسى أندريه بوفر من كسب أعلامى ترفع به الروح المعنوية المنهارة فى اسرائيل ، وتحجب بعض آثار الأعمال الحربية المجيدة التى حققتها القوات العربية المسلحة على جبهتى مصر وسوريا فى المرحلتين السابقتين ، والتى كانت قد هبطت بمعنويات شعب اسرائيل الى الحضيض .

المرحلة الرابعة ولمدة خمسة أيام فيما بين ١٨ ، ٢٢ أكتوبر

وتم خلالها ادارة أعمال القتال النشطة على الضفة الغربية لقناة السويس فى القطاعين الأوسط والجنوبى بين الطرفين المتصارعين ، حيث راح العدو يدفع بمزيد من القوات الى الغرب ، ويحاول بكل السبل توسيع رقعته غرب القناة ، ثم الاستيلاء على احدى مدن القناة الرئيسية (الاسماعيلية أو السويس) بأى ثمن ، ومهما بلغت الخسائر ..

بينما أدارت القوات المصرية قتالا ضاريا ضد العدو شرق وغرب القناة ، وقصفته بالطائرات والصواريخ والمدفعية ، وهاجمته بالمدرعات والمشاة والقوات الخاصة والدفاع الشعبى ، لحصره وتثبيته ، توطئة لاتمام تدميره ، بينما استمرت تتمسك بقوة واصرار برؤوس الكبارى المقامة على الضفة الشرقية ..

ثم جاء قرار وقف اطلاق النار الذى أصدره مجلس الأمن يوم ٢٢ أكتوبر بمبادأة وضمان الدولتين الكبريين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى) ، وتأييد المجتمع الدولى بأكمله .. وأعلنت الأطراف المتحاربة عن قبوله بحيث تسرى أحكامه على القوات فى المسرح فى تمام الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

المرحلة الخامسة ولمدة ستة أيام فيما بين ٢٣ ، ٢٨ أكتوبر

قبلت إسرائيل القرار وهى تضمر العدوان .. وكان وقف النار هو التأمين المنشود لما تعتزم شنه من عدوان جديد ، والانتشار فى حمى قرار وقف اطلاق النار ، على حد تحليل الجنرال أندريه بوفر لأحداث هذه المرحلة فى ندوته التى عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية العليا صباح يوم الخميس ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

نعم .. استغلت اسرائيل القرار لتأمين مغامرتها الجديدة حتى تجعل من موقفها الميئوس منه غرب القناة وضعا محتملا وقابلا للاستمرار ..

ولهذا راحت قواتها تضغط بجنون نحو مدينة الاسماعيلية ، فلما فشلت .. تحولت عنها الى السويس .. وتزايدت خسائرها بصورة رهيبة .. الى أن أعلنت عن قبولها ايقاف النار صباح ٢٥ أكتوبر ، وان استمرت فى القتال حتى فصل مراقبو الأمم المتحدة بين جنودها وجنود مصر ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ .

لقد كانت الجولة الرابعة هي المرة الأولى التى مارس فيها العرب العمل التعرضي وانتزعوا المبادأة من اسرائيل ، بعد صبر طال أمده وتجاوزت سنواته ربع قرن ٠

وبفضل التخطيط الحاذق والحشد المكتوم والفتح الماهر وشجاعة الرجال تهاوت نظريات وقامت نظريات ، وسقطت عقائد وارتفعت عقائد ، واحتجبت استراتيجيات وبرزت استراتيجيات ٠

ولم تعد صنعة الحرب قبل السادس من أكتوبر تماثل صنعتها بعده ، اذ صرح الجنرال ارمين زيمرمان المفتش الأعلى لجيش ألمانيا الاتحادية يوم أول نوفمبر « بأن القوات المسلحة الألمانية تقوم بتحليل الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة حتى تطبق الدروس المستفادة منها لتزيد من فاعلية قواتها المسلحة ، وأن ثمة ٣٥٠ ضابطاً من قادة الجيش الألماني خرجوا من هذا التحليل بدروس هامة » ٠

أما مراسل مجلة الأوبزرفاتور الفرنسية فيقول ٠٠ « ان الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل قد أثبتت أنها أحد الأحداث الخمسة أو الستة الهامة فى التاريخ الحديث ، ويمكن أن نضعها على قدم المساواة فى أهميتها السياسية والفلسفية الى جانب الفتوحات الاسلامية الكبرى فى العصور الوسطى ، ومع النهضة التى حققها خلفاء بنى أمية ، ومع دحر الصليبيين ، والنهضة العربية والمصرية ، وتأميم قناة السويس ٠ وهى قطعاً ليست مجرد نصر عسكرى ، ولكنها خطوة حاسمة قد تضع حدا فاصلا لأفول نجم العرب الذى استمر خمسة قرون » ٠٠

الفصل الأول

تحطيم الأسطورة



تحطيم الأسطورة

المرحلة الأولى للعملية الهجومية الإستراتيجية "بدر"
اقتحام قنـاة السويس والاستيلاء
على رؤوس الكبارى وتعزيزها ..

٦ - ١٣ أكتوبر ١٩٧٣

أروع الأيام

• بدأ القتال سعت ١٤٠٥ بعبور طائراتنا الخطوط الأمامية للعدو شرق القناة والبدء في تنفيذ الضربة الجوية المفاجئة المركزة بقوة ٢٠٠ طائرة ضد أهداف العدو في سيناء ، والتى تضمنت ثلاثة مطارات وقواعد جوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية وبعض محطات الرادار ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وكل حصون بارليف شرق بور فؤاد . وقد نجحت هذه الضربة الجوية تماما وكانت خسائرنا فيها محدودة للغاية .

وفى نفس الوقت فتحت المدفعية المصرية نيرانها على طول جبهة قناة السويس ، وبلغ اجمالى قطع المدفعية المشتركة فى التمهيد النيرانى أكثر من ألفى مدفع وهاون ، بالاضافة الى لواء صواريخ تكتيكية أرض / أرض ٠

واستمرت المدفعية تصب حممها لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ، ونقطه القوية ، وتجمعات دبابات العدو ، وقيادته ، هذا بينما راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر على دشم العدو وأهدافه المنظورة ٠

وتحت ستر هذه النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات قناة السويس ، لتبث الألغام فى مصاطب دبابات العدو ، وتشل حركتها بالكمائن ، حتى تمنعها من التدخل فى اقتحام قواتنا لقناة السويس ٠

وفى الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد فى اقتحام قناة السويس ، مستخدمة حوالى ألف قارب اقتحام مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ثمانية آلاف جندى أقدامهم على الضفة الشرقية للقناة وهم يصرخون بملء حناجرهم ٠٠ الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ وبدأوا فى تسلق الساتر الترابى المرتفع ، واقتحام دفاعات العدو الحصينة ، وهم يحملون أسلحتهم الشخصية ، والأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ٠٠

وسرعان ما رفرفت أعلام مصر فوق سيناء الحبيبة ، فارتفع أول البنود فى الساعة ١٤٣٠ فى نطاق هجوم الجيش الثالث الميدانى ، ثم فى الساعة ١٤٣٧ فى نطاق هجوم الجيش الثانى الميدانى ، فكان ذلك دفعة معنوية هائلة للقوات اللاحقة أن تسرع بالعبور ٠ وفى نفس الوقت كانت الكتائب البرمائية تعبر البحيرات المرة من الجنوب ، وبحيرة التمساح عند الاسماعيلية ٠

وقامت القوات بحصار نقاط العدو القوية ومراكز مقاومته وقلاعه الحصينة ، وبدأت فى مهاجمتها وتدمير تحصيناتها ، وسقطت أولى حصون العدو ـ القلعة رقم ١ ، فى منطقة القنطرة شرق ـ فى الساعة ١٤٤٦ ٠ واستمرت القلاع تتهاوى بعدها ٠٠ وصدت قواتنا ودمرت هجمات العدو المضادة المحلية ٠٠ وحتى الساعة ١٥١٠ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو أربع طائرات فى الجبهة ٠

وتحت ستر قوات المشاة ونيران المدفعية تقدمت وحدات المهندسين العسكريين ، وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى ، وذلك باستخدام

طلمبات المياه القوية (مدافع المياه) ، واتمت فتح اول ممر منها فى زمن قياسى لم يتجاوز الساعة ، ثم استكملت فتح باقى الممرات على طول المواجهة فى الساعة ١٥٢٥ • وفى أثناء ذلك كانت وحدات اخرى من المهندسين تقوم باسقاط معدات (براطيم) المعديات والكبارى وتقيمها فوق مياه القناة ••

ونجحت قواتنا فى اقامة عدد كبير من المعديات ، كما أنشأت ١٠ كبارى ثقيلة و ١٠ كبارى مشاة • وبدأ تدفق الدبابات والمعدات الثقيلة من الأرض المصرية فى الغرب الى الأرض المصرية فى الشرق •• وسار العمل دقيقا بأكثر مما توقعه أحد •• وأثبتت الخطة كفاءتها ، وكانت المهام تنفذ بجسارة واقتدار • وحتى الساعة ١٥٢٩ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو سبع طائرات بين فانتوم وسكاى هوك ••

وفى الساعة ١٥٥٠ استأنفت اذاعة اسرائيل ارسالها بعد صمت طويل منذ الصباح الباكر مراعاة لطقوس عيد الغفران ، وأصدرت نداء سافرا لقواتها الاحتياطية للتوجه فورا الى مراكز التعبئة والحشد • وفى الساعة ١٦٠٠ شعرت القيادة الجوية الاسرائيلية فى أم مرجم بأن قصف الطائرات والصواريخ المصرية للمنطقة قد أخل بالسيطرة من مركز القيادة فى هـذه المنطقة ، فقررت نقل السيطرة على القوات الجوية الى العريش •

وفى الشمال ـ على ساحل البحر الأبيض المتوسط ـ قام جزء من قوات قطاع بورسعيد بهجوم مخادع على قلعة العدو الحصينة الموجودة شرق بور فؤاد ، وذلك لجذب اهتمام العدو بعيدا عن القوات التى تقتحم القناة فى أصعب أماكنها بالمواجهة • ولمـا كان الطريق السـاحلى يؤدى مباشرة الى مركز قيادة العـدو الموجود فى منطقة رمانة ، فقد كان من المنتظر أن يوجه العدو جزءا محسوسا من احتياطياته المدرعة لايقاف هجوم أى قوات مصرية على هذا الطريق الساحلى ، وكذا توجيه جزء كبير من مجهوده الجوى هناك ••

ولقد صحت توقعات القيادة المصرية هذه ، اذ دفع العدو احتياطياته المدرعة الموجودة فى رمانة لنجدة تلك القلعة الحصينة ، ووجه مجهوده الجوى هناك •• وبذا تمكن ذلك الهجوم المخادع من تحقيق أهدافه ••

وظلت القوت المكلفة بقطع الطريق الساحلى شرق القلعة الحصينة متمسكة بمواقعها لتمنع اقتراب أى قوات للعـدو وذلك لمـدة يومين ، بالرغم من صغر حجمها ، اذ لم تزد قوتها عن فصيلة من الصاعقة •• وعادت بعد ذلك لتنضم الى قوات قطاع بور سعيد ، ومعها أسراها وغنائمها ، متسللة خلال قوات العدو ••

وفى نفس الوقت كانت وسائل دفاعنا الجوى قد حطمت للعدو ١١ طائرة فى الجبهة المصرية ، وبعد ٤٠ دقيقة ارتفع هذا العدد الى ١٣ طائرة مما أزعج كثيرا قائد القوات الجوية ، الجنرال بنيامين بيليد ، فأمر طياريه فى الساعة ١٧٠٠ بتحاشى الاقتراب من القناة لأقل من ١٥ كيلو متر شرقا ، وذلك بأشارة لاسلكية مفتوحة التقطتها اجهزتنا الخاصة • وعندما عاودت طائرات العدو نشاطها بعد ذلك كانت صواريخنا تقف لها بالمرصاد •

وقبل آخر ضوء السادس من أكتوبر كانت عشرات من طائرات الهليكوبتر المصرية تعبر قناة وخليج السويس وهى تحمل مجموعات من قوات الصاعقة ، صوب أهدافها المخصصة لها على طول المواجهة ، وعلى أعماق مختلفة وصلت الى ٣٠ ـ ٤٠ كيلو متر ٠٠ وتم ابرار تلك القوات بنجاح ، وبدأت فى تنفيذ مهامها المحددة فأنزلت بالعدو خسائر جسيمة ٠٠ وحرمت مدرعاته من حرية الحركة ٠٠

وفى الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيرا فى يد قواتنا فى منطقة جسر الحرش شمال الاسماعيلية ٠٠ وفى الساعة ١٨٢٩ اخطرت رئاسة الأركان العامة الاسرائيلية قيادتها المرؤوسة بالقنطرة عن انقطاع الاتصال مع قيادة جبهة سيناء الوسيطة ، وكلفتها أن تحل محلها فى قيادة كافة قوات اسرائيل على الجبهة المصرية ، الى حين أن تستعيد قيادة سيناء سيطرتها على هذه القوات ، بعد اصلاح وتعويض ما حطمته الطائرات والصواريخ المصرية من أجهزة ومعدات اشارة وسيطرة فى غاراتها المركزة عليها •

وفى أقل من ست ساعات ٠٠ وبالدقة فى الساعة ١٩٣٠ اتمت الفرق الخمس المشاة وقوات قطاع بور سعيد اقتحام قناة السويس على مواجهة ١٧٠ كيلو مترا ، بقوة ٨٠ ألف جندى من أعز أبناء مصر ، وذلك باستخدام قوارب الاقتحام المطاط ، ووسائل العبور والاقتحام الأخرى ، فى ١٢ موجة متتالية ٠٠ وأتمت الاستيلاء على ١٥ نقطة قوية للعدو ، واكملت حصار باقى النقط القوية ، كما تمكنت قواتنا من الاستيلاء على رؤوس الكبارى بعمق حتى ٣ ـ ٤ كيلومترا ٠٠

وهكذا دمرت قواتنا المسلحة فى اقل من ست ساعات خط بارليف الدفاعى وحطمت حصونه التى استمر العدو يتغنى بها كل السنوات الماضية ، وغسلت عار الهزيمة فى حرب الأيام الستة ، التى لم تكن القوات المسلحة سببها بل ضحيتها ، وحطمت اسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر ٠٠ واظهرت زيف نظرية الأمن الاسرائيلى ٠٠ وأعادت الأمور الى مجرياتها الصحيحة ، والمقاييس الى أحجامها الطبيعية فى منطقة الشرق الأوسط ٠٠

لقد كان عبور القادة مع القوات الى الضفة الشرقية أكبر الفضل فى تحقيق النجاح اذ عبر جميع قادة الكتائب المشاة القناة الى الضفة الشرقية بعد ١٥ دقيقة من بدء الاقتحام أى حـوالى الساعة ١٤٣٥ ، كما عبر قادة الألوية ومعهم قادة المدفعية المناظرين لهم فى الساعة ١٥٠٥ ، أما قادة الفرق المشاة وقادة مدفعياتها فقد عبروا بعد مضى ساعة ونصف من بدء الاقتحـام أى فى الساعة ١٥٥٠ ، وبذا اكتملت عناصر السيطرة على قتـال ونيران الفرق المشـاة والمدفعية التى تساندها ٠٠

وفى الساعة ٢١١٥ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو ٢٧ طائرة على جبهة مصر ، كما قصفت قاذفاتنا منطقة شرم الشيخ بالصواريخ فى الساعة ٢٢١٠ فأحدثت بها خسائر كبيرة ، وانقطع الاتصال بينها وبين وحداتها الفرعية ٠

وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت آبار ومنشآت البترول فى أبى زنيمة وسدر وفيران شعلة من النيران بفضل قوات الصاعقة المصرية ، التى قامت أيضا بمهاجمة مواقع العدو على طول الساحل الشرقى لخليج السويس ، وأقامت الكمائن على الطرق ، ومنعت تحركات العدو ، وأنزلت به خسائر جسيمة .

وقبل ان يبزغ فجر اليوم التالى كانت قواتنا قد عززت مواقعها شرق القناة بأعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة ٠ ونجحت قواتنـا خلال السابع من أكتوبر فى تعميق رؤوس الكبارى حتى ٨ كيلو متر شرقا فى المتوسط ٠ كما قامت قوات الجيشين الثانى والثالث الميدانيين ـ بمعاونة القوات الجوية ـ بصد الهجمات المضادة لاحتياطيات العـدو المحلية والقريبة والتكتيكية والتعبوية ، التى أطلقها العدو خلال ليلة ٦ ، ٧ وطيلة نهار ٧ أكتوبر من اتجاهات عدة ، وبقوات مختلفة ، بلغ اجمالها ثلاثة ألوية مدرعة ، بالاضافة الى عناصر الألوية المشاة التى كانت تتمركز شرق القناة مباشرة ٠

وفى الساعة ٠٨١٠ من صباح السابع من أكتوبر أبلغت قيادة قوات ميتلا ان الدبابات المصرية تحاصرها من كل جانب ٠ ولذلك قصة يحسن روايتها ٠٠ اذ اندفعت اقسـام صغيرة من المفرزة البرمائيـة التى عبرت البحيرات المرة ـ اندفعت دباباتها لتبث الذعر فى مواقع العدو ولتخل سيطرة العدو على قواته ٠ فانطلقت سرية ميكانيكية برمائية ومعها بعض الدبابات الفردية صوب مضيق ميتلا ، بينما اتجهت سرية أخرى صوب مضيق الجدى ٠٠

وتابعت السريتان تقدمهما ، وقامت الأولى بمهاجمة قيادة القطاع الجنوبى المتمركزة عند مدخل مضيق ميتلا وذلك فى الساعة ٨١٠ من صباح السابع من أكتوبر ، ثم واصلت هجومها ضد أهداف العدو الخلفية ، فباغتت موقعا للرادار فى منطقة ممر ميتلا فى الساعة ١٣٥٠ .. وكبدت العدو خسائر لا يستهان بها قبل أن تعود لتنضم الى قواتنا الرئيسية فى رؤوس الكبارى ..

أما السرية الأخرى فقد تابعت هجومها فى اتجاه مضيق الجدى ، وهاجمت بعض المواقع الصغيرة للعدو . وتجنبت الدخول معه فى معارك طويلة . اذ كانت تهدف الى الوصول الى مطار تمادا لتباغته .. ونجحت فعلا فى الوصول اليه فى الساعة ١٠١٠ من صباح الثامن من أكتوبر ، وهاجمته فأحدثت به خسائر جسيمة مما اضطر العدو الى توجيه طيرانه للبحث عن تلك القوة الصغيرة الجريئة التى اندفعت بعيدا فى أعماقه لأكثر من ٨٠ كيلو متر ..

الا أن هذه السرية تمكنت من الافلات بعد تنفيذ مهمتها وعادت للانضمام الى قواتها الرئيسية .. ولم تكتف بذلك بل قامت بمهاجمة موقع رادار للعدو أثناء عودتها ..

لقد كان لأعمال تلك القوات الصغيرة أكبر الأثر فى ارباك سيطرة العدو واخلال تحركاته .. بل وانهيار قياداته فى بعض الأوقات ، اذ تصور العدو أن الدبابات المصرية لن تتوقف قبل أن تصل الى الحدود .. رغم أن هذا لم يكن واردا فى مهمتها ..

وقبل أن ينتصف ليل ٧ / ٨ أكتوبر كانت الفرقة ١٨ المشاة قد حررت مدينة القنطرة شرق ، وأتمت احتلال جميع قلاع العدو وحصونه فى نطاق هجومها ، وعددها سبع قلاع ونقط قوية .

وقبل بزوغ الفجر أصدرت قيادة جبهة سيناء الاسرائيلية أمرا الى كافة جنودها بالقلاع والحصون فى رأس مسلة وشرق الشط وجنوب البحيرات وجنوب التمساح بترك قلاعهم وحصونهم ومحاولة الانضمام الى القوات الاسرائيلية عند المضايق . وسمحت لهم فى حالة تعذر ذلك أن يستسلموا بسلاحهم لجنود مصر .

الرجل الذى تحطم ..

وفى الساعة ٠٩٠١ من صباح الثامن من أكتوبر انقطع الاتصال بين تل أبيب ومطارى تماده والمليز بسبب القصف الجوى المركز لطائراتنا المقاتلة القاذفة . وتقول جريدة هاعولام هازيه الاسرائيلية فى عرضها لأحداث هذا اليوم الحافل « ان الجنرال موشى ديان قد انهار فى اليوم الثانى من حرب أكتوبر عندما حطمت

القوات المصرية كافة الهجمات الاسرائيلية فى سيناء ، ووصلت القوات السورية الى مسافة لا تتجاوز خمسة دقائق من وادى الأردن ، وأوقعت خسائر حسيمة فى الدبابات والطائرات الاسرائيلية ، حولت ديان الى رجل محطم » ..

وطوال نهار الثامن من أكتوبر استمر عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة فى نطاق الجيش الثالث بالرغم من تركيز العـدو مجهوده الجـوى لتدمير الكبارى هناك .. كما استمر عبور المدفعية والاحتياطيات فى نطاق الجيش الثانى . كما استمر عبـور عناصر الأسلحة المقاتلة والخـدمات والتشكيلات المهاجمة ، وانضمت الى وحداتها تباعا ..

ونجحت قوات الجيشين فى صد جميع الهجمات المضادة المعادية التى شنها العدو باحتياطياته المتقدمة من العمق ، وكبدتها خسائر كبيرة وخاصة فى الدبابات والأفراد ، واستمرت فى تطهير النقط القوية للعدو وقلاعه الحصينة . وبنهاية الثامن من أكتوبر تمكنت الفرق المشاة الخمس من انشاء رؤوس الكبارى المقررة بعمق ٨ ـ ١٠ كيلومترا .

تحقيق المهمة المباشرة

وخلال التاسع من أكتوبر أتمت القوات المسلحة تحقيق المهمة المباشرة (الأولية) بنجاح ، حيث قامت تشكيلات نسق أول الجيشين (الفرق المشـاة الخمسة) بتوسيع وتعزيز رؤوس الكبارى المحددة لها ، كما نجحت فى صد وتدمير هجمات العدو المضادة المركزة ، التى بلغ اجمالى القوات التى اشتركت فيها ثلاثة الوية مدرعة وثلاث كتائب دبابات ، بالاضافة الى القوات المرتدة من الهجمات السابقة ، وأوقعت قواتنا بالعدو خسائر فادحة .

واسـتمرت القـوات فى تطهير واتمـام الاستيلاء على بعض النقط القوية والقلاع ، التى أبدت بعض المقاومات الفردية .

وقامت قوات الفرقة ١٨ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب فؤاد عزيز غالى باتمام القضاء على بقايا العدو فى مدينة القنطرة شرق ـ ثانى مـدن سيناء ـ وأعلنت تحرير المدينة ، ورفعت أعلام مصر عليها .

ونجحت قوات الفرقة ٢ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب حسن أبو سعده ، وبالتعاون مع قـوات الفرقة ١٨ المشاة ، والاحتياطى المضاد للدبابات للجيش

الثانى ، الذى دفعه العميد أركان الحرب محمد عبد الحليم أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثانى فى هذا الاتجاه ـ بناء على أوامر اللواء محمد سعد الدين مأمون قائد الجيش الثانى ـ نجحت تلك القوات فى صد ضربة مضادة قوية للعدو شنها بلواءين مدرعين وكتيبة دبابات ، ودمرت قواتنا جزءا كبير من هذه القوات المعادية ، وأسرت أعدادا أخرى منها .

وخلال تلك الهجمات قامت قوات الفرقة الثانية المشاة بتدمير لواء مدرع كامل للعدو ، هو اللواء ١٩٠ المدرع ، وأسرت قائده ، وذلك فى الساعة ١٠٠٠ يوم التاسع من أكتوبر .

وقامت قوات الجيش الثالث بصد هجمات العدو المضادة والتى شنها بقوة لواء مدرع وكتيبتى دبابات ، بالاضافة الى العناصر المرتدة من الهجمات السابقة ، وتكبد العدو خسائر فادحة ، مما أدى الى فشل كل هجماته المضادة .

ودفع الجيش الثالث مفرزة قوية فى اتجاه الجنوب ، استولت على نقطة العدو القوية الموجودة فى منطقة عيون موسى ، وعلى بطاريتى مدافع ١٥٥ مم سليمتين ، حيث لم يتمكن العدو من نسف المدافع لشدة وطأة الهجوم المصرى ..

وجدير بالذكر أن هذه المدافع قد ثبتها العدو فى قواعد خرسانية داخل دشم قوية التحصين ، وطالما استخدمها خلال حرب الاستنزاف ضد الأهداف المدنية فى مدينة السويس ، وخاصة ضد مستودعات البترول جنوبها ـ كما أن الجدير بالذكر أيضا أن القوات المصرية بعد أن استولت على هذه المدافع قامت بنسفها لتعذر سحبها من مواقعها ، ولعدم امكان استخدامها الا فى اتجاه مدينة السويس .

وبنهاية التاسع من أكتوبر تم توحيد رؤوس كبارى الفرق لتشكل كل فرقتين رأس كوبرى واحد على مستوى الجيش بعمق ١٠ ـ ١٢ كيلو مترا كالآتى :

* رأس كوبرى الجيش الثالث .. من الفرقة ١٩ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب يوسف عفيفى ، والفرقة ٧ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب أحمد بدوى .

* رأس كوبرى الجيش الثانى .. من الفرقة ١٦ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب عبد رب النبى حافظ ، والفرقة ٢ المشاة . أما الفرقة ١٨ المشاة فقد قامت بتعزيز الخط المحدد لها على الاتجاه الشمالى المستقل أمام مدينة القنطرة .

كما قامت الفرق المشاة الخمسة بدفع مفارز متقدمة (مجموعات أمامية) مدعمة ، للسيطرة على طرق الاقتراب الى رؤوس الكبارى ، وكانت أكثرها نجاحا تلك المفرزة المتقدمة التى دفعت من فرقة العميد أركان الحرب فؤاد عزيز غالى ، والتى استولت على بعض معدات العدو سليمة (دبابات سنتريون وم ٦٠) ، بعد أن فر العدو وخلّفها وراءه .

****

وبهذا يمكن القول بأن الأنساق الأولى للجيشين الثانى والثالث الميدانيين قد أتمت تحقيق المهمة المرسومة لها فى التوقيت المحدد ، وذلك رغم المصاعب والعراقيل التى واجهتها .

لقد كان اقتحام قناة السويس واختراق خط بارليف والاستيلاء على رؤوس الكبارى والتمسك بها مثلا باهرا لمعركة الأسلحة المشتركة الحديثة ، حيث قام كل سلاح بأداء دوره المحدد طبقا لخطة منسقة تضمن توحيد الجهود لتحقيق النصر المنشود .

وعلى هذا الدرب قامت مختلف الأسلحة المقاتلة والقوات المتخصصة بأعمال مشكورة سوف تظل تدرس لأعوام طويلة فى مختلف المعاهد والمدارس العسكرية العالمية .. ولا يمكن هنا ـ فى هذا الكتاب المختصر ـ أن نوفيها جميعا حقها من الشرح ، فذلك يتطلب مجلدات ومجلدات .. ولكن نكتفى بالقاء بعض الضوء على ما قامت به بعض عناصرها فى اقتحام وتأمين قناة السويس ، واختراق خط بارليف ، والاستيلاء على مواقعه الحصينة وتدميرها .

* فعن المدفعيــة المصرية :

أتمت القوات المصرية الاستعداد لاطلاق النيران طبقا للخطة فى الصباح الباكر ليوم ٦ أكتوبر ، بعد أن دخلت آخر عناصر الصواريخ التكتيكية أرض / أرض الى مواقعها ، وتأهبت الصواريخ التعبوية لتوجيــه ضرباتها الموجعة الى العدو .

وقدم مدير المدفعية اللواء محمد سعيد المـاحى تمام استعداد المدفعيــة والصواريخ أرض / ارض الى القائد العام فى مركز القيادة الرئيسى ...

وأصدر القائد العام الاسم الرمزى لبدء التمهيد النيرانى ٠٠ فأمر مدير المدفعية بالضرب على جميع وسائل المواصلات التليفونية واللاسلكية ٠ وكرر كل قادة المدفعية على مختلف المستويات الأمر فى نفس التو واللحظة حتى وصل خلال ثوان معدودة الى كافة مواقع المدفعية على طول مواجهة قناة السويس ٠٠٠ واشتعلت بذلك حرب رمضان ببدء تنفيذ التمهيد النيرانى للمدفعية والصواريخ فى لحظة واحدة على الجبهة الجنوبية فى مصر ، وعلى الجبهة الشمالية فى سوريا ، وذلك فى الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ٠

وكسر الصمت الرهيب ٠٠ وتوالت البلاغات عن بدء التمهيد النيرانى وتأثير النيران على العدو ٠٠ وتحول الشاطىء الشرقى للقناة الى جحيم مشتعل ، وفوجىء العدو تماما بأقوى تمهيد نيرانى تم تنفيذه فى الشرق الأوسط طوال تاريخه ٠٠ حتى انه لم يتمكن من سحب مراقبيه من فوق الأبراج العالية الموجودة بالنقط القوية والحصون ٠٠

وسقطت على مواقع العدو وقلاعه بالضفة الشرقية للقناة فى الدقيقة الأولى من التمهيد النيرانى ١٠ر٥٠٠ دانة مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانة فى كل ثانية ٠٠

وتوالت البلاغات عن مدى تأثير النيران ، والخسائر التى أحدثتها بالعدو ، وعن نجاح المدفعية فى فتح جميع الثغرات المخططة فى موانع الأسلاك الشائكة والألغام ، على الميل الأمامى للساتر الترابى ، وحول النقط القوية والحصون والقلاع المعادية ٠٠

وفى ساعة الصفر تماما (الساعة ١٤٢٠) بدأت الموجة الأولى لقواتنا فى عبور القناة ، ومعها أسلحتها الخفيفة ٠٠٠ ورافق المشاة فى اقتحامها ضباط ملاحظة المدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ٠٠ وفى نفس اللحظة كانت صواريخنا التكتيكية تشق عنان السماء بأمر مركزى من مدير المدفعية لتصيب أهدافها فى عمق سيناء وتحيلها الى دمار ٠٠٠

ونجحت الموجة الأولى فى اقتحام القناة والاستيلاء على الساتر الترابى شرقها ، ورفعت الأعلام المصرية عالية خفاقة ٠ واستمرت المدفعية تدك تحصينات خط بارليف ، وتضرب احتياطيات العدو القريبة ، وتسكت مدفعيته تماما ٠٠

لقد نفذ التمهيد النيرانى كما خطط له بالضبط ٠٠ وكانت نتائجه أكثر مما كنا نأمل ، اذ أوقع بالعدو خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات ، ودمر جميع

تحصيناته الميدانيــة ، وهدم قلاعه وحصونه القوية بخط بارليف ، وخاصــة مداخلها ومخارجها ، واستحالت بذلك النقط القوية الى مقابر لمن فيهــا ٠٠٠ ونجحت المدفعية فى اسكات مدفعية العدو وشل حركة جميع احتياطياته القريبة ، الى درجة أنه لم يتمكن احتياطى واحد منها أن يتم التحرك لمنع عبور قواتنا ، كما لم تتمكن دبابة معادية واحدة من صعود الساتر الترابى واحتلال المصاطب المجهزة به لتوقف عبور قواتنا ٠ وبالمثل لم يتمكن مدفع واحد من الضرب على قواتنا الا بعد فوات ساعة من بدء العبور ٠

وتابعت المدفعية اطلاق نيرانها الكثيفة القوية على النقط الحصينة والقلاع المعادية حتى وصلت القوات المخصصة لاقتحـامها الى مسافة حوالى ٢٠٠ مترا منها ، حيث قامت قواتنا المشاة والصاعقة باقتحامها وتدميرها أو حصارها ٠

واستمرت نيران المدفعية تزحف أمام القوات الأخرى التى تابعت توسيع رؤوس الكبارى ، وذلك بفضل ضباط ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع الموجات الأولى لقواتنا ، وكذا جماعات ملاحظة المدفعية التى كانت تعمل خلف خطوط العدو ، والتى انتشرت مع بداية المعركة على طول مواجهة وعمق العدو ، لادارة نيران المدفعية على أبعد مدى ممكن ٠ وبذلك أمكن لنيران المدفعية أن تصل الى العدو فى أعماقه ، بعد أن كان يظن أنه فى مأمن منها لبعد المسافة ٠

أما عن مراكز قيادة العــدو فى سيناء فقد كان حسابها مــع الصواريخ التكتيكية ، اذ وجهت فى لحظة واحدة ضربات صاروخية ضد جميع مراكز القيادة والسيطرة الرئيسية للعدو على المحور الشمالى والمحور الأوسط والمحور الجنوبى ، وكذا ضد مركز الاعاقة والشوشرة الرئيسى الموجود فوق جبــل أم خشيب ٠٠٠ وأدت تلك الضربات إلى ارباك سيطرة العــدو ، مما أجبر قيادة العدو على نقل السيطرة بعيدا الى العمق فى العريش ٠٠

****

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من أعمال المدفعية ، لتبدأ قوات المهندسين فى فتح الثغرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية ٠٠ وتوالت البلاغات عن تقدم بعض احتياطيات العدو المدرعة من العمق القريب والبعيد ٠٠ ونجحت بعض أعداد فردية من دبابات العدو فى احتلال السواتر الترابية الموجودة فى العمق خلف خط بارليف ، توطئة لايقاف تقدم قواتنا المترجلة ٠٠ حيث لم تكن المعديات أو الكبارى قد بدأت العمل بعد ، وبالتالى لم تكن الدبابات أو الأسلحة الثقيلة قد عبرت الى الضفة الشرقية ٠

كان على المشاة أن تقاتل الدبابات المعادية بمفردها لبضع ساعات حتى تصل اليها دباباتها وأسلحتها الثقيلة ·· وهنا حل دور رجال المدفعية المضادة للدبابات الذين عبروا مع المشاة فى اللحظات الأولى لاقتحام القناة ·

وكانت الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات احدى المفاجآت الكبرى التى أعدتها المدفعية لتحطم مدرعات العدو ·· ولم تكن تلك الصواريخ هى المفاجأة الوحيدة بل كان الرجـال خلفها بمهارتهم وتدريبهم العـــالى وروحهم المعنوية وتصميمهم وثباتهم أكثر من مفاجأة ··

واستعدت أطقم الصــواريخ الموجهة المضــادة للدبابات لاصطياد دبابات العدو ··· وبدأ ضباط ملاحظة المدفعية فى تركيز وحشد نيران المدفعية على السواتر التى احتلتها دبابات العدو ··· مما أجبرها على الخروج هرباً من هذه النيران لتتلقفها الصواريخ المضــادة للدبابات وتحيلها من دبابة ، هى أحــدث ما أخرجته ترسانة الولايات المتحــدة الى كومة من الحديد المحترق · أما تلك الدبابات التى نجت من هذا المصير فقـد تركتها أطقمها سليمة وفرت بعيدا الى الخلف ··

وحاولت بعض دبابات العدو القيام بالهجمات المضادة المحلية فى الساعات الأولى لعبور قواتنا ، ولم يكن مصيرها بأفضل من سابقتها ·· وحتى آخر ضوء يوم السادس من أكتوبر تم تدمير كل دبابات العدو التى كانت متمركزة بالقرب من القناة أو فى العمق القريب ·· ولم يكن العدو قد قام بهجوم مضاد رئيسى منسق حتى ذلك الوقت ··

ونشطت بعض بطاريات العدو بعد انتقالها الى العمق ، ولكن المدفعيــة المصرية أسكتتها على الفور اسكاتا مؤثرا ··

وخلال ٦/٧ أكتوبر تم عبور جميع كتائب الصواريخ المضادة للدبابات المركبة على عربات مدرعة ، وذلك فى القطاع الشمالى من القناة ·· اما فى القطاع الجنوبى فقد تأخر تركيب الكبارى والمعديات ١٨ ساعة نتيجة عوامل عدة ، أهمها سرعة التيار فى القناة ، والفارق الكبير فى ارتفاع سطح المياه بفعل المد والجزر ·· وكذا اختلاف طبيعة الساتر الترابى المتكون من تربة طفلية تحولت بفعل مضخات المياه الى طين سائل لزج ، اعاق تحرك المعدات لفترة طويلة ·· الأمر الذى دعا الى سرعة تدعيم الجيش الثالث بعناصر من الصواريخ المضادة للدبابات من احتياطى القيادة العامة لتعويضه ولو جزئيا عن تأخر عبور أسلحته الثقيلة ·

وعلى طول المواجهة تم عبور جميع مراكز ملاحظة المدفعية مع قادة المشاة المناظرين ، بما فى ذلك مراكز ملاحظة قادة مدفعية الألوية والفرق والجيوش ٠٠ وتم انتقال جميع كتائب المدفعية الى غرب القناة مباشرة ٠٠٠ واحتلت بعض الدبابات والأسلحة الثقيلة المضادة للدبابات السواتر العالية على الضفة الغربية لقناة السويس ، فى الأماكن المشرفة على الضفة الشرقية ، للمعاونة فى صد هجمات العدو المضادة ٠

وطوال ليلة ٧/٦ وعلى امتداد السابع من أكتوبر قام العدو بأكثر من ١٠ هجمات مضادة قوية على جميع رؤوس الكبارى ، سواء فى الجيش الثانى أو الجيش الثالث ، وأمكن لقواتنا صدها جميعا ، وكبدت العدو خسائر كبيرة فى دباباته وأفراده ٠ وكانت المدفعية تبدأ فى التعامل مع آالألوية المدرعة المعادية بمجرد دخولها فى مرمى أسلحتها ، وحشدت نيرانها على أرتال دبابات العدو فأربكت تشكيلاتها وأنزلت بها خسائر كبيرة ٠٠

وحاول العدو اتباع تكتيك جديد ، فراح يندفع بمدرعاته ومجنزراته بأقصى سرعة ليتوغل داخل أوضاع قواتنا فيقلل من وقت تعرضه لنيران مدفعيتنا ، الا أن مشاتنا تلقفته بنيران مدافعها الخفيفة المضادة للدبابات والقواذف اليدوية والقنابل اليدوية فأحالتها هشيما تذروه الرياح ٠٠

ولم يكن حظ الهجمات المضادة التى شنها العدو ليلا على رؤوس كبارى الجيش الثالث بأسعد حالا من هجماته على الجيش الثانى ، بالرغم من تأخر تركيب معديات وكبارى الجيش الثالث كما سبق ذكره ، وتأخر عبور دباباته وأسلحته الثقيلة المضادة للدبابات حتى أول ضوء يوم ٧ أكتوبر ٠

ولكن العدو خسر أعدادا كبيرة من الدبابات والعربات المجنزرة أمام مواجهة الجيش وعلى أجنابه بفضل الصواريخ المضادة للدبابات ، ورجال المشاة المسلحين بالقواذف الخفيفة المضادة للدبابات ، وبفضل القنابل اليدوية المضادة للدبابات ٠ وكانت أروع وقفات الجنود المشاة فى مواجهة أحدث ما أخرجته ترسانة الحرب من معدات مدرعة .. كانت الغلبة للرجل ضد الدبابة ..

ولم يحرز العدو أى نجاح على طول المواجهة من القنطرة شمالا الى جنوب السويس جنوبا ، ومنى بخسائر ضخمة فى دباباته لم يكن يتوقعها ٠٠ وقامت قواتنا بتوسيع رؤوس الكبارى ، وسقط خط بارليف الأسطورى بمعظم نقطه القوية وقلاعه وحصونه ٠

وخلال يومى ٨ ، ٩ أكتوبر كرر العدو هجماته المضادة ضد رؤوس كبارى الفرق ، ولكنها فشلت جميعا ٠ ووجهت المدفعية عدة ضربات صاروخية ضد مراكز قيادة وسيطرة العدو ، وضد مطار المليز الذى أصيب بخسائر كبيرة ٠٠

لقد كان لحسن تخطيط وادارة أعمال المدفعية فضل كبير فى اسكات بطاريات العــدو ، الأمر الذى حرمه من استخدام مدفعيته بحشد أو تأثير ·· واستولت قواتنا على عدة مدافع للعدو ، بل وبطاريات كاملة تركها جنوده وفروا هاربين ·· واستخدمتها قواتنا ضده فى التو واللحظة ··

وبذلك اصبحت مدفعية العدو لا تشكل خطورة كبيرة على قواتنا ، ولحقت مدفعيته بمصير دباباته · وكانت تلك بعض اعمال المدفعية المجيدة فى الأيام الأولى لاقتحام القناة ·

****

★ وعن قــوات الصاعقة :

فما أن اندلعت الشرارة الأولى لحرب رمضان حتى كانت جماعات من الصاعقة تعبر بقواربها المطاط مياه القنــاة على طول امتدادها من بور ســعيد شمالا الى السويس جنوبا ، لتشكل طلائع الزحف الهائل · وكان لها شرف رفع أول مجموعة من الأعلام فوق روابى سيناء الحبيبة ، لتنطلق بعدها موجات متتالية من المشاة والمدفعية ، والمدفعية المضادة للدبابات ··

وعلى الحد الأمامى كان رجال الصاعقة اول من قهر الساتر الترابى العالى ، فتسلقوه بالحبال ، وبالأظافر والأنياب ، واستولوا على المصاطب التى أعدها العدو لدباباته وقاموا ببث الألغام فيها ، ثم اندفعت جماعات منهم الى الشرق ، حيث أقاموا الكمائن لاقتناص دبابات العدو التى حاولت الاقتراب من الساتر الترابى ·· وقاموا بمفردهم باقتحام بعض مواقع العدو الحصينة ، كما اشتركوا مع رجال المشاة فى مهاجمة باقى حصون العدو وقلاعه القوية ·

وانقض رجال الصاعقة والمشاة على مواقع العــدو الحصينة فى هجمات مكثفة ، فحطموا أسطورة الجيش الذى لا يقهر · ودار القتال الضــارى الشرس داخل القلاع والحصون ، واشتبك الخصوم بالسلاح الأبيض ، وبالأيدى ، وكانت الغلبة لجند مصر ··· الذين كانت الرغبة الجارفة فى رفع عار ١٩٦٧ تدفعهم بكل وجدانهم الى تحطيم العدو المتصلف المغرور ···

وقبل آخر ضوء كانت اعداد كبيرة من طائرات الهليكوبتر قد افرغت حمولتها من رجال الصاعقة فى عمق سيناء شمالا وجنوبا ، بين جبالها ووهادها ·· وبعد ساعات قليلة من انطلاق الشرارة الأولى كان رجال الصاعقة ينقضون على اهدافهم فى عمق العدو ، وينجزون مهامهم المحددة ·

وفى نفس الوقت كانت جماعات منهم تزحف على ميـاه البحرين الأحمر والمتوسط ، لتصل الى أهدافها على سواحل سيناء .. لقد فوجيء العدو بهذا الحجم الكبير من قوات الصاعقة تظهر فجأة ، وفى كل مكان من سيناء ، وطوال ايام المعركة .

ففى الشمال قاتل رجال الصاعقة فى مواجهة الجيشين الثانى والثالث فى عمق سيناء ، قتالا مستميتا على الطرق والمضايق ، ضد مدرعات العدو التى حاولت الاقتراب لاجهاض عملية عبور قواتنا وانشاء رؤوس الكبارى ، فواجهوا دبابات العدو بأسلحتهم الخفيفة المضادة للدبابات وقنابلهم اليدوية ، بل وألقوا بأنفسهم فى طريق تقدم العدو ، وعلى ظهورهم الألغـام المضادة للدبابات كى تنفجر فوق أجسامهم مدرعات العـدو ، وتركوا على رمال سيناء بصمة شريفة تشهد بأن هذه البقعة او تلك قد استشهد فوقها فدائى شهم من رجال الصاعقة ، قدم حياته فداء زميله كيما ينجح العبور ويتحقق الأمل المنشود ..

وفى عمق سيناء استمرت قوات الصاعقة فى التمسك بالمضايق الجبلية والممرات ، فمنعت قوات العدو من المناورة الا بخسائر جسيمة .. ونستبق الحوادث قليلا لنذكر كيف أن وحدة من الصاعقة ظلت تتمسك بمضيق سدر من يوم ٦ الى يوم ٢٢ أكتوبر ، فحرمت بذلك العدو من اجتياز هذا المضيق لمدة ١٦ يوما ، حتى جاءها الأمر بالارتداد ، فعادت لتنضم الى باقى قوات الجيش الثالث .

اما فى جنوب سيناء فقد أقام رجال الصاعقة قواعدهم فى وديانها ، واستمروا ينطلقون فى اغاراتهم على أهداف العدو فى مناطق ابو رديس وبلاعيم وأبو زنيمة والطور .. فبثوا الذعر فى قلوب العدو ، وأجبروه على دفع قوات كبيرة من المدرعات والمشاة الميكانيكية لحماية اهدافه بهذه المنطقة .. ونجحت بذلك قوات الصاعقة فى جذب وحصر جزء كبير من قوات العدو فى جنوب سيناء ، مما خفف الضغط على قواتنا فى الشمال أثناء انشاء رؤوس الكبارى .

وعندما تقرر حرمان العدو من بترول سيناء شارك رجال الصاعقة فى نسف وتدمـير منشآت ومستودعات البترول فى مناطق ابو رديس وشيراتيم وابو زنيمة وسدر ... واستمرت قوات الصاعقة فى بث الذعر فى صفوف العدو ، ومهاجمة اهدافه الحيوية فى جنوب سيناء حتى توقف اطلاق النار ..

★ وعن المهندسين العسكريين :

فأمرهم لا يوفيه حقه الا كتاب كامل عن ذلك الانجاز الذى يشبه الاعجاز • فما كان مستطاعا اقتحام القناة وانشاء رؤوس الكبارى شرقها دون الأعمال البطولية التى قام بها رجال المهندسين العسكريين •• ولكن ضيق المساحة يجعلنا نقصر الأمر على القاء بعض الضوء على أروع تلك الأعمال •

ففى الساعة ١٤٢٠ من السادس من أكتوبر ٧٣ عبرت الموجة الأولى من القوات المهاجمة قناة السويس ، ومعها عناصر من المهندسين العسكريين لتأمين مرور المترجلين فى حقول الألغام المعادية ، ثم عادت القوارب لتنقل الموجات التالية ••

ثم تلا ذلك مباشرة عبور عناصر أخرى لتحديد محاور الثغرات فى الساتر الترابى ، وتجهيز الأرصفة للمعديات والكبارى •• وعبرت بعد ذلك مجموعات فتح الممرات من المهندسين ومعها مضخات المياه القوية ••

وجدير بالذكر أنه خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الأولى كان حجم قوات المهندسين العسكريين التى عبرت القناة ، والتى راحت تعمل فوق سطح الساتر الترابى وفوق صفحة القناة ، قد تجاوز الخمسة عشر ألف مقاتل من المهندسين العسكريين من مختلف التخصصات •

وفى الموجة الثانية عبرت ثمانون وحدة هندسية فى قواربهم الخشبية المحملة بالأفراد والطلمبات والخراطيم وخلافها من مهمات فتح الممرات فى الساتر الترابى •

ووصلت القوارب الى الضفة الشرقية ، واتخذت أماكنها ، وتم تثبيتها ، وركبت الخراطيم فى الطلمبات وصار فردها وركبت فى النهايات الأخرى البشابير ، وأصبح كل فرد جاهز للعمل • ودارت الطلمبات بأوامر من القيادة ، فاندفعت المياه من البشابير كالسيوف تشق خط بارليف ، وبدأت الأتربة تنهار وتحول الرجال خلال دقائق الى لون أسود بفعل الطين المتطاير فى جميع الاتجاهات ، بينما كانت جميع أنواع أسلحة قواتنا وقوات العدو تهدر بعنف من حولهم • ومضى الرجال فى تصميم مصرى أصيل ينفذون مهمتهم بثقة وايمان •

وبعد ساعات قليلة بدأت البلاغات تتوالى عن انتهاء الطلمبات من ازالة الساتر ، وبدأت عملية تثبيت أرضيات الممرات التى تحولت الى وحل لأعماق كبيرة تجاوزت المتر فى بعض المناطق • وقد استخدمت فى تنفيذ هذه المهمة مواد مختلفة طبقا لطبيعة التربة ، من أخشاب وقضبان وحجارة وشكاير مملوءة بالرمل وألواح من الصلب وشباك معدنية وغير ذلك من المواد •

وكانت عملية تثبيت الممرات ضرورية حتى تتمكن آلات الجرف من الخروج من المعديات الى الممرات لتقوم بازاحة الطبقة الموحلة من الأرض وتصل الى القشرة الجافة التى يمكن للدبابات والمركبات أن تسير عليها دون تعثر ٠

ومنذ اللحظة الأولى للعبور بدأت أرتال وحدات العبور تتقدم على الطرق المحددة لها من قبل ، وفى التوقيتات المخططة أيضا ، حيث كان ذلك يتوقف على عوامل ثلاثة هى مسافة التحرك من منطقة التمركز الى القناة ، والزمن اللازم لاسقاط مهمات الكوبرى وتجميعه فى الماء ، والزمن اللازم لفتح الممر فى الساتر الترابى ، مئات من العربات المحملة بمهمات الكبارى واللنشات تتحرك على عشرات الطرق فى مجموعات صغيرة ، وبفواصل زمنية محسوبة بدقة طبقا لاتساع ساحة الاسقاط المحددة لكل وحدة ٠

ويبدو تشبيه هذه العملية بانها مثل خلية النحل تشبيها ينقص من قدر ما حوته من نظام محكم من حيث المسافات والتوقيتات لكل قطعة ومعبرة ووحدة ، فالعربات تتحرك فى جميع الاتجاهات ٠٠ من الخلف للأمام تتحرك العربات وهى محملة ، ومن الأمام للخلف تعود العربات وهى فارغة ، والى اليمين واليسار تحركات تطلبتها المناورة بوحدات العبور من اتجاه لآخر ، وفى مياه القناة تحركات مماثلة تتم نهارا ، وعندما هبط الظلام سارت الأعمال ليلا بنفس النظام الدقيق ، اذ كان كل فرد يعرف مهمته ، ويعرف اتجاهه ومكان عمله ٠

تم كل ذلك رغم محاولات العدو منع انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات ، ومنع فتح الممرات فى الساتر الترابى ، بالقصف المستمر من الأرض والجو على مناطق تمركز وحدات العبور ،وطرق تحركها ، ومناطق الاسقاط والممرات ٠ وفى النهاية اكتمل العمل العظيم ، وأتم المهندسون انشاء الكبارى والمعديات فى الجيش الثانى فى فترة من ست الى تسع ساعات مثلما كان مخططا تماما ٠

أما فى قطاع الجيش الثالث فقد اصطدمت عملية فتح الممرات فى الساتر الترابى وانشاء الكبارى بجميع العوامل المعوقة من قصف مركز من طائرات ومدفعية العدو ، ومن صلابة تربة الساتر الترابى التى جعلت عملية تجريف المياه شاقة ، ولتحول أرضية الممرات الى وحل تجاوز عمقه المتر ، مما تطلب وسائل اضافية لتثبيت التربة ، نقلت من مناطق التشوين فى الخلف ، ومن تغيرات فى مناسيب مياه القناة بفعل المد والجزر ، حيث كان القمر فى العاشر

من رمضان وكلما ارتفع القمر زاد اثر المد والجزر ٠٠ والبحر الأحمر والجزء الملاصق له من القناة أكثر القطاعات تأثرا به ٠٠ واخيرا فان سرعة التيار العالية وتغير اتجاهه مع طول زمن التركيب كان عاملا معوقا ذا قيمة سالبة خطيرة ٠ حقيقة ان معظم هذه العوامل المعوقة كانت متوقعة الا ان تكاتفها جميعا في نفس الوقت أدى الى انشاء الكبارى في نطاق الجيش الثالث في نحو ستة عشر ساعة ، بخسارة زمنية قدرها سبع ساعات عن التخطيط الموضوع ٠

وتم انشاء عشرة كبارى ثقيلة وعشرة كبارى مشاة ، وعدد كبير من المعديات ، مما اتاح لدباباتنا ومعداتنا واسلحتنا الثقيلة أن تعبر صفحة القناة وتصل الى رؤوس الكبارى في الوقت المناسب ٠

وقامت الشرطة العسكرية وأفراد مراقبة المرور بجهد مشكور في ارشاد الجميع الى محاورهم ، حتى ينضموا بسرعة الى وحداتهم التي كانت مشتبكة عندئذ بعنف الى الحد الأمامي داخل رؤوس الكبارى ، ورغم أن كل ذلك تم في الظلام الا أنه سار بطريقة مثالية ترتب عليها وصول الأسلحة والمعدات الثقيلة الى أماكنها المخططة في الوقت المناسب لتقلب موازين القوى في صالحنا ٠

وقام العدو بتركيز هجماته الجوية ونيران مدفعيته على الكبارى لاحباط عبور قواتنا ٠٠٠ وامتصت المعابر الهيكلية معظم هذه الضربات ٠٠ وكان لفدائية افراد وحدات الكبارى جميعا من الجندى الى قائد المعبر الفضل في سرعة استعادة كفاءة المعابر بعد اصابتها ، وفي أزمنة قياسية ، وتحت نيران العدو ٠٠

وجدير بالذكر ان معظم الكبارى أصيبت وأعيد اصلاحها أكثر من خمسة مرات ٠٠ وقد ضرب العميد أركان الحرب أحمد حمدى نائب مدير المهندسين العسكريين وقائد أحد ألوية الكبارى المثل الأعلى في التضحية والفداء ، اذ استشهد وهو يشارك أفراد أحد الكبارى في اصلاحه ٠٠

لقد كان للمناورة بالمعابر ، والمناورة بالقوات للعبور عليها بسلاسة وتدفق ، الفضل الأكبر في سرعة عبور القوات بالأحجام الضخمة في الليالى الأولى للعملية الهجومية ٠٠ ويقول هوارد كالاوى وزير الجيش الأمريكى لوكالة الأسيوشيتد برس يوم ١٨ أكتوبر في هذا الشأن ٠٠٠ « ان العبور الذى قامت به القوات المصرية في قناة السويس في مواجهة القوة الجوية الاسرائيلية المتفوقة هو بمثابة علامة مميزة في الحرب الحديثة ستغير من الاستراتيجية العسكرية » ٠

ولم يقتصر دور المهندسين العسكريين على انشاء المعديات والكبارى ، بل قاموا ببذل مجهود كبير فى الاستيلاء على رؤوس الكبارى وتعزيزها ، وذلك بالتعاون مع باقى الأسلحة المشتركة فى صد هجمات دبابات العدو ، برص الألغام فى مواجهة مدرعات العدو لحصر مناورتها وايقاف تحركاتها ••• كما عبرت الى رؤوس الكبارى مئات القطع من المعدات الهندسية المتنوعة لتعاون القوات فى تجهيز مواقعها بحفر خنادق ومواقع الدبابات والمدفعية ، وانشاء السواتر ، وغيرها من الأعمال الأخرى •

ويكفى ان نذكر ان قوات المهندسين العسكريين قد رصت حوالى مليون لغم مضاد للدبابات خلال حرب رمضان •••

****

كان للتعاون التام والتنسيق الوثيق بين جميع الأسلحة المقاتلة والقوات المتخصصة الفضل الأكبر فى اقتحام قناة السويس ، وتحطيم خط بارليف بقلاعه وحصونه ونقطه القوية ، والاستيلاء على رؤوس الكبارى وتوسيعها ، ثم توحيدها بنهاية يوم ٩ اكتوبر ••

****

تأمين رؤوس الكبارى وتعزيز المعابر

الوقفة التعبوية

بعد ان اتمت الأنساق الأولى للجيوش الميدانية تحقيق المهام المباشرة المخصصة لها شرق القناة توقفت القوات لمدة ٤ أيام (١٠ ـ ١٣ أكتوبر) حيث تحولت لتعزيز الخط المستولى عليه ، وتأمين رؤوس كبارى الجيوش ، وتعزيز المعابر على قناة السويس ••

وقامت تشكيلات الجيوش الميدانية خلال هذه الوقفة بصد العشرات من الهجمات المضادة للعدو ، التى وجهها ـ بعد أن أفاق من غشيته ، واسترد بعض وعيه ـ ضد رؤوس الكبارى بقوات تراوحت بين عدة سرايا الى عدة ألوية مدرعة ومشاة ميكانيكية ، ركزها ضد أجناب رؤوس الكبارى ، محاولا تطويقها والوصول الى المعابر لتدميرها ، لايقاف تدفق القوات المصرية الى الشرق ، أو عزل قواتنا التى اتمت العبور عن قواعدها فى الغرب •

وقام العدو فى نفس الوقت بالقصف الجوى المتتالى للقوات والمعابر بأعداد كبيرة من الطائرات وبصفة شبه مستمرة ، محاولا ايقاع أكبر خسائر بها لتليينها توطئة للقضاء عليها ، كما قام بعدة محاولات لمهاجمة بعض القواعد الجوية والمطارات بهدف احداث خسائر بالقوات الجوية المصرية على مراحل ، طالما أنه لايستطيع تحقيق السيطرة الجوية بالضربة الجوية المركزة على غرار ما فعله بنجاح كبير صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ٠

ولقد امكن للعدو بذل كل تلك الجهود بفضل الامدادات الجديدة من الأسلحة الأمريكية المتطورة التى انهالت عليه من ترسانات الولايات المتحدة ، وتم تفريغها فى مطار العريش رأسا بواسطة أطقم أمريكية متخصصة ، اعتبارا من ١٠ أكتوبر والأيام التالية ٠ تلك الامدادات التى وصفها جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى يوم ٥ نوفمبر بأنها ٠٠ « قد استنفذت بشكل خطير المخزون الأمريكى من الأسلحة والمعدات بالقدر الذى سوف يرغم حكومة نيكسون على طلب زيادة ميزانية الدفاع لعام ١٩٧٤ » ٠٠

ونتيجة لمحاولات القيادة الاسرائيلية المتكررة تصفية رؤوس الكبارى أو تثبيتها ، وبفضل استبسال المقاتل المصرى ، تكبدت اسرائيل خسائر كبيرة فى الطائرات والدبابات والأسلحة والمعدات والأفراد ، كان من الممكن أن تكون فادحه بالنسبة لها لولا اسراع أمريكا بنجدتها وتعويض خسائرها بالجسر الجوى المشهور ٠ وقـد أمكن لقواتنا أسر عدد من دبابات العـدو ومعداته وأسلحته سليمة ، وحدث هذا لأول مرة فى تاريخ العسكرية الصهيونية ٠٠

****

لقد كان لهذه الوقفة التعبوية أهداف عدة تخدم الخطة الهجومية المصرية لتحرير سيناء ، ومن أهمها :

• ضمان ثبات وتعزيز رؤوس الكبارى المستولى عليها حتى ولو تحملت القوات بعض الخسائر ، حيث أنه من المفضل انزال أكبر الخسائر بالعدو من حالة الثبات مع توفر أعمال التجهيز الهندسى لقواتنا ، عن انزالها وقواتنا البرية فى العراء بلا سواتر أو تجهيزات هندسية تقيها خطر الهجمات الجوية المعادية ٠٠٠ هذا فضلا عن أن رؤوس الكبارى التى تم تعزيزها أصبحت تشكل قاعدة قوية يمكن أن تستند اليها القوات عندما تقوم بتطوير الهجوم شرقا ٠

- تحقيق الدفاع الجوى عن القوات فى رؤوس الكبارى ، واسقاط اكبر عدد ممكن من طائرات العدو التى سيوجهها قطعا ضدها هناك ، مع توفير القدرة على تحقيق الحماية لقواتنا أثناء أعمالها القتالية بالانتقال المتتالى لعناصر الدفاع الجوى بالصورايخ خلف القوات ٠
- ضمان تحقيق الاتزان الاستراتيجى فى المسرح ، بفضل وجود الانساق التالية للجيوش الميدانيـة ، واحتياطيات القيادة العامـة غرب قناة السويس ٠
- اعادة تنظيم وتجميع القوات فى مناطق رؤوس الكبارى ، واستكمال الامداد الادارى والفنى بالاحتياجات استعدادا لتطوير الهجوم شرقا ٠

وأخيرا فقد كان من الواضح أن عاملى السرعة والوقت قد لا يكونان هما العاملان المؤثران على التخطيط فى مثل عمليتنا الهجومية هذه مع اقتحام المانع المائى ٠٠ ولكن المحصلة النهائية للمراحل المختلفة لديناميكا تلك العملية تشير غالبا الى أن القوات ـ نتيجة التخطيط المتزن وبفضل الأعمال القتالية المتتالية ـ يمكنها انجاز أعمال ذات نتائج ممتازة تماما ٠

ولم تكن الوقفة التعبوية فترة سكون ، ولكنها كانت فترة نشاط كبير يهدف الى صد هجمات العدو المضادة المتوقعة من أفضل الأوضاع الممكنة ، وجدير بنا أن نتذكر أنه خلال هذه الفترة أمكن لقواتنا أن تدمر للعدو ما يناهز الخمسمائة دبابة ، فضلا عن الآلاف من الأفراد ، ولم يكن هـذا بالأمر الهين ٠٠٠ كما تم الاستيلاء تماما على كل حصون العدو وقلاع خط بارليف ، واستسلم آخر موقع له وهو النقطة القوية فى لسان بور توفيق وأسر ٣٧ فردا به منهم خمسة ضباط وذلك فى الساعة ١٢٤٥ يوم ١٣ أكتوبر ٠

****

وبذلت قواتنا الجوية خلال المرحلة الأولى للعملية الهجومية نشاطا كبيرا ، اذ قدمت المعاونة لباقى أفرع القوات المسلحة ، ونفذت ٢٧٦٥ طلعة / طائرة فى المهام التالية :

- توجيه الضربة الجوية المفاجئة سعت ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ضد مطارات العدو ووسائل دفاعه الجوى ومراكز قياداته ومصادر نيرانه البعيدة ٠
- اضعاف مجهود العـدو الجوى باستمرار مهاجمـة المطارات ، ومواقـع الصواريخ ومحطات الرادار ، ومراكز القيادة والشوشرة ٠

- معاونة الجيوش الميدانية أثناء تنفيذها مهامها التعبوية ، وذلك بقصف الأهداف البرية التى تعترض طريق تقدمها ...

- انزال الخسائر باحتياطيات العدو المتقدمة للقيام بالهجمات المضادة ..

- حماية الأهداف الحيوية مثل المعابر ، والمطارات ، والقواعد الجوية ، بالمقاتلات وبالتعاون مع قوات الدفاع الجوى . وقد تمكنت قواتنا الجوية خلال تلك المرحلة من اسقاط ٢٢ طائرة للعدو فى اشتباكات جوية عنيفة ...

- ابرار قوات الصاعقة ومجموعات الاستطلاع خلف خطوط العدو ، على طرق الاقتراب الرئيسية نحو القناة ، وعلى امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس .

- تنفيذ الاستطلاع الجوى لصالح القوات المسلحة .

****

درعنا الواقى

اما قوات الدفاع الجوى فقد قامت بتوفير الحماية المستمرة للقوات البرية شرق وغرب القناة طوال فترة قتالها ، كما قامت بتوفير الحماية والوقاية للقواعد الجوية مما أدى الى فشل العدو فى تحقيق هدفه ، سـواء بتدمير طائراتنا على الأرض ، أو تعطيل مطاراتنا وقواعدنا الجوية كما حدث عام ١٩٦٧ .

ولقد شكلت قوات الدفاع الجوى بحق المظلة النيرانية والدرع الواقى من هجمات العدو الجوية ضـد قواتنا وأهدافنا ، تلك الهجمات التى بلغ اجمالها خلال هذه المرحلة ٢٥٠٠ طلعة / طائرة ضد الجبهة المصرية فقط ، ركز ٧٠ ٪ منها ضد القوات البرية ، ٦ ٪ ضد المطارات والقواعد الجوية ، ١٥ ٪ ضد تجمع الصواريخ المستقل فى بور سعيد .

وتمكنت قوات الدفاع الجوى خلال نفس المرحلة من اسقاط ١٠٣ طائرة معادية ، وذلك خلاف ما تم اصابته وسقط بعيدا أثناء عودته الى مطاراته فى عمق سيناء أو قلب اسرائيل ..

« وامتلأ وجدان الطيارين الاسرائيليين بشعور غريب ، اذ وجدوا أنفسهم لأول مرة فى موقف الدفاع ، وعندما كانوا يقتربون من قنـاة السويس كانت تستقبلهم نيران الدفاع الجوى الذى ملأت صواريخه السماء ، وأطلق المصريون سيلا منهمرا من الصواريخ أرض / جو فكانت الطائرات الاسرائيليـة أينما تحركت فى السماء تقابلها هـذه القضبان البيضاء القاتلة التى كانت تجرى وراءها ، كما امتلأت السماء بالشظايا من كل لون وحجم ، التى كانت تطلقها المدفعية المصرية المضادة للطائرات * » ..

لقد ظهر جليا خلال هذه الفترة بدء تدفق الامدادات الأمريكية الحـديثة من الطائرات الفانتوم ومعدات التداخل الالكترونى وصـواريخ شرايك المعدلة (ضد الرادارات) والقنابل التليفزيونية (ضد وسائل الدفاع الجوى الأرضية) ، الأمر الذى أدى الى حدوث طفرة مفاجئة فى قدرات العدو الجوى ، وخاصـة فى حجم وشدة ودقة الطلعات الجوية اعتبارا من ١٠ أكتوبر ، كما ازداد تأثير وكثافة التداخل الالكترونى على جميع أنواع أجهزتنا .

وكانت الطلعات المعادية على الجبهتين المصرية والسورية قد انخفضت من ١١٠٠ طلعة يوميا الى ٧٩٠ طلعة يوم ٩ ، ثم زادت الى ١١٦٤ طلعة يوم ١٠ ، ثم ١١٣٨ طلعة يوم ١٢ ..

ورصدت قوات الدفاع الجوى قيام طائرة استطلاع أمريكية يوم ١٣ أكتوبر بعمل طلعة استطلاع جوى على ارتفاع شاهق بمنطقة الجبهة والعمق الاستراتيجى للجمهورية ، وأعلن عنها فى نفس اليوم . وقد ترتب على هذا الاستطلاع تحديد مواقع الدفاع الجوى وأوضاع القوات ، واكتشاف تحضيراتنا لتطوير الهجوم ..

****

واستهلت القوات البحرية نشاطها القتالى مع بدء العمليات الحربية ، فقامت بتنفيذ المهام الموكلة اليها ، والتى تضمنت الآتى :

- معاونة أعمال قتال الجيوش الميدانية فى منطقة البحر الأحمر ، مع الاستعداد لصد أعمال العدو المتوقعة ..
- تدمير قطع العدو البحرية فى عرض البحر ..

---

* ـ (اسحق بوريت ـ المراسل العسكرى لجريدة يدعوت أحرونوت ـ حديث مع طيار اسرائيل عاد لتوه من جبهة القناة ـ ١٠ أكتوبر ١٩٧٣) .

- تسديد الضربات ضد موانى ومراسى العدو ، وأهدافه الساحلية فى سيناء ..
- التعرض لخطوط مواصلات العدو البحرية ..
- تأمين النطاق التعبوى بالبحرين الأبيض والأحمر ، وتنظيم الدفاع عن القواعد ونقط تمركز البحرية ..

وقد اشتركت القوات البحرية فى التمهيد النيرانى بالمدفعية الساحلية والصواريخ فى قطاع بور سعيد ، وقصفت تجمعات العدو بمنطقة رمانة وشرق بور فؤاد وراس برون على ساحل البحر الأبيض ، وشرم الشيخ ورأس سدر ورأس محمد ورأس مسلة على ساحل خليج السويس والبحر الأحمر . كما اشتركت سرايا المدفعية الساحلية فى شمال وجنوب القناة بتقديم المعاونة بالنيران للجيوش الميدانية ، وكانت انجازاتها رائعة ..

وقامت القوات البحرية بمهاجمة مراسى العدو فى بلاعيم بالضفادع البشرية ، وتعطيل الحفار الموجود بها ، واستكمال تلغيم مدخل خليج السويس . كما أغارت الصاعقة البحرية على منطقة أبو دربة بالخليج .

وقامت التشكيلات البحرية والغواصات بتنفيذ طلعات الاقتناص واعتراض خطوط مواصلات العدو البحرية ، وأغرقت سفينة تجارية شمال بور سودان .. كما اشتبكت مع أهداف العدو البحرية شرق بور سعيد وأغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل أن تكون سفينة انزال جنود) ، وقامت بصد هجمات تشكيل بحرى معادى من ٣ أهداف بحرية ومجموعة قوارب وطائرات هليكوبتر ، وذلك بواسطة مدفعيتنا الساحلية اليقظة فى رأس السادات .

واشتبكت عناصر الدفاع الساحلى فى كل من عزبة البرج شمال الدلتا وجزيرة شاكر فى خليج السويس مع وحدات العدو البحرية التى حاولت الاقتراب منها .

وعند ما أيقن العدو من تفوق قواتنا البحرية ، ركز هجماته البحرية ضد بلنصات الصيد المدنية ، أما ضد قواتنا البحرية فقد اكتفى باستخدام طائرات هلكوبتر والمقاتلات القاذفة . ولقد بلغ اجمالى خسائر العدو البحرى فى هذه المرحلة : ــ

تدمير ٥ ــ ٦ طائرة هليكوبتر ، ٢ ــ ٣ لنش متوسط (صواريخ أو مدفعية) وهدف بحرى متوسط يحتمل أن يكون ناقلة جنود ، واغراق سفينة تجارية ، واسقاط ٣ طائرة مقاتلة قاذفة ، وتعطيل حفار بترول .

****

وقبل أن ننتقل الى سرد أحداث المرحلة الثانيـة من العملية الهجوميـة الاستراتيجية نتوقف قليلا لنستعرض بعض الملامح البارزة فى المرحلة الأولى ..

لقد كان أحد العوامل الرئيسية لنجاح قواتنا فى اقتحام قناة السويس هو احراز قيادتنا للمفاجأة الكاملة ، ويحدث هذا لأول مرة فى تاريخ الحـروب فى المسارح الصحراوية فى وجه مانع مثل قناة السويس .. حيث يستحيل منطقيا تحقيق هذا القدر من المفاجأة لتعذر اخفاء تجميع القوات فى مسرح عمليات مفتوح متل مسرحنا ، وعبر مانع مثل قناتنا ..

لقد اتخذت القوات أوضاع الهجوم وهى على اتصال مباشر بالعدو دون أن يكتشفها مراقبوه الذين يقفون على مسافة ٢٠٠ متر فقط من ضفتنا الغربية ، ويملكون وســائل استطلاع جوية حديثة ، ويدعمهم آخر ما أخرجته الترسانة الأمريكية من ابتكارات ، علاوة على جهاز المخابرات الذى ظل يدعى أنه لا تفوته شاردة ولا واردة عن الدول العربية ، وتؤازره أقوى أجهزة المخابرات الغربية ، وخاصة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ..

ورغم كل ذلك كانت مفاجأة العـدو كاملة بعزم جمهورية مصر العربيـة والجمهورية العربية السورية على شن الهجوم أساسا ، فضلا عن موعد بدئه ، وحجم القـوات التى اشتركت فى تنفيذه ، وتلك السرعـة المذهلة التى اقتحمت بها قواتنا المظفرة قنـاة السويس ، واخترقت خط بارليف الحصين الذى كان العدو ينادى بعدم قدرة البشر على اقتحامه .

وكانت أخطر المفاجآت وأشدها وقعا على العدو ما لقيه من معنويات مقاتلينا العالية ، واصرارهم الأكيد على النصر أو الاستشهاد .

ومهما حاولت أبواق الدعاية الاسرائيلية والصهيونية والامبريالية أن تقلل من قيمة هذه المفاجأة ، أو أن تلون الصورة على زعم أن القيادة العسكرية الاسرائيلية كانت تعلم بلحظة الهجوم وموعده ، وأن القيادة السياسية هى التى قررت ترك

المباداة للعرب طواعية لأسباب سياسية واقتصادية .. مهما حاولت ذلك فهو العذر الأقبح من الذنب ، اذ هو بالتأكيد نفس ما كانت تأخذه اسرائيل على العرب ، وتعده من مثالبهم فى الجولات السابقة ..

لقد كانت المفاجأة بالنسبة لاسرائيل كاملة ... اذ فقد العدو المباداة ، واختلت سيطرته على قواته فى بداية العملية الهجومية الاستراتيجية ، ولم يتمكن من التدخل بقواته الجوية بتأثير ، أو توجيه نيران مدفعيته بدقة ضد قواتنا وهى تقتحم قناة السويس ..

وتسبب كل ذلك فى نجاح قواتنا فى تحقيق مهامها بخسائر ضئيلة ، تقل كثيرا عما كنا نتوقعه أو يقدره أى عسكرى متخصص .. لقد كنا على استعداد لتقبل خسائر كبيرة خلال الاقتحام والعبور ، لأنه كان علينا أن نقتحم طريقنا وسط النار والحديد مهما كان الثمن .. وقبلنا التضحية ، ولكن خسائرنا جاءت أقل مما قدرنا .

ان الانسان المصرى كان فى هذه الساعات الحاسمة يعطى بسخاء ، وكان فى قمة الاحساس بأصالة تاريخه وعظمة مستقبله .. فجاد كما لم يجد به احد من قبل ، وأثبت أنه خير امة أخرجت للناس .. وأنه خير أجناد الأرض ..

ولم يتمكن العـدو نتيجة ذلك كله من القيام بانتظام بالهجمات المضادة المحلية المخططة من قبل .. بل راح يرتجل ويضرب بطيش وحمق .. ولهذا بدت أفعاله كلها يسودها الارتباك .. بينما تمكنت قواتنا بفضل دقة التخطيط وروعة التنفيذ وبسالة الرجال أن تحطم كافة هجماته وضرباته المضـادة ، وتسحقها الواحدة وراء الأخرى .. وامتلأت أقفاص الأسرى بجنود اسرائيل وقادتهم ..

وحدثت خـلال المدة من ٦ الى ٨ اكتوبر حالة فقد الاتزان والارتباك فى الموقف التعبوى والتكتيكى للعدو ، راح يعمـل جاهدا على تداركها لاستعادة توازنه ، بسرعة اجراء التعبئة والفتح التعبوى لقواته بعد أن ضاعت منه المباداة وطاش صوابه ..

كما راح يعيد تنظيم وتدعيم القيادات على الجبهتين المصرية والسورية .. واستمر فى أعمال القتال التعطيلى على الجبهة المصرية بهدف انهاك قواتنا بالهجمات المضادة المتتالية ، وايقاع أكبر خسائر بها تمهيدا لتدميرها ، الا انه لم يتمكن من تحقيق ذلك ، اذ استمرت قواتنا فى التشبث برؤوس الكبارى وتوسيعها ، بل وأنزلنا به خسائر فادحة .

كما استمرت قوات دفاعنا الجوى فى تنفيذ مهامها بكفاءة تامة ، مما أدى الى صد وتدمير هجمات وضربات العدو الجوية ، واحداث أكبر الخسائر بطائراته ..

أما قواتنا الجوية فقد استمر هيكلها الرئيسى سليما فى مواجهة قوات العدو الجوية التى راحت طائراتها تتساقط هشيما ، وتتآكل قدرتها تدريجيا ..

****

نتيجة لكل ذلك ، ولعدم تحقيق العدو أى من أهدافه المرتجلة خلال تلك الأيام الحاسمة ، اتخذت حكومة اسرائيل قرارا باستدعاء قدامى القادة الذين حققوا لاسرائيل ذلك النصر الرخيص فى الجولة الثالثة عام ١٩٦٧ ، على أمل أن يرفع ذلك من معنويات الشعب والجيش الاسرائيلى ، وأن يوحى بقدرة القدامى على تحقيق ما فشل فيه الأحدثون .. ولعلهم يعيدون السيطرة المختلة الى مكانها الصحيح .

لقد كانت أهم العوامل والأسباب التى أدت الى ذلك الارتباك فى السيطرة هى :

* عدم تصور اسرائيل على المستوى السياسى والعسكرى ـ امكان أن تقوم مصر وسوريا بالهجوم لاستعادة أراضيهما المحتلة .

* تحقيق مصر وسوريا للمفاجأة الكاملة ، بما أذهل اسرائيل وأجبرها على التحول للدفاع لأول مرة فى تاريخها الضحل .. بل وعلى جبهتين ، وهو الأمر الذى كانت تعمل مستميتة على تجنبه ، وكان لذلك تأثير نفسى بالغ السوء على معنوياتها .

* كانت أوضاع العدو تتناسب وحالة اللاسلم واللاحرب ، التى سادت الشرق الأوسط بفضل تعنت اسرائيل وصلفها ، ولم يكن الفتح التعبوى الجزئى بكاف لمقابلة هجوم عربى شامل ومنسق ، يتصف بالاصرار والاقتدار ..

* وجد العدو نفسه أمام نوعية جديدة من القيادات والقوات العربية لم يواجه مثلها من قبل فى أى حرب من الحروب السابقة ، من نواحى التدريب والتصميم والروح القتالية والأسلحة المتطورة التى تم استيعابها ..

* النصر السريع الذى حققته سوريا فى الأيام الأولى للعمليات ، حيث كانت قواتها على وشك اتمام تحرير المرتفعات السورية (هضبة الجولان) ، واستعادة الحدود الدولية (خط ٤ يونية ١٩٦٧) .

* صدق البلاغات العسكرية العربية ومطابقتها لحقيقة أعمال القتال الجارية ، وتناقض بيانات وتصريحات اسرائيل وتخبطها الواضح وكذبها المفضوح ..

* الخسائر الفادحة التى تكبدتها اسرائيل فى الأفراد والمعدات ، وخاصة فى الدبابات والطائرات والأفراد .

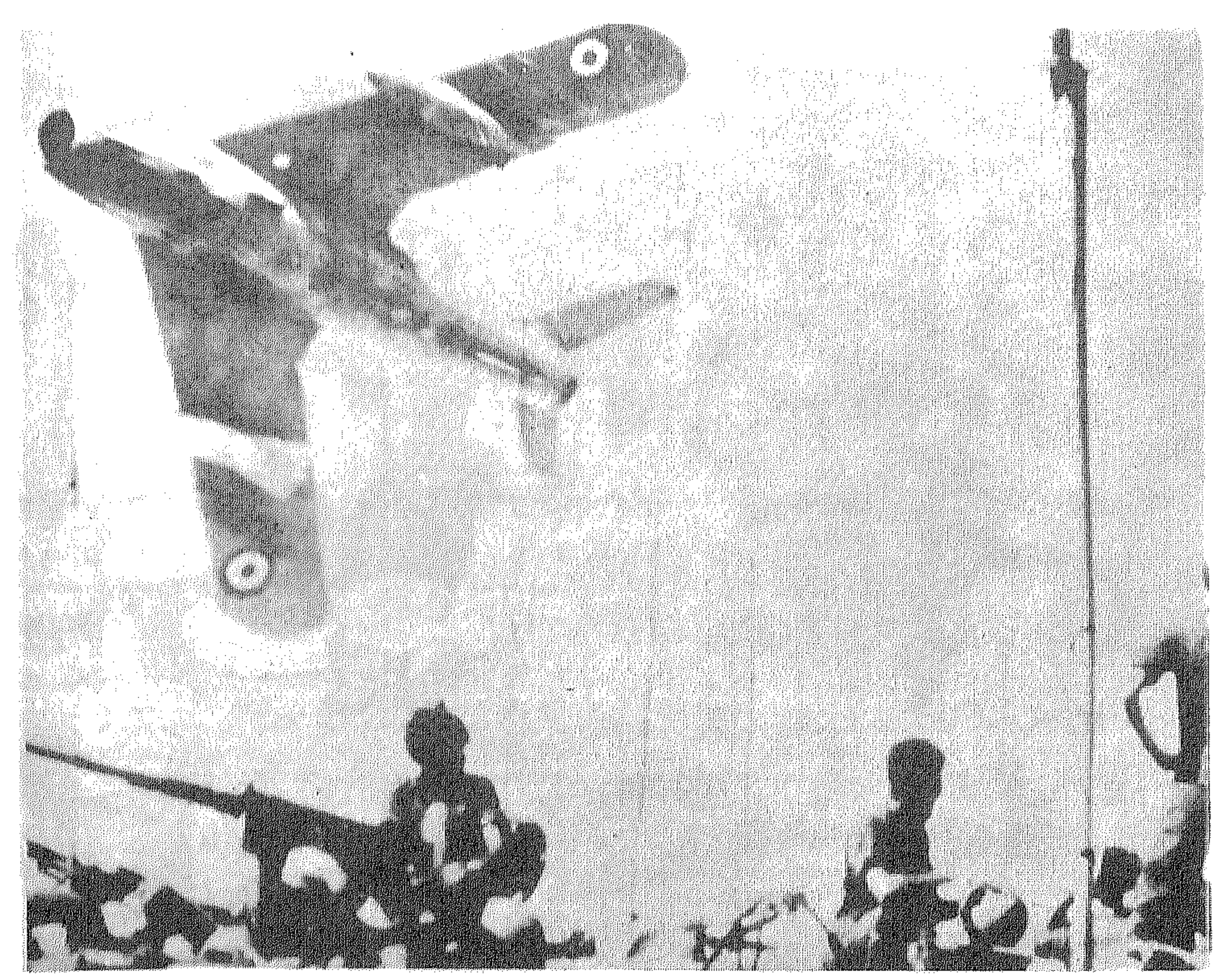
☆☆☆☆☆☆☆☆

ان أهم ما نلاحظه على المستوى التعبوى فى جبهة سيناء هو اهتزاز سيطرة قيادتها على قواتها ، سواء فى ذلك قيادة جبهة سيناء البرية أو الجوية ، وذلك نتيجة للعوامل السابق ذكرها ، بالاضافة الى مفاجأتها تماما باقتحام القوات المصرية قناة السويس ، وتحطيم قلاع خط بارليف ، والاستيلاء على معظم النقاط القوية ومراكز المقاومة والحصون خلال الساعات الأولى للهجوم ، بما حرم هذه القيادة من الوقت اللازم للتدخل ، أو تخطيط وادارة رد الفعل المناسب .

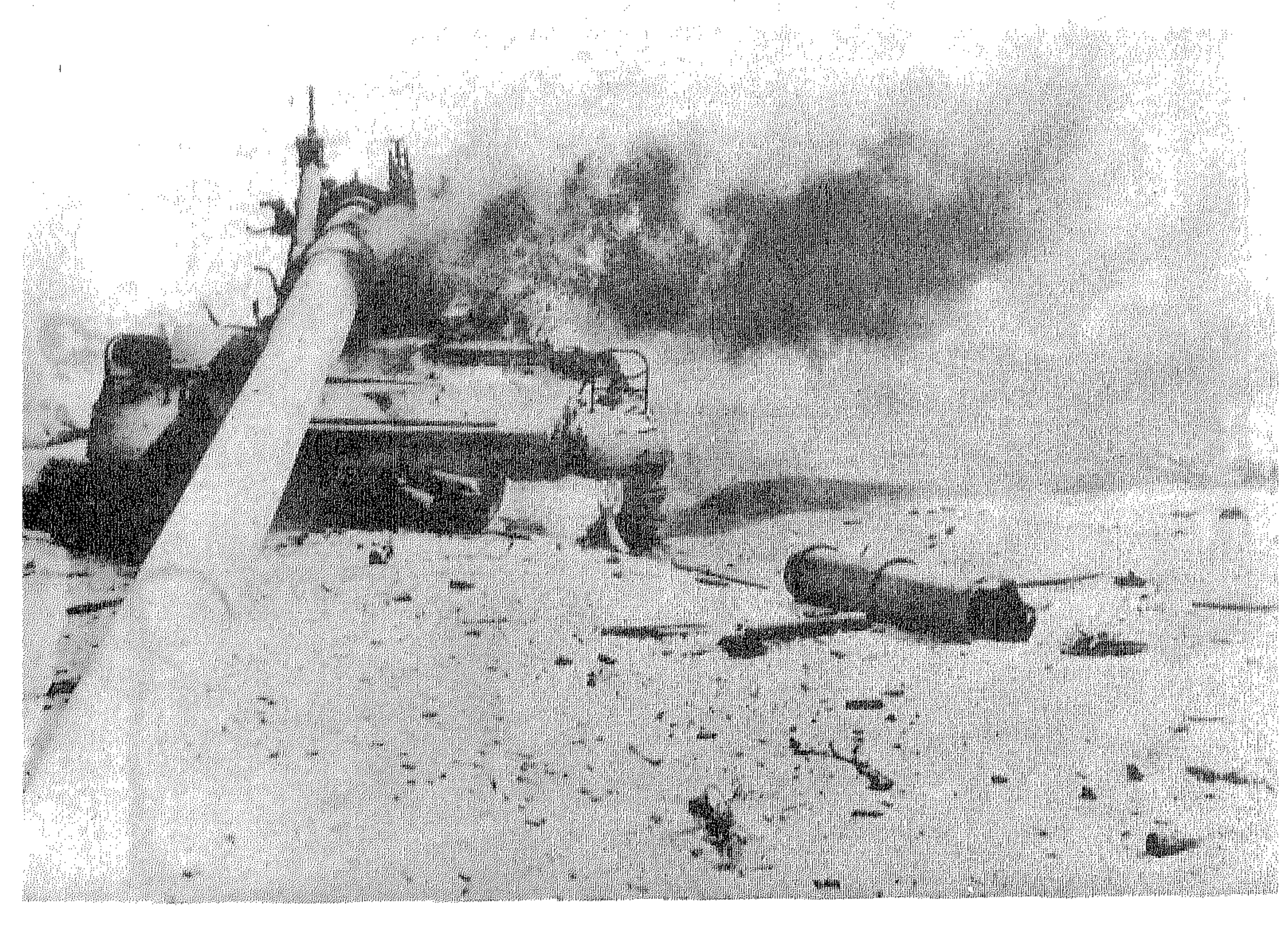
وكان لضربات القوات الجوية والصواريخ المصرية التى انهالت على مراكز القيادة والسيطرة الاسرائيلية فى سيناء الفضل الأكبر فى اختلال نظام السيطرة على القوات ، وانتقال السيطرة على جبهة سيناء عدة مرات من أم مرجم الى بالوظة ثم الى أم مخسة .. وكذا انتقال السيطرة على القوات الجوية بسيناء بين المليز والعريش عدة مرات .

« ٠٠ وفى الساعة ١٣٣٠ اتخذ الرئيس السادات مكانه على رأس هيئة القيادة العامة »

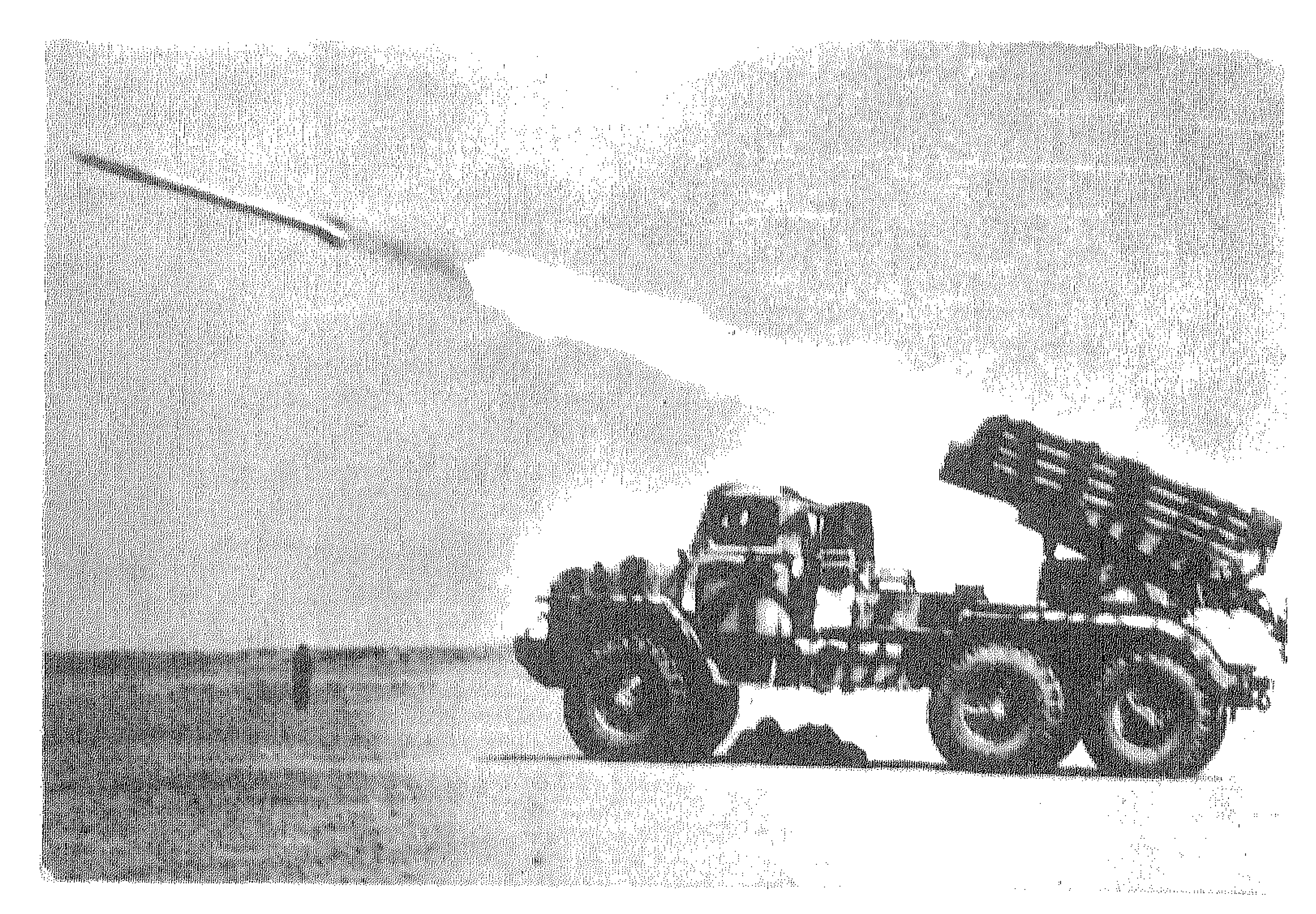




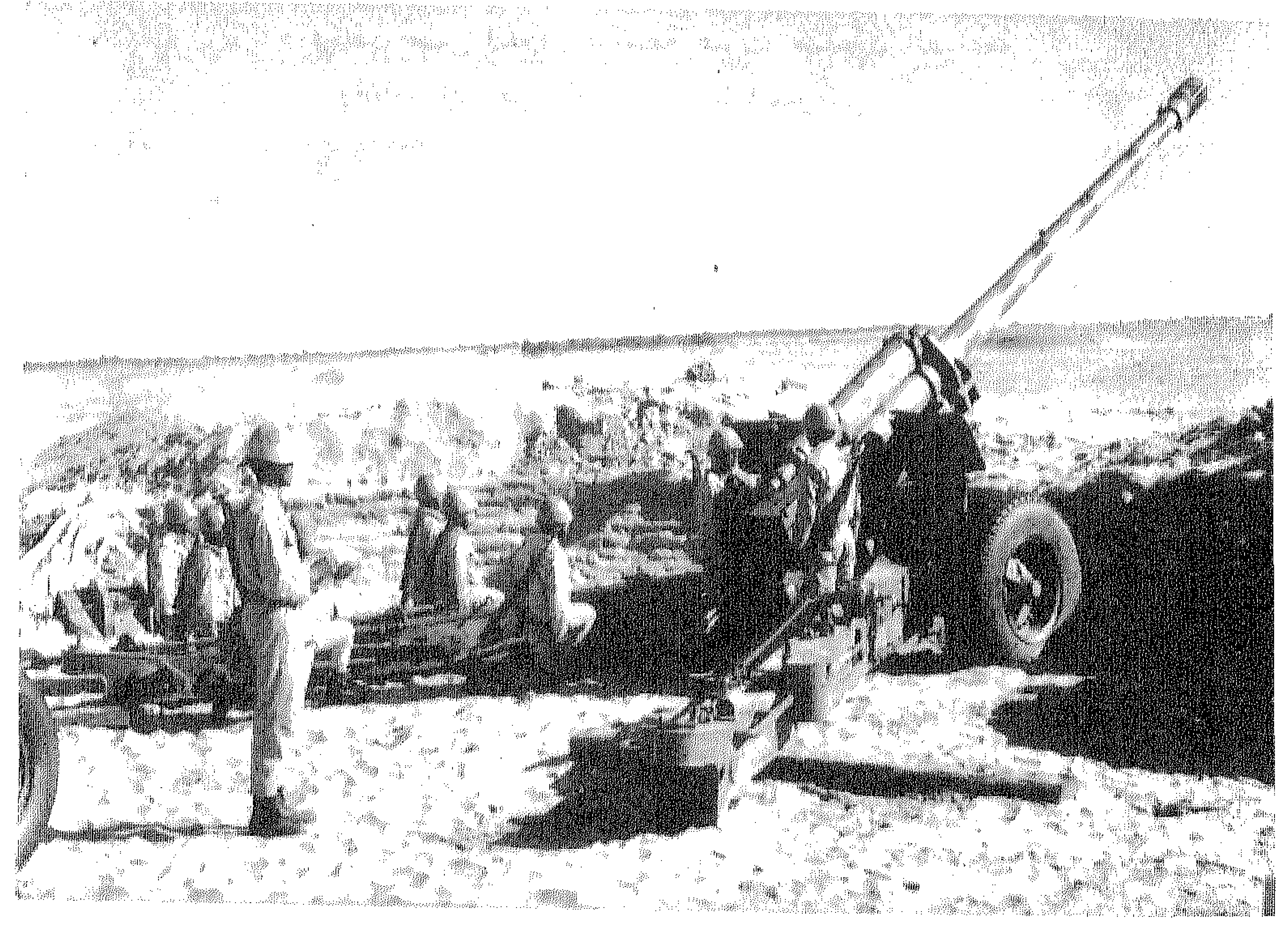
الضربة الجوية المصرية المركزة المفاجئة



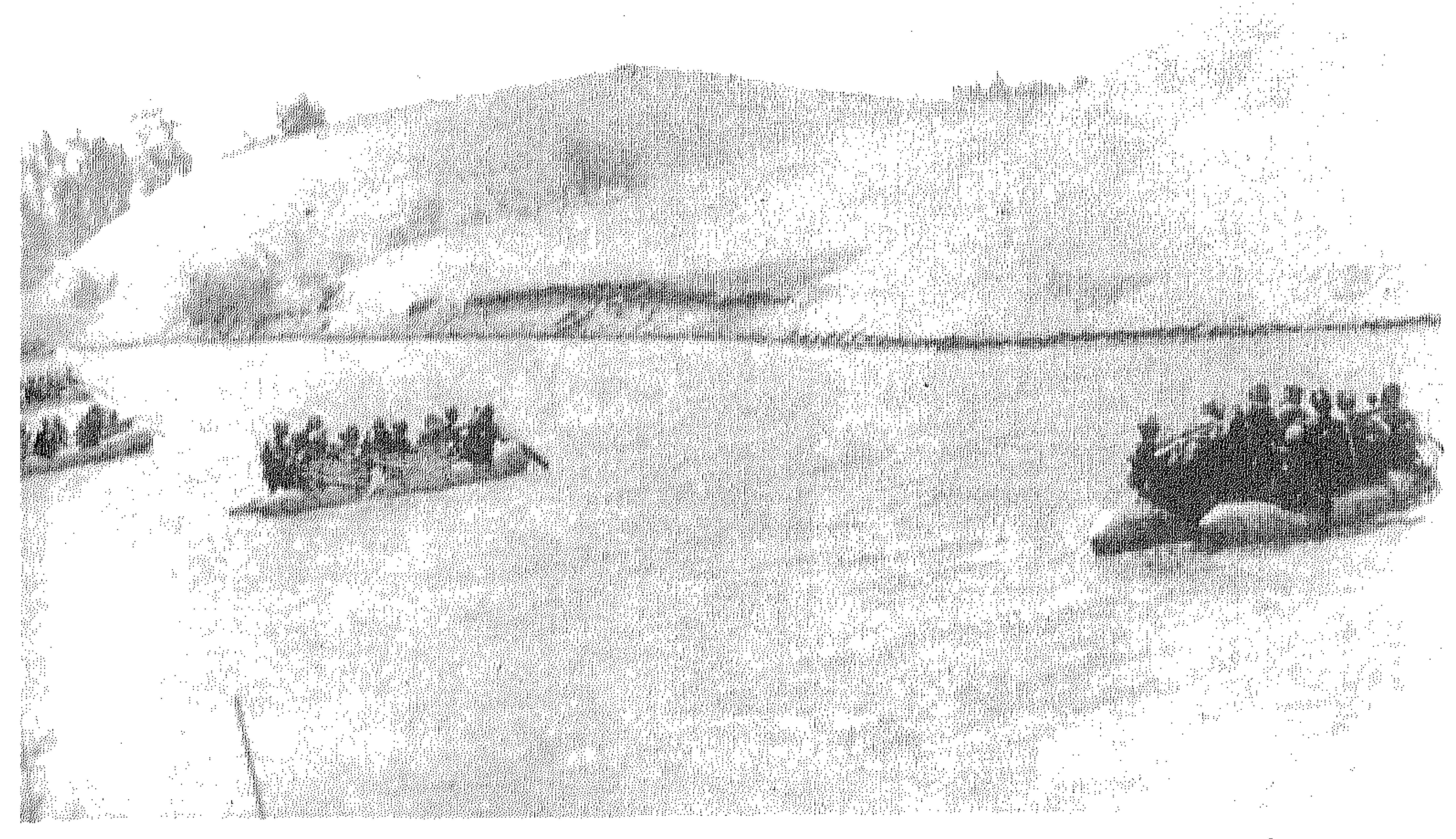
« .. ودمرت طائراتنا موقعي مدفعية بعيدة المدى »



الصواريخ المصرية تدمر قلاع بارليف

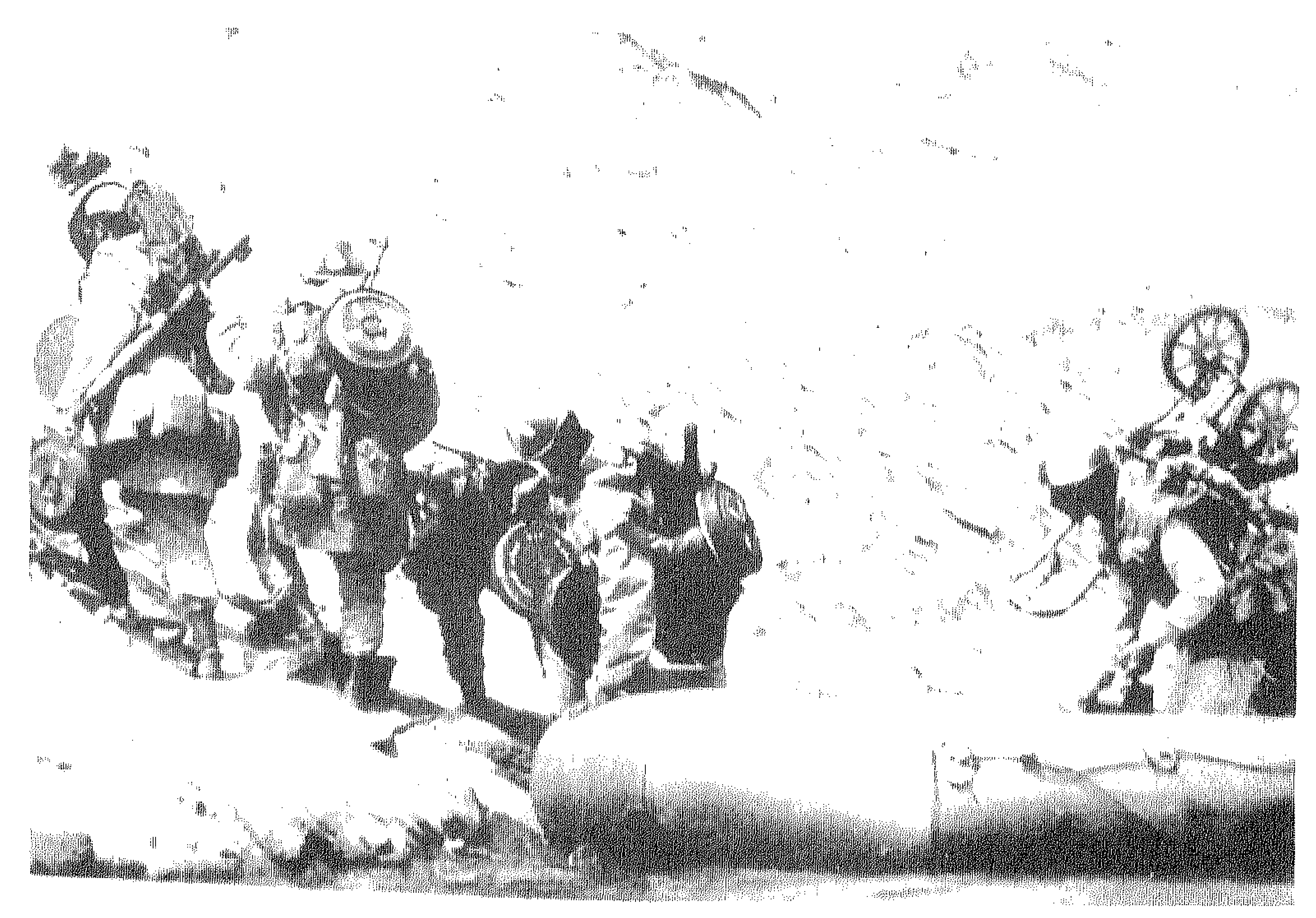


« وصبَّ ألفا مدفع الحمم فوق العدو »

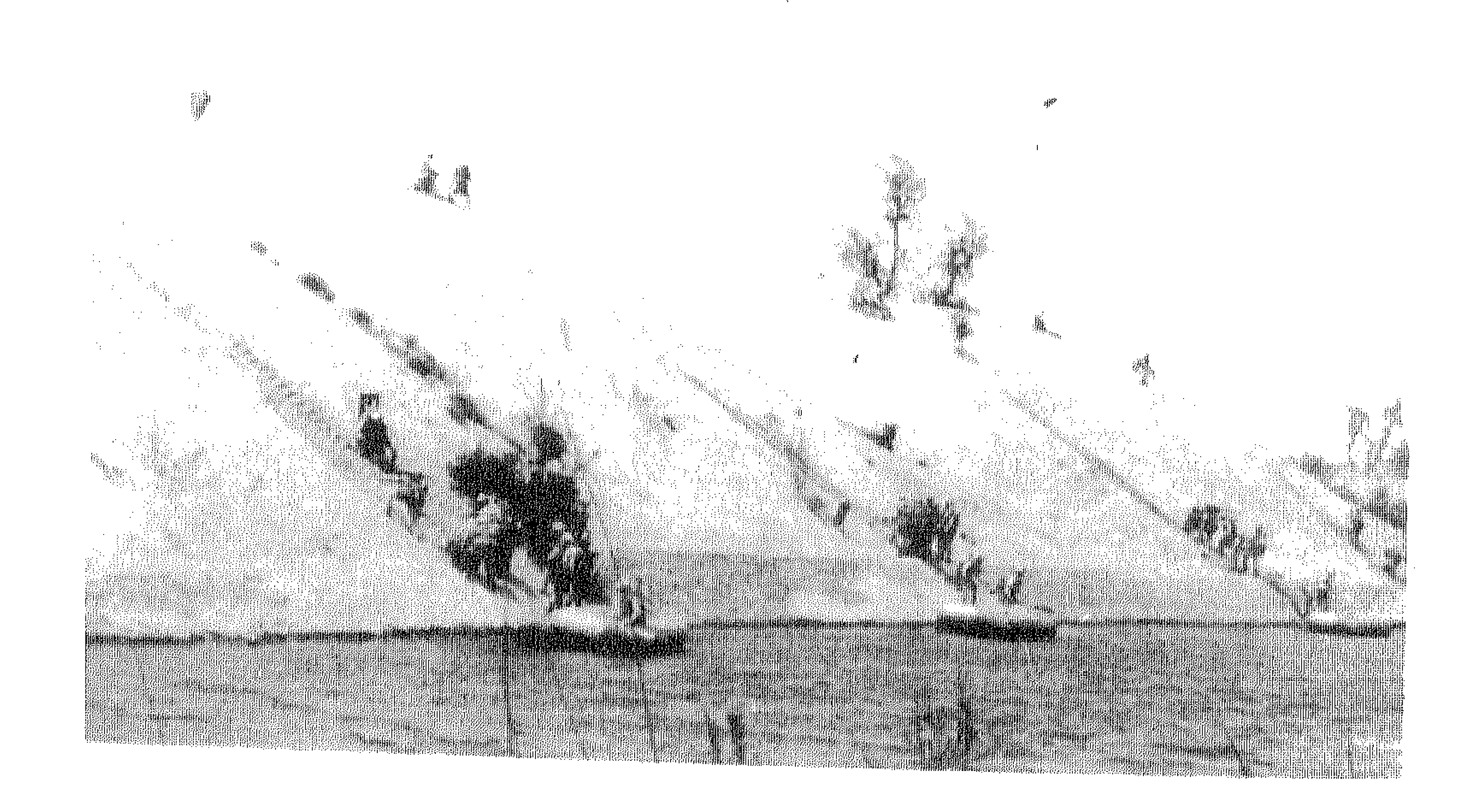


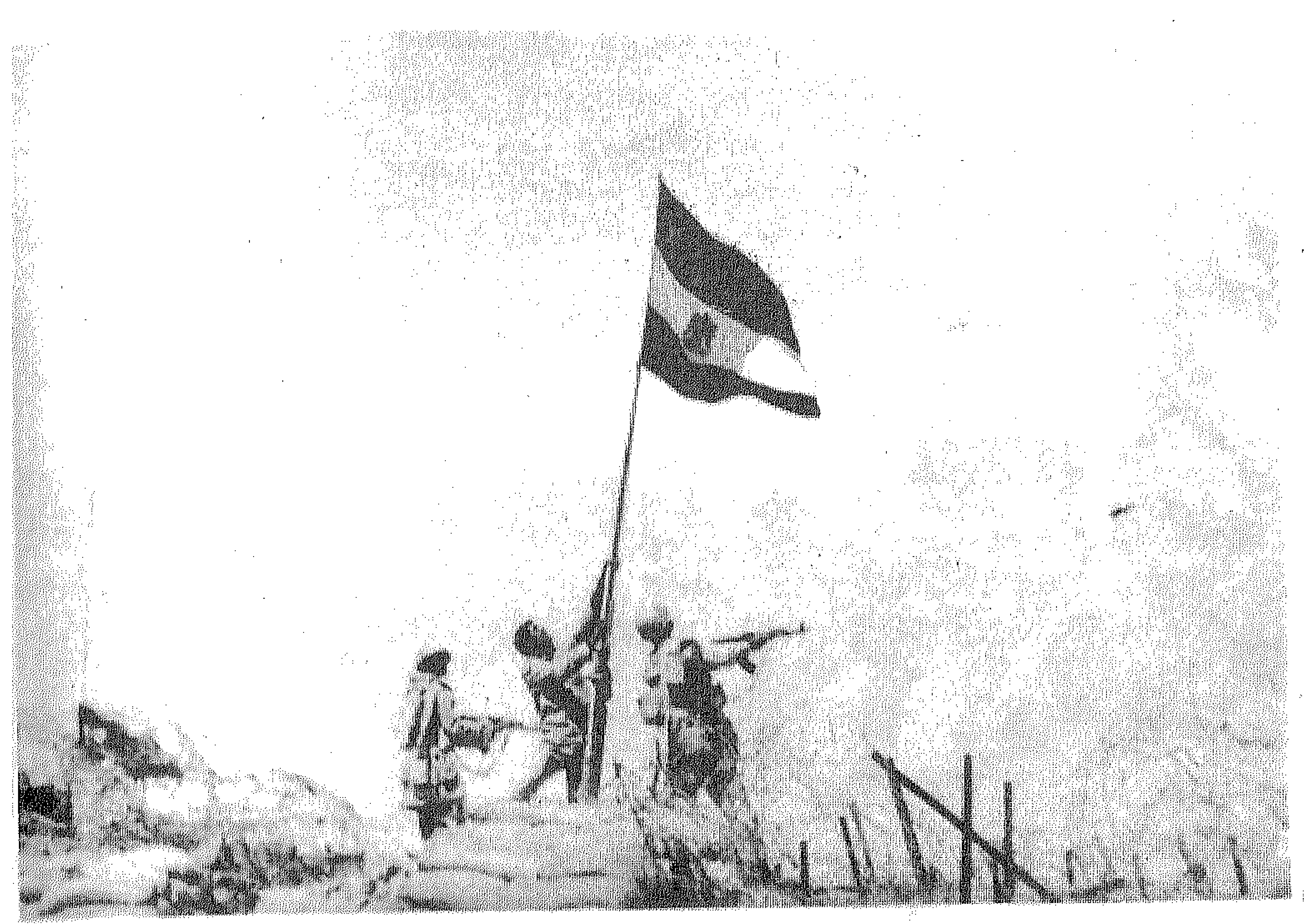
« .. وتحت ستر النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات قناة السويس »





« .. ووضع ثمانية آلاف جندى أقدامهم على الضفة الشرقية للقناة
وهم يهللون .. الله أكبر .. الله أكبر »

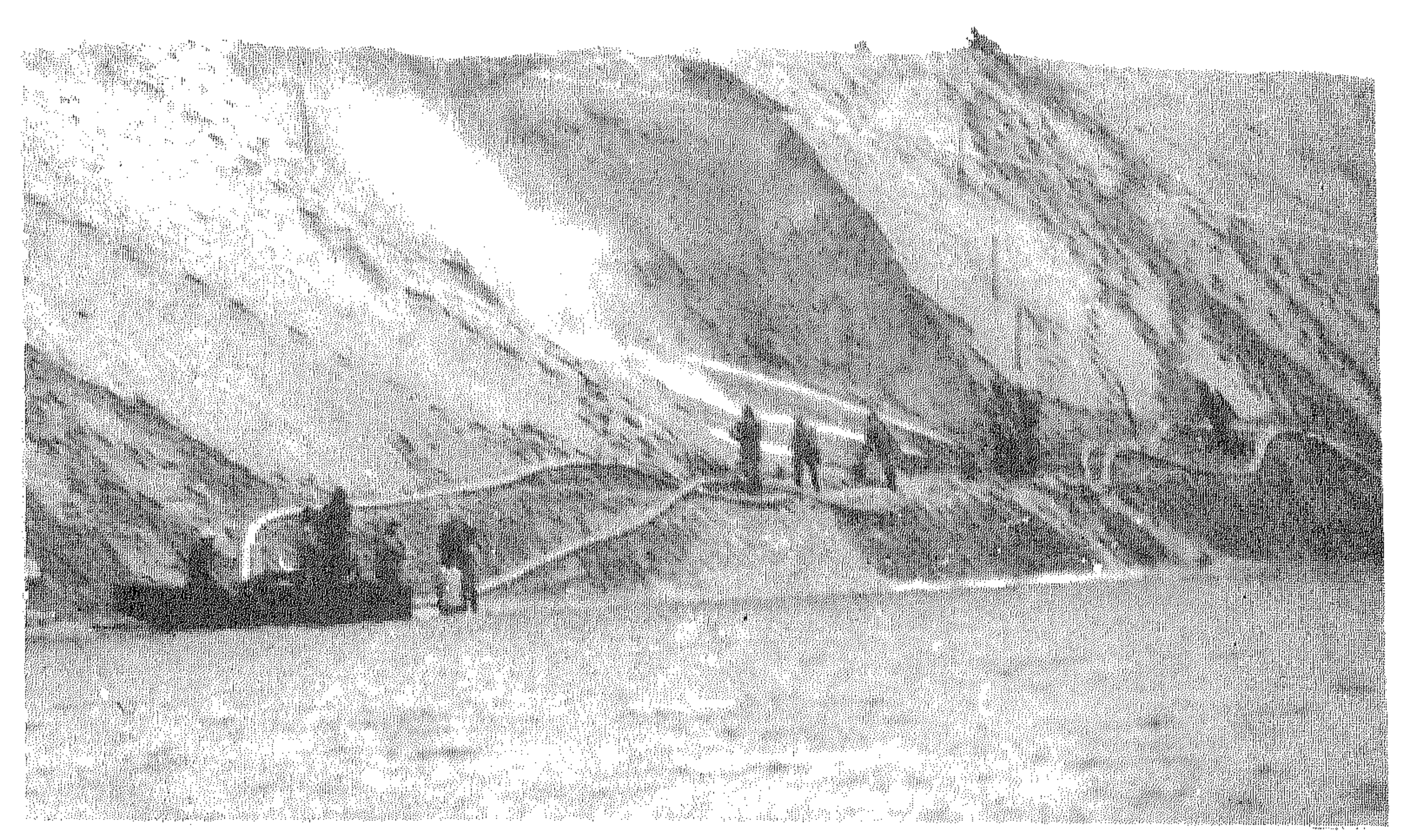




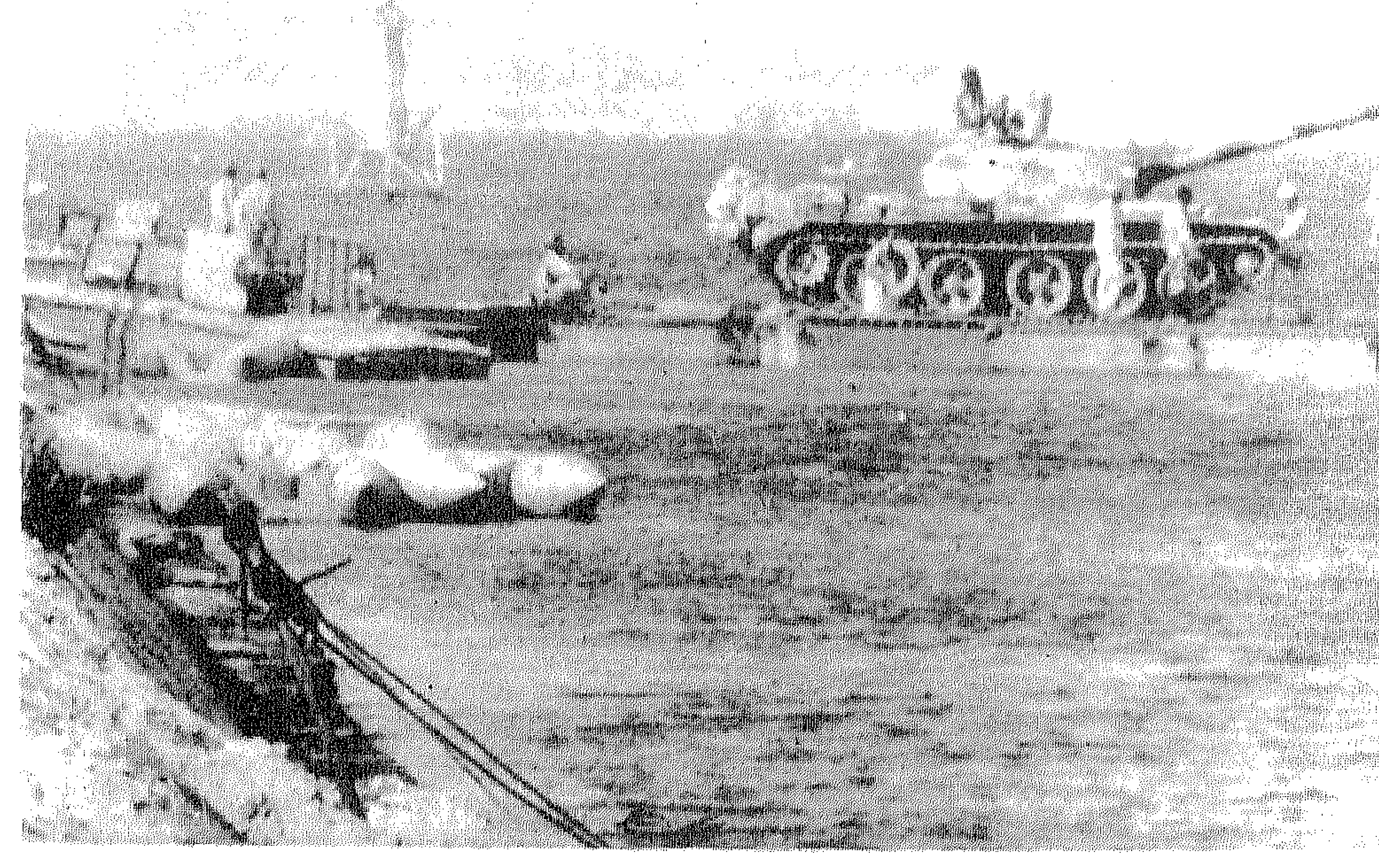
« وسرعان ما رفرفت أعـلام مصر فوق سيناء الحبيبة »



« ٠٠ وبالأظافر وبالأنياب تسلقوا الساتر العـالى »



مدافع الميـــاه تشق الساتر الترابى



« .. ونجحت قواتنا فى اقامة عدد كبير من المعديّات »

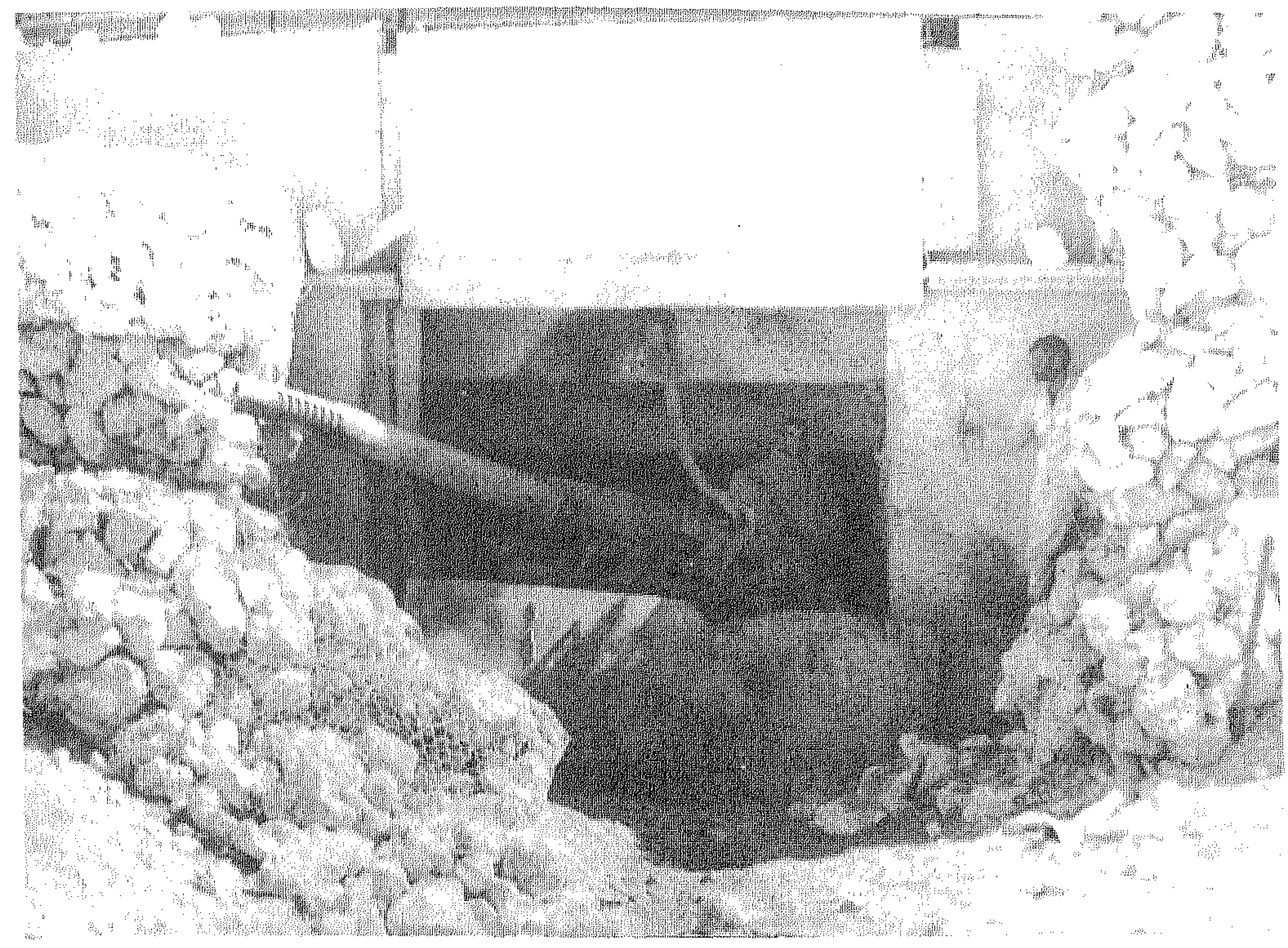
« .. وانشأت عشرة كبارى ثقيلة ، وعشرة كبارى مشاة »



« .. وفى الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيراً فى أيدى قواتنا »



« .. وفى أقل من ست ساعات سقط خط بارليف وتحطمت الأسطورة »

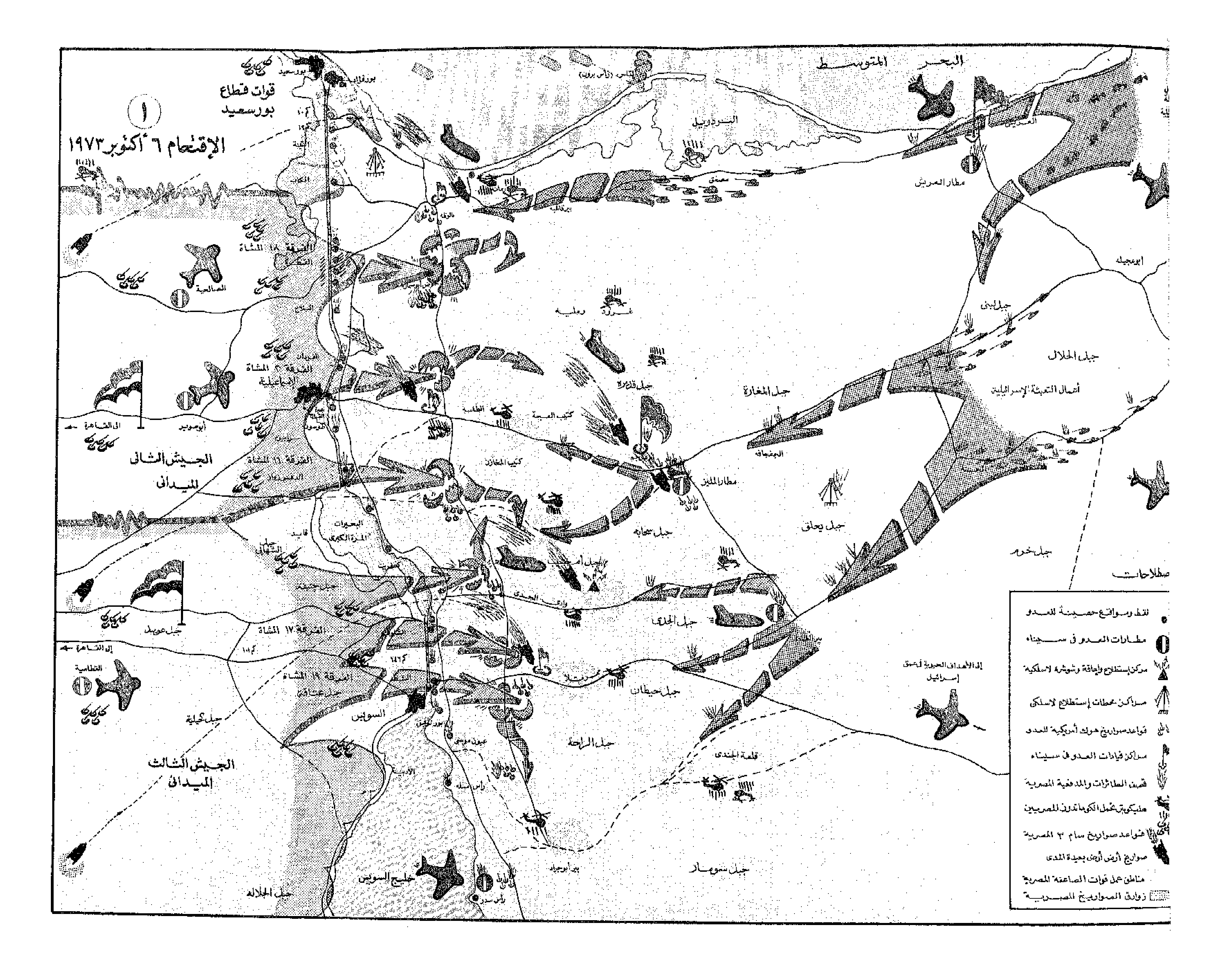


« .. واستولى الجيش الثالث على مواقع العدو »

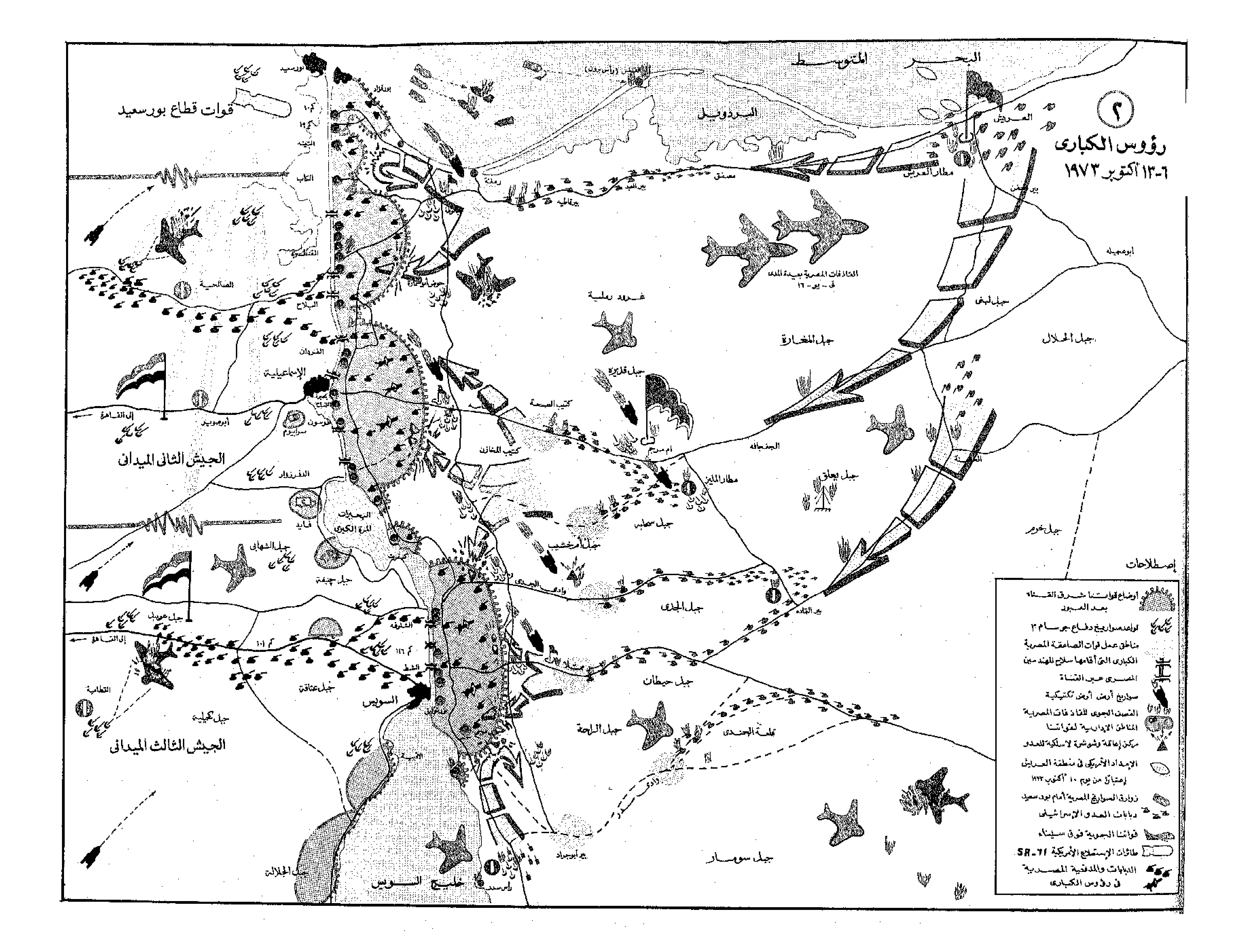


« .. وأخيرا وافقت القيادة على أن نسلم أنفسنا عن طريق الصليب الأحمر »

ملازم ناحوم بن زيون



١
الإقتحام ٦ أكتوبر ١٩٧٣
قوات قطاع بورسعيد
بورسعيد
البحر المتوسط
العريش
مطار العريش
أبوعجيلة
جبل لبنى
جبل الحلال
جبل المغارة
أعمال التعبئة الإسرائيلية
الجفجافة
مطار المليز
جبل يلق
جبل خرم
جبل سحابه
جبل الجدى
جبل حيطان
جبل الراحة
قلعة الجندى
جبل سوهار
الجيش الثانى الميدانى
الجيش الثالث الميدانى
الإسماعيلية
الفرقة ٢ المشاة
الفرقة ١٦ المشاة
الفرقة ١٨ المشاة
الفرقة ١٧ المشاة
الفرقة ١٩ المشاة
البحيرات المرة الكبرى
السويس
خليج السويس
إلى القاهرة
أبوصوير
الصالحية
جبل عويبد
جبل عتاقة
جبل الجلالة
عيون موسى
رأس سدر
إلى الأهداف الحيوية في عمق إسرائيل
اصطلاحات
نقط ومواقع حصينة للعدو
مطارات العدو فى سيناء
مركز إستطلاع وإعاقة وشوشرة لاسلكية
مراكز محطات إستطلاع لاسلكى
قواعد صواريخ هوك أمريكية للعدو
مراكز قيادات العدو فى سيناء
قصف الطائرات والمدفعية المصرية
هليكوبتر تحمل الكوماندوز المصريين
قواعد صواريخ سام ٣ المصرية
صواريخ أرض أرض بعيدة المدى
مناطق عمل قوات الصاعقة المصرية
زوارق الصواريخ المصرية



٢
رؤوس الكبارى
٦-١٣ أكتوبر ١٩٧٣
البحر المتوسط
البردويل
العريش
مطار العريش
رمانة
بالوظة
بير العبد
قوات قطاع بورسعيد
بورسعيد
القنطرة
الصالحية
البلاح
الإسماعيلية
إلى القاهرة
أبوصوير
سرابيوم
الجيش الثانى الميدانى
الدفرسوار
البحيرات المرة الكبرى
فايد
جبل الشبراوى
جبل جنيفة
جبل عويبد
كم ١٠١
الشلوفة
الشط
السويس
جبل عتاقة
جبل كحيلية
القطامية
الجيش الثالث الميدانى
خليج السويس
رأس سدر
بير أبوجراد
جبل سومار
جبل الراحة
تلة الجندى
جبل حيطان
جبل الجدى
بير الثمادة
وادى الجدى
جبل أم خشيب
جبل سحابا
مطار المليز
أم مرجم
الجفجافة
جبل يعلق
جبل خرم
كثيب المخازن
كثيب الحبشى
جبل قليرة
غرود رملية
جبل المغارة
جبل الحلال
جبل لبنى
أبوعجيلة
الطائرات المصرية بعيدة المدى ف - تيو - ١٦
إصطلاحات
أوضاع قواتنا شرق القناة بعد العبور
قواعد صواريخ دفاع جوى سام ٣
مناطق عمل قوات الصاعقة المصرية
الكبارى التى أقامها سلاح المهندسين المصرى عبر القناة
صواريخ أرض أرض تكتيكية
القصف الجوى للقاذفات المصرية
المناطق الإدارية لقواتنا
مركز إعاقة وشوشرة لاسلكية للعدو
الإمداد الأمريكى فى منطقة العريش إعتباراً من يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣
زوارق الصواريخ المصرية أمام بورسعيد
دبابات العدو الإسرائيلى
قواتنا الجوية فوق سيناء
طائرات الإستطلاع الأمريكية SR-71
الدبابات والمدفعية المصرية فى رؤوس الكبارى


الفصل الثاني
الضغط شرقا

الضغط شرقا

المرحلة الثانية للعملية الهجومية الإستراتيجية "بدر"

تطوير الهجوم شرقا وتوقفه

١٤ أكتوبر ١٩٧٣

نجدة الشقيق

◆ ظهر من سير أعمال القتـال فى المرحلة الأولى للعملية الهجومية الاستراتيجية أن العدو يركز جهوده الرئيسية لايقاف هجوم القوات السورية كأسبقية أولى ، وذلك لعوامل عدة يأتى على رأسها قرب القتال هناك من الأراضى الاسرائيلية ، الأمر الذى يهدد العمق الاسرائيلى بصورة مباشرة ٠

ولهذا ركزت اسرائيل بجهودها الرئيسى ، ودفعت جزءا كبيرا من احتياطياتها التعبوية والاستراتيجية صوب الجبهة السورية ٠ كما اتضح للقيادة المصرية أن

العدو سوف يكتفى بتثبيت الجبهة المصرية ، وذلك بصفة مؤقتة ، لحين ايقاف التهديد السورى وتصفيته قبل أن يحول مجهوده الرئيسى صوب الجبهة المصرية • وظهر ذلك جليا من هبوط وتيرة هجمات العدو المضادة ، واضمحلال حجمها على الجبهة المصرية فى نهاية المرحلة الأولى ، وتحول بعض قوات العدو الى تجهيز خطوط دفاعية جديدة الى الشرق من رؤوس الكبارى ، بعيدا عن قواتنا •

ولاحباط مخطط العدو ، قرر القائد العام الفريق أول أحمد اسماعيل العمل على اجبار العدو على نقل جهوده صوب سيناء ، لتخفيف الضغط على القوات السورية • ولاجبار العدو على هذه المناورة تقرر التعجيل بقيام القوات المصرية بالضغط شرقا على العدو فى سيناء ، مبكرا عما كان مخططا لها من قبل ، اذ كان التخطيط العام السابق يقتضى تطوير الهجوم شرقا بعد اتمام انشاء رؤوس الكبارى ، وتحطيم كافة الضربات المضادة •

ولذلك تقرر أن يقوم الجيشان الميدانيان الثانى والثالث بتطوير الهجوم شرقا بجزء من قواتهما ، مع استمرار تمسكهما فى نفس الوقت برؤوس الكبارى ، بواسطة القوات الأصلية التى كانت موجودة هناك منذ بداية العبور ، ونعنى بها الفرق المشاة الخمسة •

وفى صباح ١١ أكتوبر الباكر أتمت أجهزة القيادة العامة المصرية تقدير الموقف والتخطيط لتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية ، للوصول الى المداخل الغربية لسلسلة المضايق الجبلية •

وتلخصت فكرة العملية فى استخدام مفارز قوية من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على شريحة من الأرض يصل عمقها الى ٣٠ كيلو متر من القناة حتى المداخل الغربية للمضايق والممرات ، وأوكل اليها مهمة تدمير قوات العدو الموجودة هناك ، وحرمانه من استخدام الطريق العرضى الذى يقع على هذه المسافة ، والذى يوفر للعدو حرية الحركة والعمل ضد رؤوس الكبارى •

كما كلفت تلك المفارز أيضا أن تمنع تدفق قوات العدو من الشرق الى الغرب عبر تلك المضايق والممرات ، وذلك تمهيدا لتحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة ، فى الأيام القليلة التالية ، وفقا للخطة الموضوعة •

وقد أحاط بهذا القرار مخاطر عدة ، كان أهمها خروج القوات من ستر غطاء صواريخ الدفاع الجوى المتمركزة غرب القناة ، وتعرضها بالتالى لضربات

العدو الجوية ، التى تلاحظ ازدياد شدتها وكثافتها ابتداء من ١٠ أكتوبر ، بفضل وصول الدعم الأمريكى لاسرائيل ٠٠ كما كانت ضرورة التمسك برؤوس الكبارى على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وعدم اضعاف القوات الرئيسية الموجودة هناك أو فى غرب القناة تشكل ضرورة ملحة بصفة كونها الضمان الأكيد لعدم فقد القوات المسلحة اتزانها الاستراتيجى أو التعبوى فى هـذه المرحلة الحرجة من المعركة الضارية ٠٠

ولذلك نصت التوجيهات الصادرة على استخدام مفارز صغيرة الحجم نسبيا ، ولكنها ذات قوة نيران كبيرة ، على أن تكون من خارج التكوين الأصـلى للفـرق المشاة الخمس التى كان عليها أن تستمر فى التمسك برؤوس الكبارى • وهكذا تقرر أن يتم الضغط شرقا بمفارز مدرعة وميكانيكية بقوة كتائب وألوية •

وفى الساعة ٠٦١٥ يوم ١٤ أكتوبر وجهت القـوات الجوية ضربة جويـة ضد أهداف العدو الهامة فى سيناء ، كما تم تنفيذ ضربة بالصواريخ التكتيكية أرض / أرض متوسطة المدى ، ضد مراكز سيطرة العدو ، ومحطات الاعاقة الالكترونية ٠٠

وفى نفس الدقيقة فتحت نيران أكثر من ٥٠٠ مدفع ميدان متوسط وثقيل وعربة اطلاق صواريخ ، واستمرت النيران تنهمر فوق رؤوس العدو ومواقعه لمدة ١٥ دقيقة ، كى تمهد الطريق أمام القـوات المهاجمة ، وتنزل بالعـدو العقاب الجسيم ٠٠ وبدأت المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية الهجوم سعت ٠٦٣٠ يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ على النحو التالى :

- بقوة لواء مدرع وكتيبة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا الجبلى •
- بقوة لواء ميكانيكى فى اتجاه مضيق الجدى •
- بقوة لوائين مدرعين فى اتجاه المحور الأوسط •
- بقوة لواء مدرع فى اتجاه المحور الشمالى •

وتقدمت المفارز فى وجه ستارة عنيفة من نيران العدو وخاصة من أسلحته المضادة للدبابات التى اعتمد فيها على الصواريخ المضادة للدبابات الأمريكيـة الحديثة الصنع ، التى وصلت المسرح توا • ووجه العدو على عجل الجزء الأعظم من قواته الجوية لاحباط تقدم قواتنـا وايقاف هجومها ، كما ركز نيران مدفعيتـه الثقيلة على مواقع صواريخ دفاعنا الجوى ٠٠

ورغم المقاومة العنيدة تمكنت المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية من التوغل داخل أوضاع العـدو لمسافة تراوحت بين ١٢ ـ ١٥ كيلو متر ، وأوقعت به خسائر كبيرة ، واحتلت بعض مواقعه ، وأثبتت بغير شك أن التفوق النوعى فى القتال انما هو فى جانب المقاتل المصرى الجسور ..

وازدادت ضراوة المعارك حدة على امتداد يوم ١٤ أكتوبر ، واتسعت ساحة القتال فاشتملت على كل شريحة الأرض التى تقع الى الشرق من رؤوس كبارى الجيشين الميدانيين ، وحتى ١٥ ـ ١٨ كيلو مترا شرقا ..

ورجحت كفة قواتنا ، فأسرع العدو يحول جهد قواته الجوية من الجولان الى سيناء ، لينقذ الموقف الميئوس منه ، الذى أصبحت قواته تعانيه ، وفى نفس الوقت ظهرت للقيادة الاتحادية دلائل قوية تشير الى تحريك العدو للجزء الرئيسى من احتياطياته الاستراتيجية وقواته المعبأة .. وخاصة من المدرعات ، صوب سيناء ..

وبنهاية اليوم ، وعندما ظهر جليا أن العـدو قد تحول باهتمامه وقدراته الرئيسية نحـو الجبهة المصرية ، بما خفف الضغط كثيرا على جبهة سوريا .. وبمجرد أن تأكدت المعلومات عن تحريك العـدو لقـوات برية جديدة من عمق اسرائيل صوب القناة ، قدرت القيـادة العامة المصرية أن تطوير الهجوم شرقا قد حقق أهدافه العامة فى هذه المرحلة ، فأصدرت أوامرها بعودة المفارز داخل رؤوس الكبارى لاعادة تنظيمها وتقويتها .. مع تعديل أوضاع بعض القوات وتدعيمها استعدادا لصد وتدمير الهجمات والضربات المضادة القوية المدرعة التى توقعت القيادة المصرية أن يبدأ العدو شنها خـلال يوم ١٥ أكتوبر . وسرعان ما أثبتت أحداث الجبهة صحة ما توقعته القيادة العامة المصرية ..

****

وخلال ذلك اليوم قامت القوات الجوية المصرية بتوفير الحماية الجوية للقوات البرية أثناء الهجوم ، وصدت هجمات العـدو الجوية المركزة التى حاول توجيهها مرتين ضد مطاراتنا وقواعدنا الجوية (الساعة ٠٩٠٠ والساعة ١٥٢٠ يوم ١٤ أكتوبر) ولم ينجح العدو الا فى اصابة ممر فرعى واحد فى أحد مطاراتنا .

ودارت فى نفس اليوم أروع معارك قواتنا الجوية حيث اشتبكت مقاتلاتنا (ستون طائرة ميج ٢١) مع تشكيل جوى معادى كبير ، وصل عدد طائراته الى ٧٠ ـ ٨٠ طائرة فانتوم وميراج فوق سماء الدلتا ، وأسقطت للعدو فى هذه

المعركة خمسة عشرة طائرة فانتوم ، مقابل تسع طائرات ميج ٢١ سقطت احداها نتيجة تصميم طيارها على الاقتراب من الطائرة المعادية التى أصابها ليتم تدميرها من مسافة قريبة للغاية ٠ فانفجرت الفانتوم وأصاب انفجارها طائرتنا ، ولكن طيارها تمكن من القفز سالما ، وعاد الى قاعدته ليشترك فى الطلعات التالية ٠

كما هاجمت قواتنا الجوية قوات العدو التى كانت تعترض هجوم قواتنا ٠٠ وأخرجت لكل المهام حوالى ٥٠٠ طلعة / طائرة ، وأسقطت للعدو ١٧ طائرة فى معارك جوية عندما حاول مهاجمة أهدافنا فى العمق ٠٠ وكان يوم ١٤ أكتوبر يوما مجيدا لقواتنا الجوية الباسلة ٠٠

****

واستمرت قوات الدفاع الجوى فى توفير الغطاء الجوى للقوات البرية والقواعد الجوية بكفاءة ، وذلك فى مواجهة تركيز العدو لمجهوده الجوى ضد الجبهة المصرية ، فى محاولة لاحباط هجوم المفارز المصرية ٠

وقد قامت قوات الدفاع الجوى بنقل بعض كتائب الصواريخ الى شرق القناة ، لمد الغطاء الجوى لأبعد مسافة ممكنة الى الشرق ، توفيرا للحماية المنشودة لهجوم المفارز المصرية ـ وتمكنت قوات الدفاع الجوى خلال هذا اليوم من اسقاط ٢٠ طائرة للعدو ٠٠ وكان يوم ١٤ أكتوبر يوما مجيدا أيضا لدفاعنا الجوى العظيم ٠٠

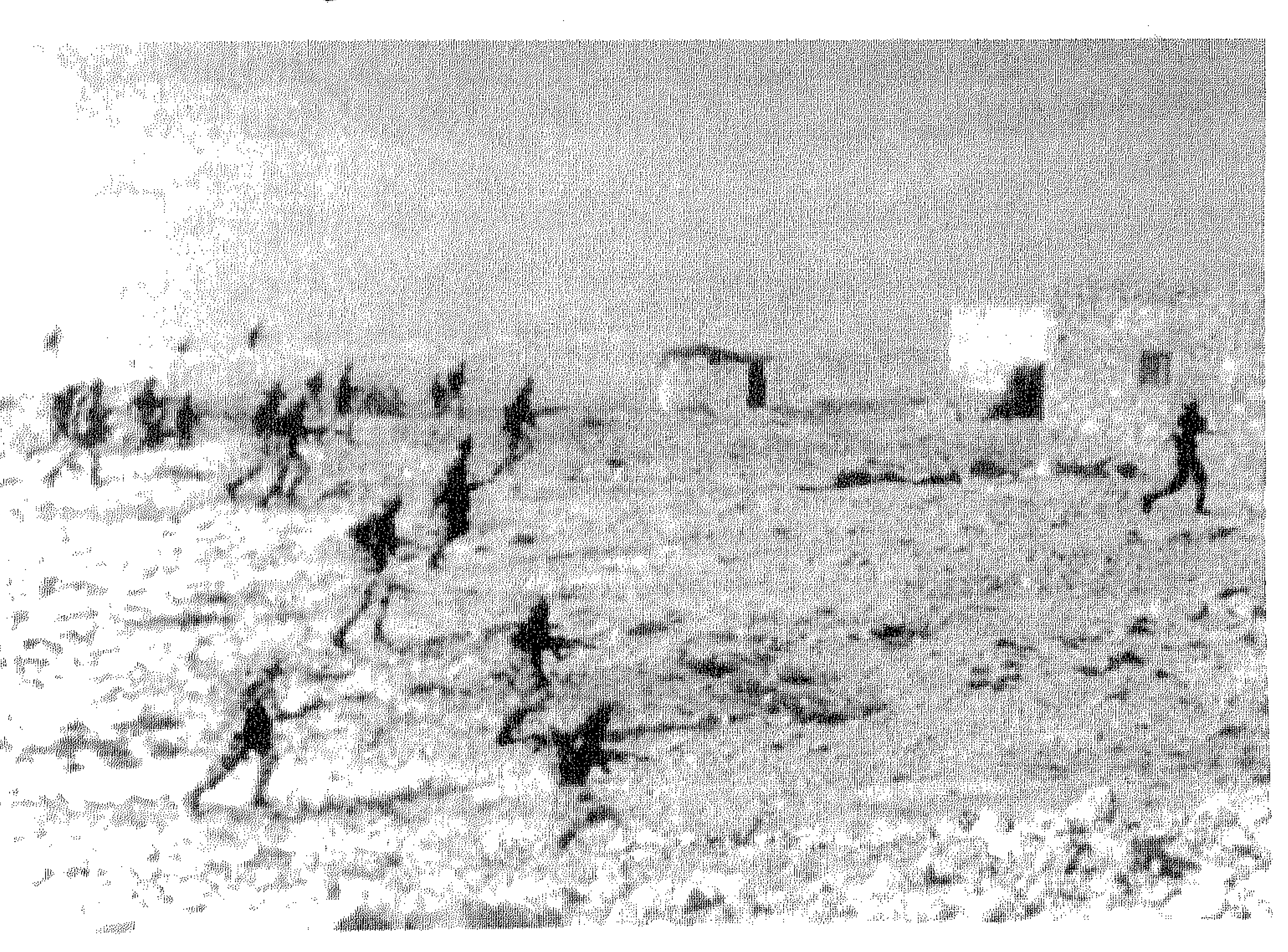
****

أما القوات البحرية فقد استمرت فى تأدية المهام المخططة لها ، وقامت المدفعية الساحلية والصواريخ البحرية بقصف مواقع العدو وتجمعات قواته البرية والبحرية فى شمال سيناء ٠٠ ووقع اشتباك بحرى مع تشكيل معاد تسانده طائرات الهليكوبتر شمال ساحل الدلتا ، وتم تدمير ٢ لنش صاروخى للعدو ، كما أسقطت له طائرتان ٠

وقصفت القوات البحرية مواقع العدو ومراسيه فى جنوب سيناء ، كما نفذت الصاعقة البحرية اغارة خاطفة على منطقة الشيخ بيثان جنوب الطور ٠ واستمرت الغواصات والمدمرات فى تأمين مواقعنا وقطع خطوط مواصلات العدو البحرية ٠ وهكذا كان يوم ١٤ أكتوبر يوما مجيدا أيضا لقواتنا البحرية الجسورة ٠٠



توغلت المفارز المصرية رغم المقاومة العنيدة داخل أوضاع العدو



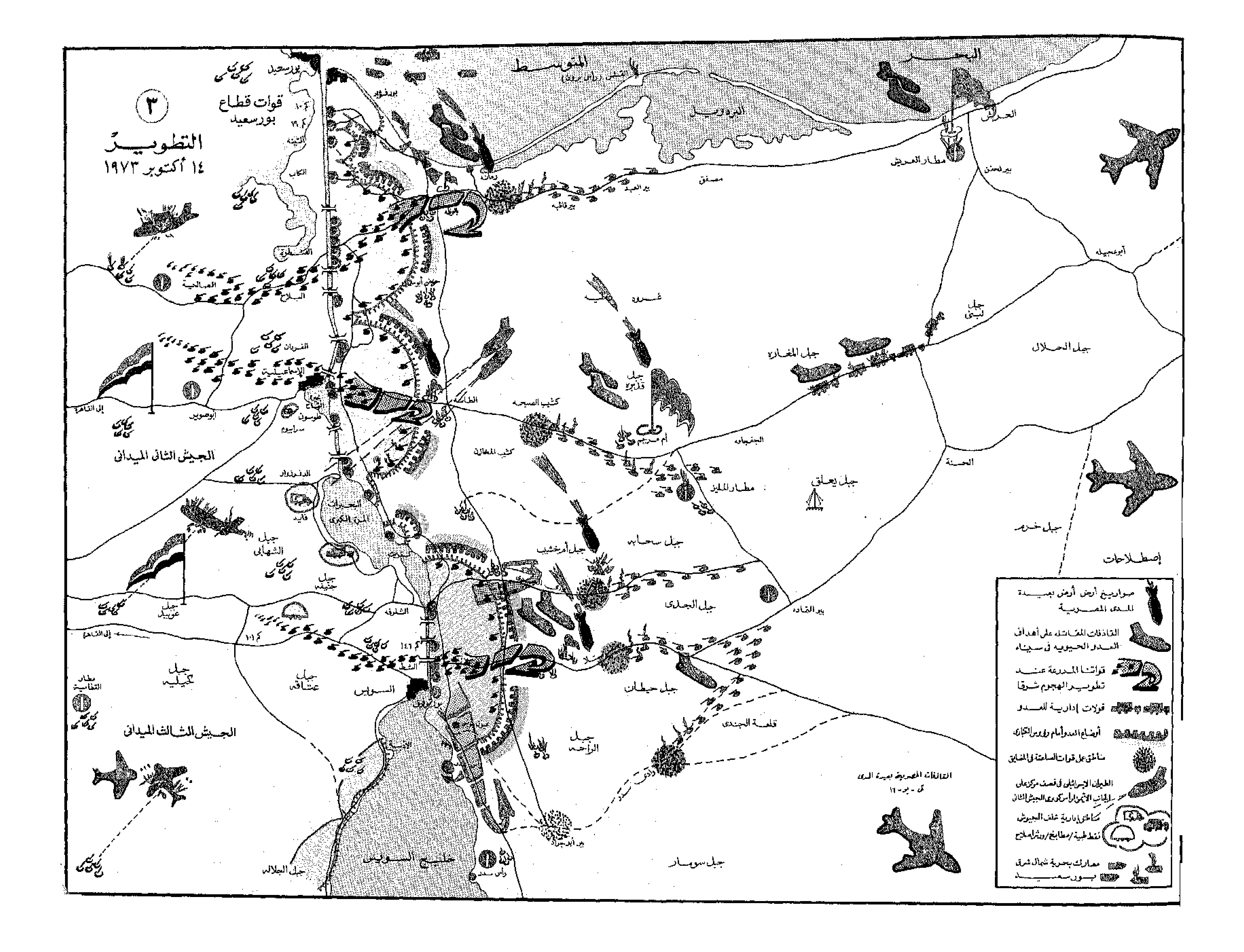
بدات المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية الهجوم سعت ٦٣٠ يوم ١٤ أكتوبر





« ٠٠ وازدادت ضراوة المعارك حدة على امتداد يوم ١٤ أكتوبر »





٣
التطوير
١٤ أكتوبر ١٩٧٣
قوات قطاع
بورسعيد
بورسعيد
بورفؤاد
البحر المتوسط
البردويل
العريش
مطار العريش
رمانة
بالوظة
بير العبد
مصفق
بير لحفن
أبو عجيلة
القنطرة
البلاح
الفردان
الإسماعيلية
أبو صوير
إلى القاهرة
سرابيوم
طوسون
الدفرسوار
البحيرات المرة الكبرى
فايد
الجيش الثانى الميدانى
الطاسة
كثيب الصبحه
كثيب المغارة
أم مرجم
الجفجافة
مطار المليز
جبل يعلق
جبل المغارة
جبل لبنى
جبل الحلال
الحسنة
جبل خرم
جبل سحابة
جبل أم خشيب
جبل الجدى
بير التمادة
جبل عويبد
جبل جنيفة
الشلوفة
السويس
بورتوفيق
جبل عتاقه
مطار القطامية
الجيش الثالث الميدانى
جبل حيطان
قلعة الجندى
جبل الراحة
بير أبو جراد
رأس سدر
جبل سومار
خليج السويس
جبل الجلالة
إصطلاحات
صواريخ أرض أرض بعيدة المدى المصرية
القاذفات المقاتلة على أهداف العدو الحيوية فى سيناء
قواتنا المدرعة عند تطوير الهجوم شرقا
قولات إدارية للعدو
الطيران الإسرائيلى فى قصف مركز على الجانب الأيمن لرأس كوبرى الجيش الثانى
مناطق إدارية خلف الجيوش
معارك بحرية شمال شرق بورسعيد


الفصل الثالث
معارك الدبابات الكبرى

المرحلة الثالثة للعملية الهجومية الإستراتيجية "بدر"

صد الهجمات المضادة المركزة

١٥ - ١٧ أكتوبر ١٩٧٣

عــــام : ◆ اسمرت مصــادر المخـابرات والاستطلاع الحربيــة منذ العــاشر من أكتــوبر ١٩٧٣ تتابع تدفق الامدادات الأمريكية على اسرائيل ٠

واتضح للقيادة المصرية أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعوض اسرائيل عن خسائرها فقط ، بل وتمدها بدعم جديد من الأسلحة والمعدات الحديثــة ، وأهمها الدبابات والصواريخ الحديثــة المضادة للدبابات ، وصــواريخ الشرايك والقنابل التليفزيونية ، ووسائل الشوشرة والاعاقة الالكترونية ٠٠

وبعد نجاح القوات المصرية فى تخفيف الضغط عن جبهة سوريا ، واجبار العدو على تحويل مجهوده الجوى الرئيسى الى الجبهة المصرية ، وظهور بوادر انتقال اهتمام العــدو من الجولان الى سيناء ، قرر الفريق أول أحمد اسماعيل تدعيم

رؤوس الكبارى وتقويتها ، وتحويلها الى صخرة تتحطم عليها أمواج دبابات العدو التي توقع القائد العام أن القيادة الاسرائيلية سوف تدفع بها في هجمات وضربات مضادة قوية خلال الخامس عشر من أكتوبر ٠٠

وصح ما توقعه القيادة المصرية ، اذ نشط العدو وحشد في مواجهة رؤوس الكبارى حوالى ٩ ألوية منها ٦ لـواء مدرع وبعض الكتائب المستقلة من المشاة والدبابات والأسلحه الأخرى ، بالاضافة الى مختلف أنواع القوات ، علاوة على احتياطاته التعبويه والاستراتيجيه وقواته الجديدة التي استمر في تشكيلها في الخلف ، والتي شملت لوائين مدرعين ولوائين ميكانيكين ولواء مظلات ٠

وركز العدو اعتبارا من ١٥ أكتوبر هجماته وضرباته المضادة القوية المتفوقه ضد رؤوس الكبارى على طول المواجهة ، ووجه جهوده الرئيسة بصفه خاصة ضد الجانب الأيمن للجيش الثاني الميداني (اللواء الأيمن للفرقه ١٦ المشاة) ٠٠

واستمر العدو خلال الفترة من ١٥ الى ١٧ أكتوبر شن الهجمات والضربات المضادة ضد نفس اللواء ، ويلقى بقوات جديدة الى المعركة مستغلا فيض الأسلحه الأمريكية التي أصبحت تصل اليه في العريش بدلا من ميناء حيفا توفيرا للوقت ، فامكنه أن يدفع أربعه ألوية مدرعة جديدة لتعويض الخسائر الفادحه التي ألحقناها به أثناء ضرباته المضاده ضد ذلك القطاع الضيق من خط الجبهه ٠٠

لقد دفع العدو في هذه المرحله حوالى ١٢٠٠ دبابة ، هاجمت معظمهـا القطاع الأيمن للجيش الثاني الميداني ، وتحطم خـلال هذا القتال العنيف جزء كبير منها ، ومنى العدو بهزيمة سوف تبقى مرارتها في حلقه لسنوات طويله قادمة ٠٠

الا أن العدو تمكن خلال نفس الفترة من ستر عبور بعض القوات الصغيرة ـ حوالى سرية مشـاة ميكانيكيه وسريه دبابات برمائيـه ـ عبر الطرف الشمالي للبحيرات المرة عند مطار الدفرزوار المهجور ، مستغلا ظلام ليله ١٥/١٦ أكتوبر ، بهدف تحقيق كسب معنوى تغطى به آثار الأعمال الحربيه المجيدة للقوات المسلحه المصريه والسورية ٠٠ وترفع به من معنويات الجيش والشعب الاسرائيلي ، التي كانت قد تدهورت وتقتتت حتى وصلت الى الحضيض تماما ٠٠

سرد الأحداث الرئيسية للمرحلة :

تأكدت القيادة العامــة المصريه من عزم العــدو على شن هجمات وضربات مضادة قوية يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ لاحظت أنه قــد حشد ٩ ألويه (منها ٦ لواء مدرع ، ٢ لواء ميكانيكي ، ولواء مشاة) في مواجهة رؤوس الكباري · وتابعت القيادة المصريه نشاط العدو في أعمال الاستطلاع بقــوة على طول المواجهــه ، لتحديد نقاط الضعف والأجناب المعرضــة في أوضاعنا ··

واستمر العدو خــلال ذلك اليوم بشن الهجمات المضــادة المحدودة الحجم والهدف لارهاق قواتنا ، كما أنشأ خطوط صد في مواجهه قوات رؤوس الكباري ، لتثبيت باقي القوات ··

واعتبارا من النصف الثاني من يوم ١٥ أكتوبر نشط العــدو في توجيه الضربات المضادة ضد رؤوس الكباري جميعا ، وركز جهوده الرئيسية ضد الجانب الأيمن للجيش الثاني (اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشــاة) ، ثم توالت هجمات العدو الليليه بوتيره عاليه ··

واستمرت قواتنا تصد وتدمر تلك الهجمات ، ولم يتوقف العدو عن دفع قوات جديدة ضــد اللــواء الذي كان يحمي الجــانب الأيمن للفرقة ١٦ المشــاة المصرية ·· الا أن هذا اللواء استبسل في الدفاع واستمر يصد هجمات العــدو المضاده ، ثم تحول الى حصار العدو وتدمير قواته ، وأوقع به من الخسائر المؤكدة ما بلغ مقــداره كتيبتي دبابات كانتا قد حاولتا التسلل داخل أوضــاع اللواء الدفاعيه ، عبر الأراضي السبخه شرق القناة ، خلال ليله ١٥/١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ·

وتوالت هجمات العدو الليلية بهدف تصفية رأس الكوبري في هذا القطاع ، والاستيلاء على جزء من الضفه الشرقيه للقناة ، لانشاء المعابر اللازمه لنقل جزء من القوات والأسلحه الى الضفة الغربية ·· ولكن العدو لم يتمكن من تنفيذ هدفه هذا ·· فلم ينجح الا في دفع العناصر الأماميه للواء الأيمن الى الخلف

لمسافه حوالى ٢ ــ ٣ كيلو متر ، ولكن قوات الفرقة ١٦ المشاة سرعان ما استردت الارض المفقوده قبل أن يبزغ فجر اليوم السابع عشر ، ثم أتمت تدمير قوات العدو فى مواجهتها بعد ذلك ٠

وتمكن العدو تحت ستر الهجمات المضادة الليلية من أن يدفع بقوات صغيرة لا يتجاوز حجمها سرية المشاة الميكانيكية ، تركب حاملات أفراد برمائية أمريكية الصنع (عشرة ناقلات م ١١٣) وسرية دبابات برمائية (من سبع دبابات) ٠٠ وتسللت تلك القوة الصغيرة تحت ستر الظلام عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة الى مطار الدفرزوار المهجور ، واختبأت داخل الأشجار والأحراش الكثيفة المنتشرة فى تلك المنطقة ٠٠

ومع استمرار فشل العدو فى تصفية رأس الكوبرى للواء الأيمن للفرقه ١٦ المشاة ، ومع تزايد خسائره ، وخاصة فى الدبابات والأفراد ، عمد الى دفع قوات مدرعة اضافية ، حتى بلغ اجمالى ما دفعه منها على التوالى أكثر من أربعة ألوية مدرعة جديدة (أى حوالى ٤٠٠ ــ ٤٥٠ دبابة) ، زجها للقيام بهجمات مضادة قوية ضد نفس اللواء الأيمن المستبسل ، مع متابعة هجماته المضادة ضد باقى قواتنا فى رؤس الكبارى الأخرى ، بقوات جديدة طوال الفترة من ١٥ الى ١٩ اكتوبر ، حتى تمكن فى النهاية من دفع اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة نحو الشمال مسافة ٨ ــ ١٠ كم ٠٠

ولكن العدو لم ينجح فى أى هجوم مضاد آخر ضد أى من رؤوس الكبارى الأخرى ، بل فشلت جميع هجماته ، وتكبد فيها خسائر ضخمة للغاية ، واستولت قواتنا على الكثير من المعدات الصالحة والأسرى ٠

وعلى الضفة الغربية للقناة قامت القوات الاسرائيلية المتسللة صباح السادس عشر من أكتوبر بالسرب صوب مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، وهاجمتها بالنيران من بعد ، وأسكتت البعض منها ، وأحدثت بذلك ثغرة فى نظام دفاعنا الجوى ، استغلتها قوات العدو الجوية فى مهاجمة مؤخرة قواتنا ، وستر أعمال القوات المدرعة المسللة ، التى اصطدمت ببعض القوات المصرية ، فتمكنت من تدمير جزء من دبابات العدو ، وأجبرت الباقى على الاختفاء فى منطقة الأحراش حول الدفرزوار ٠

وكانت القيادة المحلية فى موقع السلل على يقين من قدرتها على القضاء على باقى قوة التسلل المعادية ٠٠ ولهذا دفعت قوة كلفتها بالقضاء عليها ، الا أن العدو استمات فى فتح الثغرة وتدعيمها ، وألقى بكل ثقله الجوى ضد أعمال قواتنا البرية غرب القناة ، والتى كانت قد حرمت من غطائها الجوى بالصواريخ على النحو الذى فصلناه آنفا ٠

ودفع العدو فى مواجهة الثغرة على الجانب الشرقى للقناة بقوات مدرعة جديدة ، بلغ حجمها أكثر من أربعة ألويه مدرعة ــ كما سبقت الاشارة اليه ــ لتعمل ضد اللواء الأيمن للفرقه ١٦ المشاة ٠٠ الا أن هذه المدرعات الاضافية فشلت بدورها عدة مرات فى فتح الثغرة أو دعم القوات التى تسللت الى الغرب ٠

وتوالت اشارات القادة الاسرائيليين ــ التى تمكنت أجهزتنا من التقاطها ــ تطلب الاذن بتأجيل تنفيذ المهـام لفداحة الخسائر ، وخطورة الموقف ، وعنف النيران المصرية التى تسد فى وجوههم كل طرق الاقتراب الى القناة ٠٠

كان العدو يعلم أن قرار وقف النيران على وشك الصدور ٠٠ وبالتالى سوف يكون سريانه ضمانا له فى مغامرته التى بدت ملامح فشلها تلقى ظلالها الكئيبة على موقفه العام ٠٠ ولهذا قرر العدو الاستمرار فى المقامرة ، رغم ما حاق به من خسائر ، لعل ما يأتى به الغد القريب يخفف ولو قليلا من لوعة الهزيمة ، ويرفع ولو بقدر محدود من المعنويات المنهارة فى الجبهة وفى عمق الدولة ٠٠

وعلى هذا استمر العدو يعزز قواته تدريجيا فى الغرب ، مبتدئا باستخدام المعدات البرمائية ، ثم المعديات ٠٠ وبعد أن تمكن من دفـع العناصر الأمامية للواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة شمالا ٠٠ أنشأ كوبرى استخدمه فى عبور قواته الى الغرب ٠٠

وكان ذلك الكوبرى بعيدا عن طائلة أسلحة المشاة ٠٠ الا أنه كان فى متناول مدفعية الجيش الثانى ، بل والمدفعية بعيدة المدى للجيش الثالث ، وبفضل التعاون الوثيق بين قائد مدفعية الجيش الثانى (العميد أركان الحرب محمد عبد الحليم أبو غزاله) وقائد مدفعيـة الجيش الثالث (العميد أركان الحرب منير شاش) أمكنهما أن يحولا معبر الكوبرى الى جحيم مستعر ٠٠

ودفع العدو ثمنا غاليا لتلك المغامرة ٠٠ اذ تحولت منطقة الدفرزوار شرق وغرب القناة الى مقبرة لمدرعاته وأفراده ، بل مقبرة لوحدات كاملة من تنظيمه الميدانى ٠٠ وبعد عشرين يوما وصف جرانفيل وست مراسـل روتر الحربى

أرض هذه المعركة ٠٠ فكان مما قاله عنها ٠٠ « لا يزال حطام الدبابات الاسرائيلية من طراز سنتوريون وعليها آثار الحريق والرماد مبعثرة على امتداد المنطقة الصحراوية المسطحة ، ذكرى للمعارك التى تمثل أروع الانتصارات المصرية » ٠٠

وطوال تلك الفترة لم يتمكن العدو من تعدية سوى لواء مدرع واحد ، استغل بقاياه الممزقة التى نجت من جحيم المدفعية المصرية فى عمل الكمائن فى منطقة الأشجار حول الدفرزوار . وتشكيل الدوريات الصغيرة (كل من ١ ـ ٢ دبابة ، ١ ـ ٢ فصيلة مشاة) التى داومت على التسلل الى مواقع الصواريخ المضادة للطائرات لاخلال نظام الدفاع الجوى . وذلك باطلاق النيران على تلك المواقع من مسافات بعيدة ٠

وعلى امتداد تلك الفترة قامت بعض القوات المصرية من المشاة والدبابات الموجودة على الضفه الغربية . وبعض احتياطيات القيادة من عناصر الصاعقة والمظلات بالهجوم المضاد على قوات العدو المتسللة لحصرها وتدميرها ٠٠ وأنزلت بالعدو خسائر ثقيلة . وتقاضت منه ثمنا غاليا جدا مقابل مغامرته الاستعراضية التى كان الجنرال أندريه بوفر المدير السابق للمركز الاستراتيجى الفرنسى أول من أطلق عليها اسم « المعركة التليفزيونية » ٠٠

وركزت قوات العدو الجوية جهودها بعد أن حدثت الثغرة فى نظام الدفاع الجوى . فتمكنت من انقاذ فلول العدو المبعثرة هنا وهناك بين الأشجار ، واحتمت تلك القوات المبؤس من وضعها داخل القرى والحدائق والأحراش . وتجنبت الدخول فى قتال جدى مع القوات المصرية التى استمرت فى البحث عنها واصطيادها وتدمير ما تجده منها ٠٠

وقامت قواتنا الجوية خلال هذه المرحلة بألف وخمسين طلعة طائرة لحماية الأهداف الحيوية والقوات البرية . وصد الهجمات الجوية المركزة التى حاول العدو توجيهها مرتين ضد بعض المطارات والقواعد الجوية دون نجاح ، وكذا حماية قطاع بور سعيد ٠٠ وكان تفصيل هذه الطلعات المخططة بحذق وجسارة ٩٥٠ طلعة مقاتلة ، ٩٠ مقاتلة قاذفة ، ١٠ طلعة هليكوبتر ٠٠ كما قامت القوات الجوية بمهاجمة قوات العدو شرق وغرب منطقة الدفرزوار ٠

وقد تحملت القوات الجوية خلال تلك الفترة أعباء ثقيلة ترتبت على نجاح العدو فى فتح الثغرة التى وان كانت قيمتها صغيرة ، الا أنها على كل حال ثغرة فى نظام دفاعنا الجوى . فى القطاع الأوسط من الجبهة غرب القناة ٠ وقد تمكنت قواتنا الجوية خلال نفس الفترة من اسقاط اثنى عشرة طائرة للعدو ٠٠

وظلت قوات الدفاع الجوى ـ رغم خسائرها ـ تواصل تقديم الحماية الفعالة لقواتنا البرية من مواقعها غرب القناة ، وفى قطاع بور سعيد ، ورغم تركيز العدو الجوى لمجهود كبير هناك بغرض تدمير تجميع الصواريخ المضادة للطائرات الموجودة به ، تمكنت قواتنا المسلحة فى هذا القطاع بالتعاون مع أهالى بور سعيد والسلطات المدنية من استعادة كفاءة نظام الدفاع الجوى عدة مرات ، مما فاجأ طائرات العدو التى ظنت فى كل مرة أنها قد قضت عليه القضاء المبرم الأخير ـ لتفاجأ به قويا عنيدا شديد الصلابة .

ويكفى دفاعنا الجوى فخرا أنه قد دمر للعدو ٤٤ طائرة خلال هذه المرحلة ..

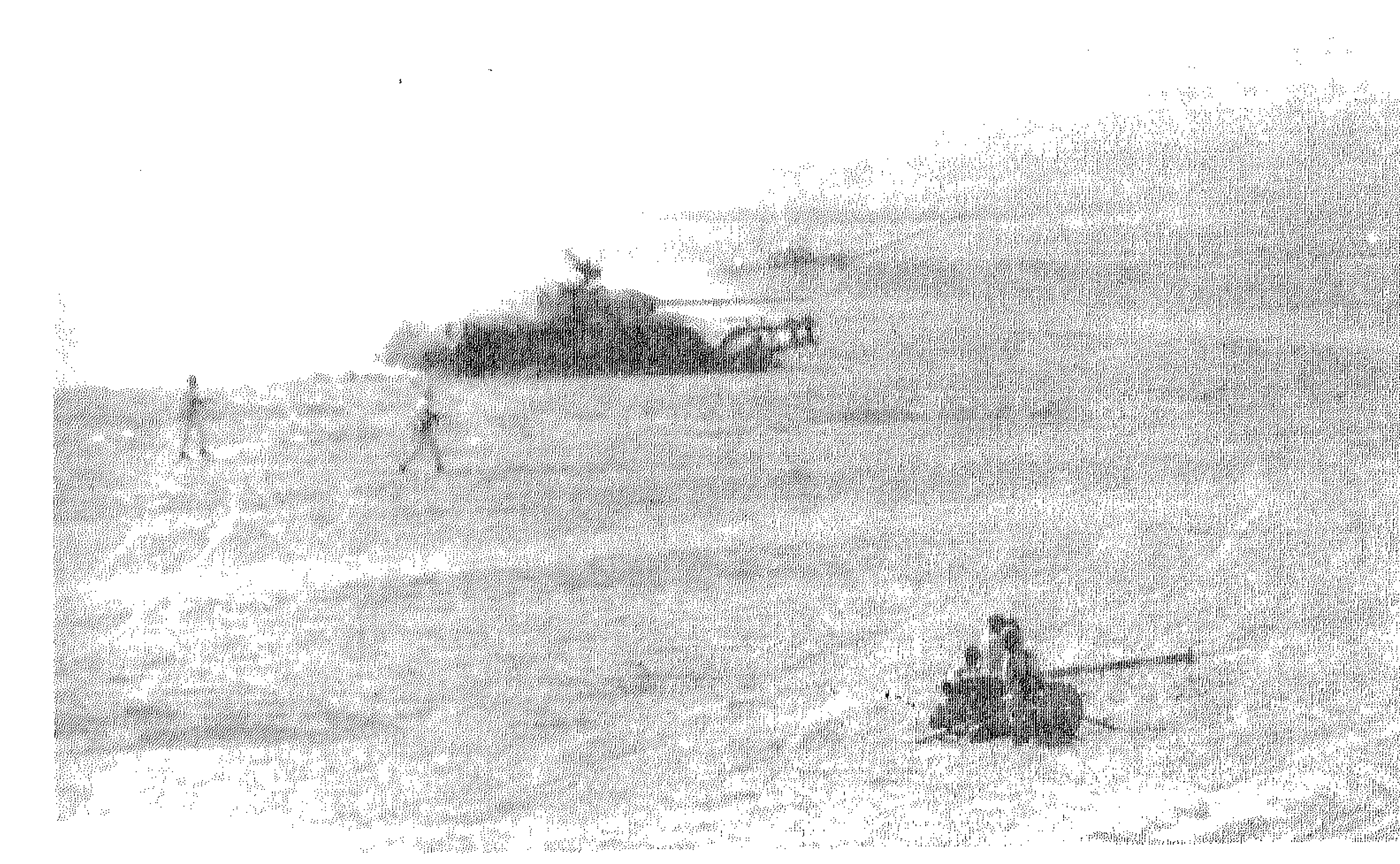
☆☆☆☆☆☆☆☆

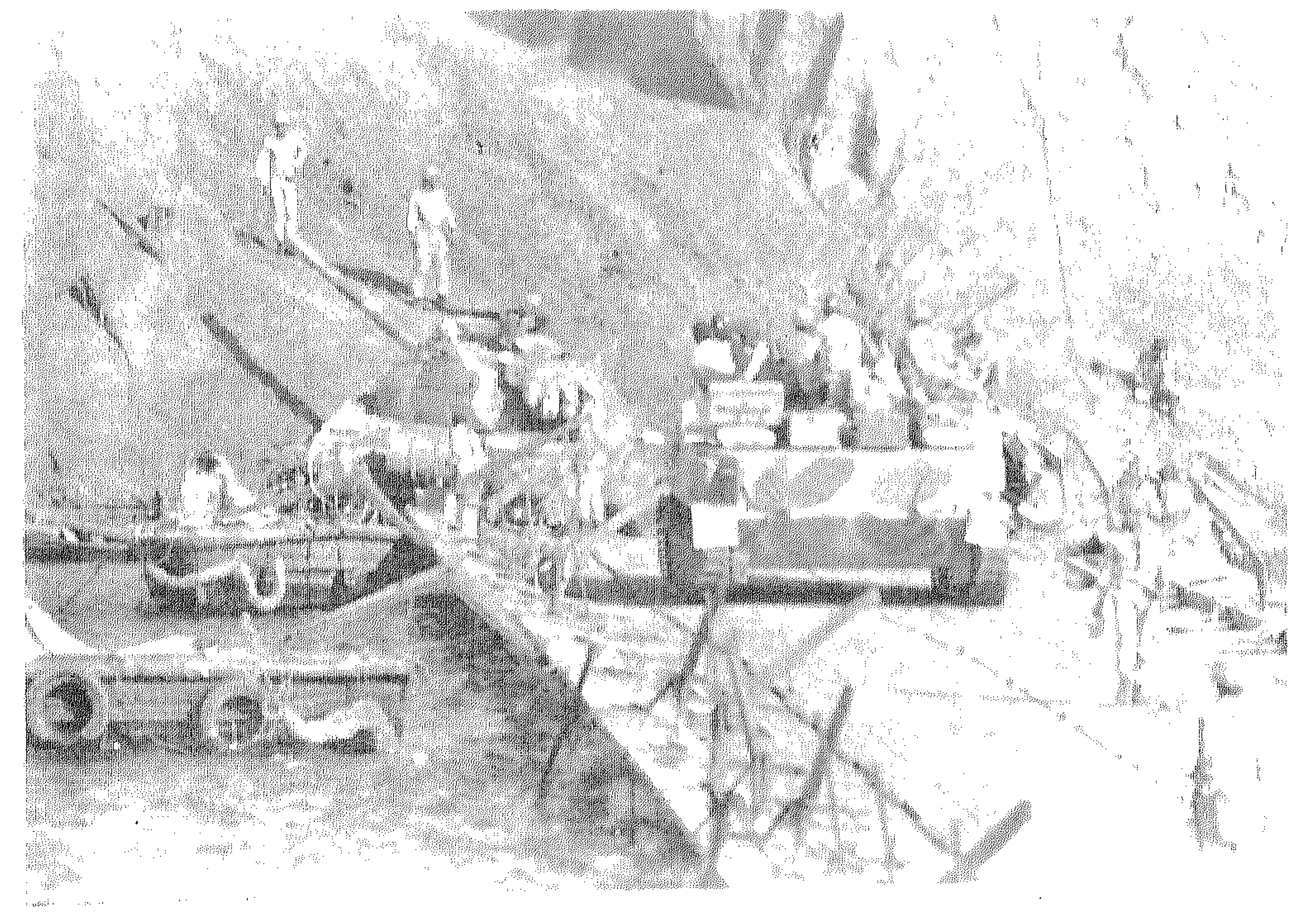
واستمرت القوات البحرية فى تنفيذ مهامها فى البحرين الأبيض والأحمر ، فقامت بقصف منطقة رأس سدر باللنشات المسلحة ، وصدت محاولات العدو الكبيرة للاقتراب من منطقة بور سعيد وبعض مراسينا على البحر الأحمر ، كما دمرت مجموعة من الضفادع البشرية حاولت مهاجمة بعض القطع البحرية فى ميناء بورسعيد ..

وأغرقت القوات البحرية خلال نفس الفترة لنش مسلح للعدو ، وأصابت لنش آخر بعطب جسيم . واستمرت غواصاتنا ومدمراتنا فى فرض سيطرتنا على مياه البحرين الأبيض والأحمر وقطع مواصلات العدو البحرية ، وغلق موانيه ..

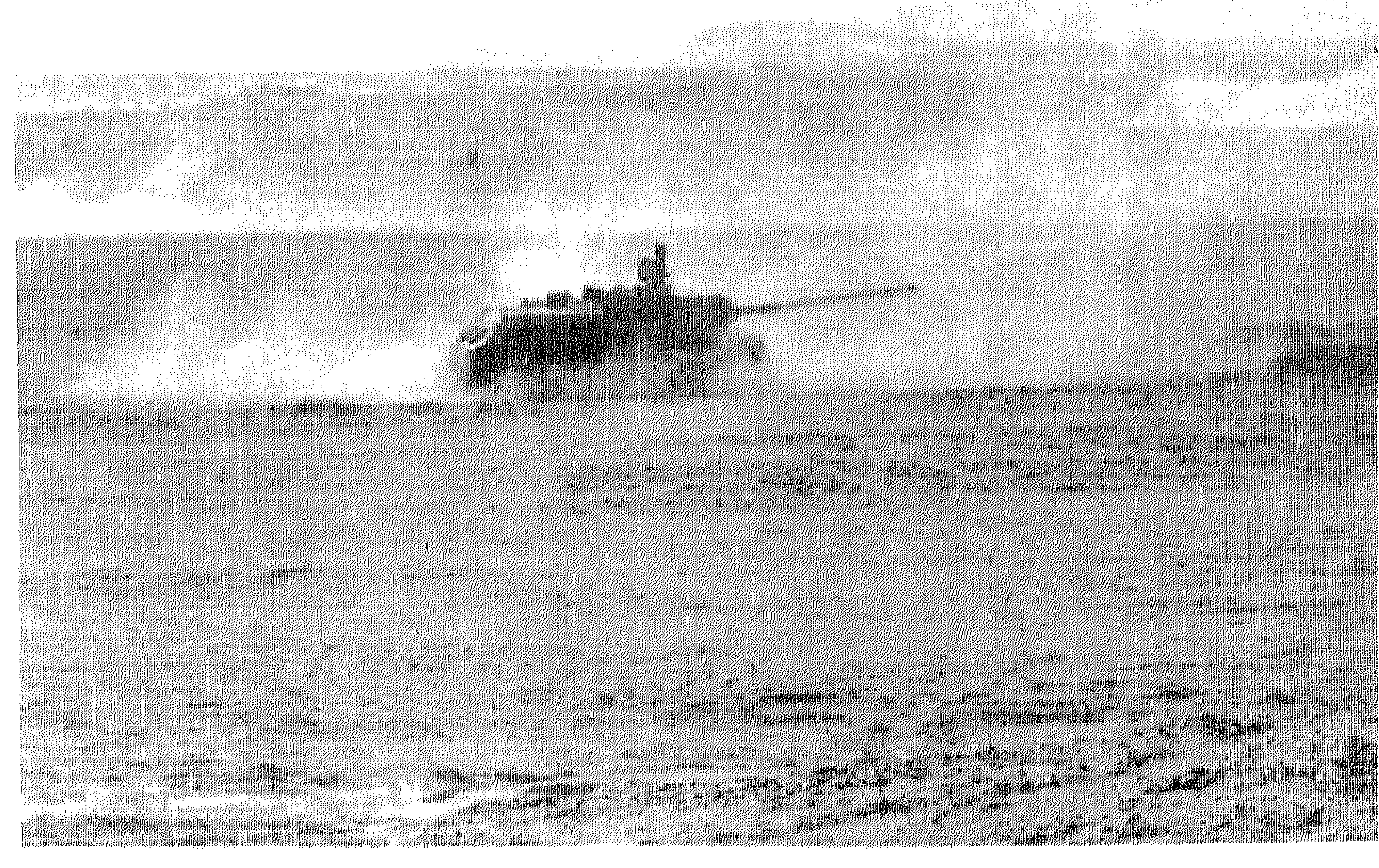


« ٠٠ واستردت الفرقة ١٦ المشاة الأرض المفقودة قبل أول ضوء »





« .. واستمر تدفق قواتنا نحو الشرق »

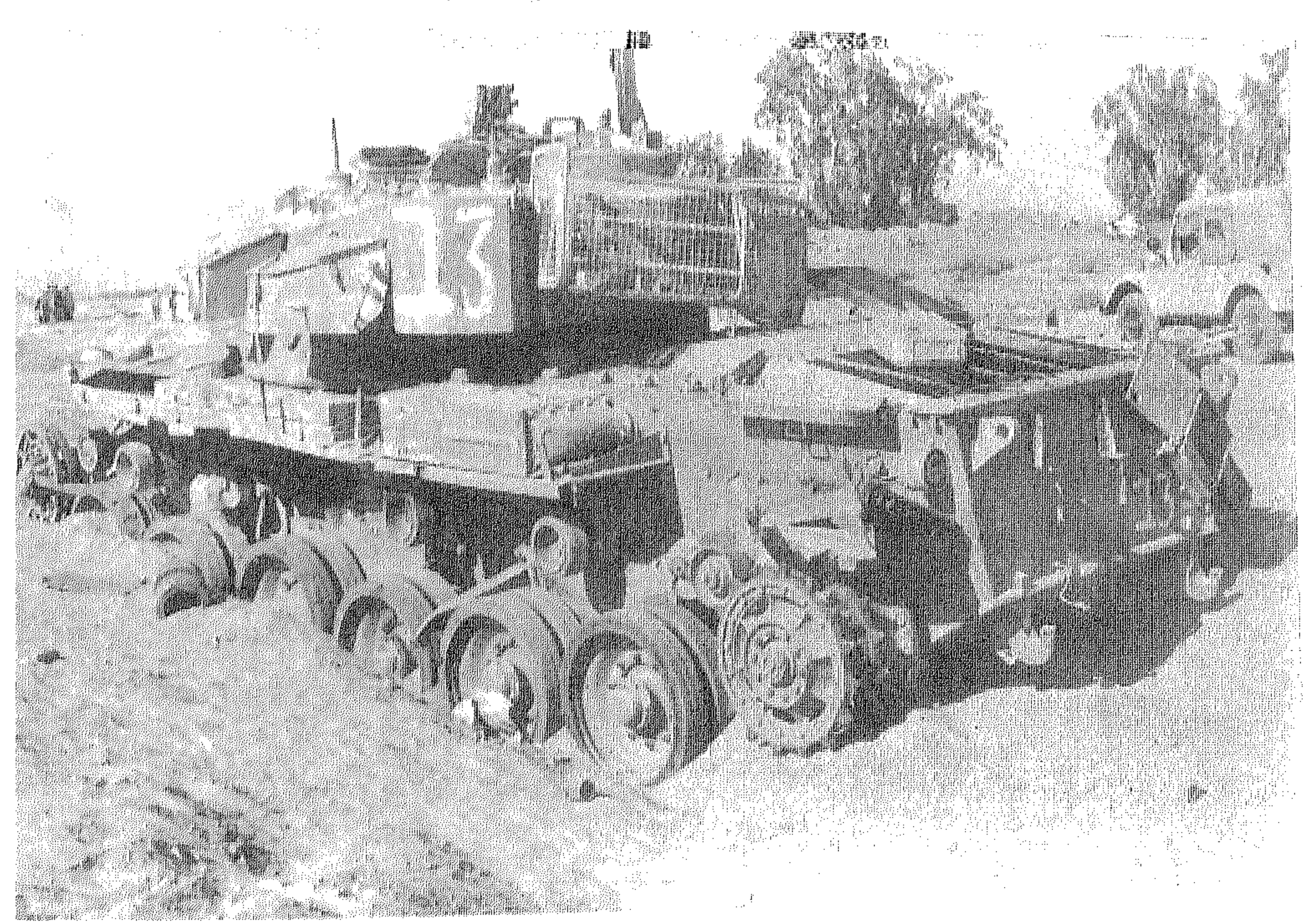


« .. وقامت دباباتنا بتدمير هجمات العدو »



« .. واستخدم المقاتل المصرى الأسلحة المضادة للدبابات بكفاءة »

الأسير الملازم اول رامى دورون

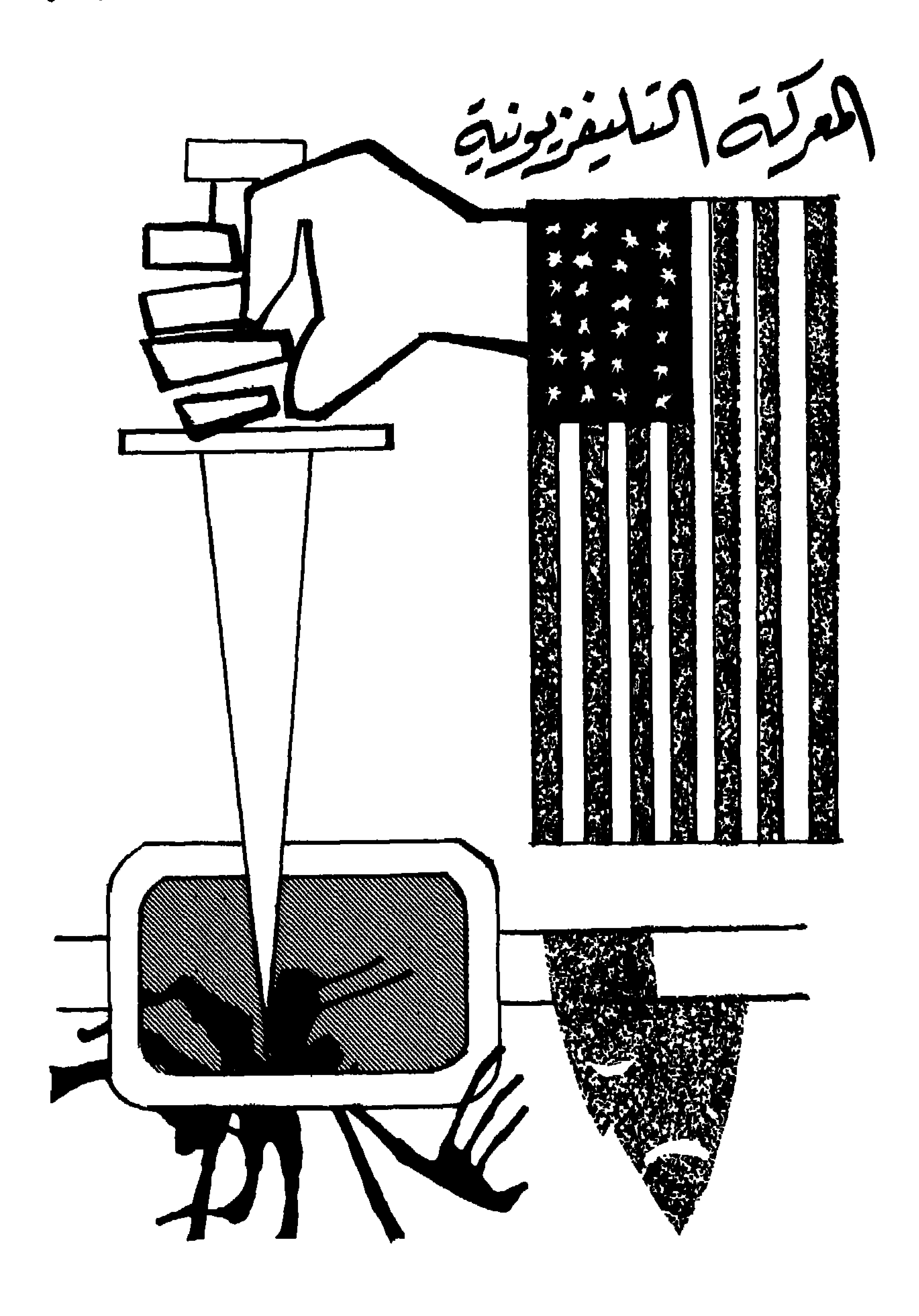


« .. ولا يزال حطام الدبابات الاسرائيلية مبعثرا على امتداد الصحراء .. »

« جرانفيل وست »

الفصل الرابع

المعركة التليفزيونية



المعركة التليفزيونية

المرحلة الرابعة للعملية الهجومية الإستراتيجية "بدر"
تطور القتال غرب القناة

١٨ - ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣

عام : ◆ وأخيرا جاءت المرحلة الرابعة من الحرب ، والتى دارت فيها أعمال القتال المنشطة على الضفة الغربية لقناة السويس بصفة أساسية .

وقامت قواتنا المسلحة خلال هذه الفترة بحصر قوات العدو التى نجحت فى العبور غرب القناة ، وتدمير عناصرها التى اقتربت من مدينة الاسماعيلية تهدف الاستيلاء عليها .. وتمكنت القوات المسلحة المصرية بالتعاون مع عناصر الدفاع الشعبى وقوات الشرطة والأهالى من حصر قوات العدو فى قطاع ضيق ملاصق للقناة شمال البحيرات المرة ، فى مناطق الأشجار والأحراش ..

وتأهبت القوات المصرية لتوجيه الضربة القاضية عندما جاءها قرار وقف اطلاق النار الذى أصدره مجلس الأمن بمبادأة وضمان القوتين الأعظم ، وبتأييد من المجتمع الدولى كله ٠٠

وأعلنت مصر واسرائيل عن قبوله ليسرى منذ الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ، وتقيدت مصر بالقرار الذى ينص على انسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ٠٠ وأصرت على البدء فورا فى تنفيذ ذلك ٠٠ أما سوريا فقبلت ايقاف النيران يوم ٢٤ أكتوبر ٠٠

ولكن العدو قبل القرار لأنه كان وقتها يترنح على شفا الهزيمة ، وقبله أيضا لأنه يوفر له عنصر تأمين فى مغامرته المحفوفة بالمخاطر ، التى قام بها ليسرق النصر من العرب ، ويحقق كسبا معنويا يغطى به آثار الأعمال الحربية المجيدة لقواتنا ـ ولهذا اظهر العدو رضاءه بقرار ايقاف النار ، وأضمر النية على المضى فى العدوان ٠٠ بل تمادى فى تعريض قواته للخطر ، واضعا نصب عينيه أنه سريعا ما سوف يصدر قرار آخر بوقف اطلاق النار فيؤمنه من انتقام القوات المصرية ٠

سرد الأحداث الرئيسية :

قامت قوات الجيش الثانى المتمركزة فى غرب القناة باستعادة الساتر الترابى على الضفة الغربية فى مواجهة الثغرة عند الدفرزوار وشمالها ، ودمرت قوات العدو هناك ، ووجهت أعمال نشطة بوحدات من الصاعقة والمظلات جنوب ترعة الاسماعيلية وفى منطقة فايد ٠٠

وركز العدو جهوده ضد القوات التى احتلت الساتر الترابى ، والتى وان أبدت مقاومة بطولية ، الا أنها اضطرت تحت ضغط العدو الى الارتداد شمالا ، بعد قتال عنيف وخسائر فادحة فى الجانبين ٠٠

وحاول العدو اتمام الضغط والوصول الى مدينة الاسماعيلية لتحقيق نصر سياسى وعسكرى ، ولكن رجالنا استماتوا فى التشبث بالأرض ، وتعاونت عناصر المظلات والصاعقة والمشاة ، فأحبطت كل محاولات العدو لاقتحام مدينة الاسماعيلية ٠٠

ونظمت عناصر الجيش الثانى الموجودة غرب القناة أوضاعها الدفاعيــة على النطاق الدفاعى الثانى غرب القناة وجنوب ترعة الاسماعيلية ، وذلك بواسطة احتياطيات الجيش الثانى ، وجزء من احتياطيات القيادة العامة ، وتمت الاحاطة بقوات العدو المتسللة واحتوائها ، ومنع انتشارها شمالا أو غربا أو جنوبا ، تمهيدا لتدميرها فى مرحلة لاحقة ..

واعتبارا من ٢٠ أكتوبر عاود العدو محاولات التسلل بعناصر صغيرة فى اتجاه الجنوب الا أن قوات الجيش الثالث الميدانى بقيادة اللواء محمد عبد المنعم واصل تصدت له ببسالة منقطعة النظير ، وصدت كل محاولاته ، ودمرت قواته التى حاولت الانتشار صوب مؤخرتها ، وردت ما بقى منها على قيد الحياة صوب الشمال ..

واستمرت محاولات العدو طوال يومى ٢١ ، ٢٢ أكتوبر لمواصلة التسلل جنوبا ، ولكنه لم يحقق النجاح المـأمول ، كما لم يشكل أى تهديد جدى على قوات الجيش الثالث سواء الموجودة منها فى راس الكوبرى شرق القناة أو الموجودة غربها ، وذلك حتى بدأ سريان قرار وقف اطلاق النـار سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر .

وكان كل ما نجح العدو فى تحقيقه حتى ذلك الوقت هو تدمير عدد من مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، مما دفع القيــادة المصرية الى سحب باقى الصواريخ المنتشرة فى المنطقة الملاصقة للجزء الجنوبى من قناة السويس حتى لا تتعرض للتدمير ، وللمحافظة على سلامة نظام الدفاع الجوى ..

وقد أدت هذه الأحداث الى كشف الغطاء الجوى بالصواريخ عن قوات الجيش الثالث شرق القناة ، مما أتاح للعــدو فرصة مهاجمتها بالقوات الجوية بتركيز شديد ، وتجاوزت طلعاته الجوية خلال يوم ٢٢ أكتوبر على الجبهة المصرية وحدها ٨٤٥ طلعة / طائرة ، الأمر الذى لم يحدث مثله طوال الحرب ..

وخلال تلك الفترة استمرت قوات الجيشين الثانى والثالث المرتكزة شرق القناة فى تثبيت العدو فى مواجهتها ، ودفعت ببعض المفارز لمهاجمة قوات العدو هناك ، ودارت بعض المعارك الصغيرة فى حجمها ، الكبيرة بالنسبة لمـا أوقعته فى العدو من خسائر ..

وتمكن اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة من شن الهجوم المضاد الذى استعاد على اثره بعض مواقعه التى كان قد اضطر لاخلائها سابقا .. وفشل العدو فى تصفية رأس كوبرى هذا اللواء منذ بدأ يضغط عليه فى الخامس عشر من أكتوبر حتى انتهت أعمال القتال فى ذلك القطاع يوم ٢٥ أكتوبر ..

وفى الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بدأ سريان قرار وقف اطلاق النار ٠ وكان موقف القوات المتضادة كالآتى :

- قواتنا فى رؤوس الكبارى متشبثة بمواقعها شرق القناة ، بكل من عناصر الجيش الثانى والجيش الثالث ٠
- قواتنا غرب القناة تحتل النطاق الدفاعى الثانى ، وتؤمن المنطقة جنوب الاسماعيلية ، وقد أتمت حصار قوات العدو فى الضفة الغربية من القناة ، وشمال البحيرات المرة ٠

وبذا أصبحت قوات العدو المتسللة محصورة بين ترعة الاسماعيلية شمالا ، والنطاق الدفاعى الثانى غربا ، ومنطقة جبال شبراويت والشهابى وشمال جبل جنيفة وجبل القط جنوبا ٠٠

وخلال تلك الفترة قامت قواتنا الجوية بتنفيذ حوالى ٢٥٠٠ طلعة / طائرة منهـا ١٨٠٠ طلعة مقاتلات ، ٣٠٠ طلعة مقاتلات قاذفة ، ٢٠ طلعة هليكوبتر ، و ١٠ طلعة استطلاع جوى ، الى جانب طلعات أخرى مختلفة ، كل ذلك بغرض حماية القوات البرية والقواعد والمطارات وتدمير قوات العدو المتسللة فى المنطقة غرب وشرق البحيرات المرة والقناة ، وأبرار عناصر الصاعقة داخل أوضاع العدو ، كما ركزت جزءا كبيرا من جهودها لحماية قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القنـــاة ٠٠

وتمكنت قواتنا الجوية خـــلال هذه الفترة من اسقاط حـــوالى ٣٢ طائرة وهليكوبتر للعـــدو ٠٠

****

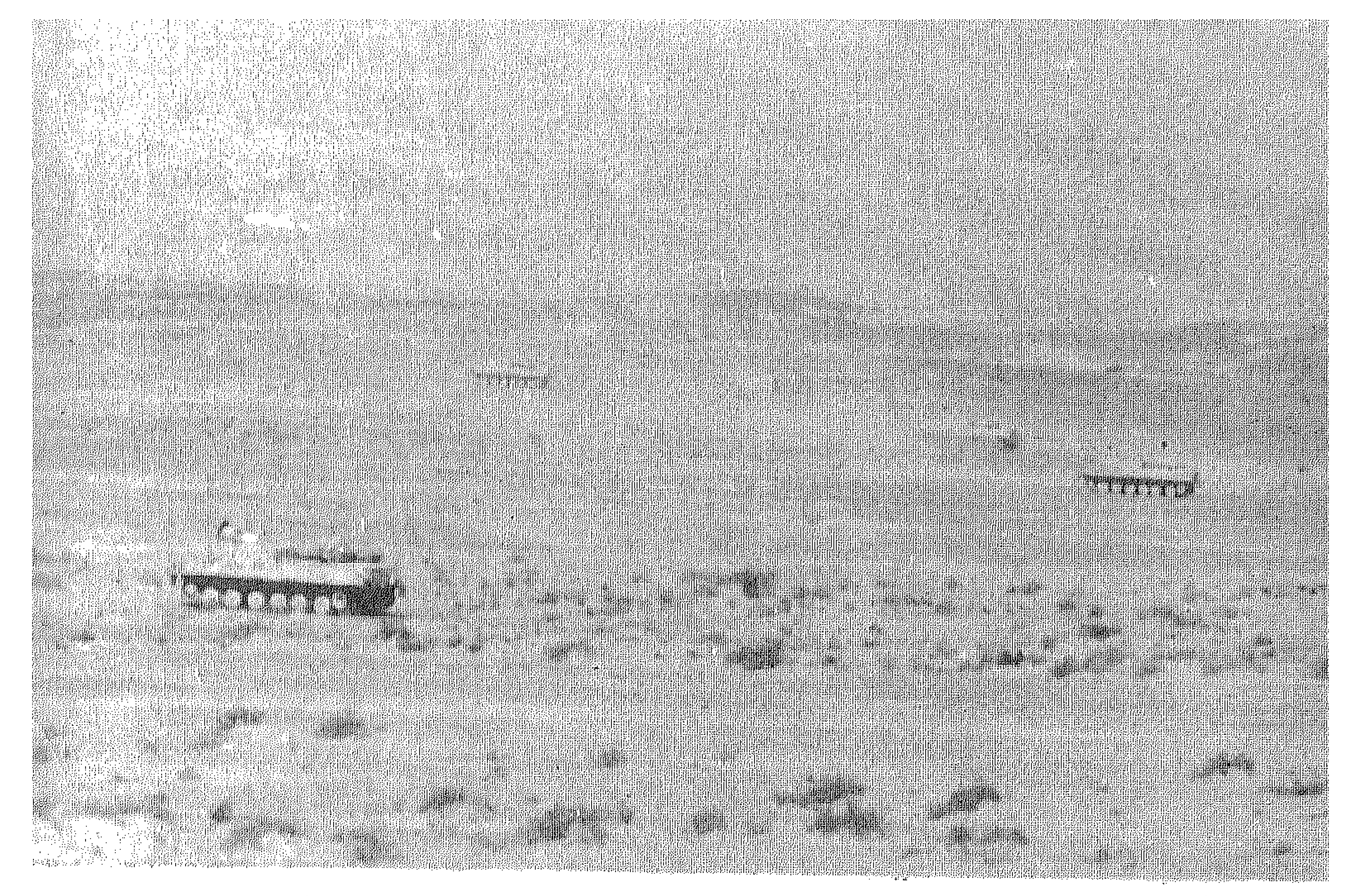
واستمرت قوات الدفاع الجوى فى توفير الحماية للأهداف الحيوية بالدولة وللقوات البرية والمطارات والقواعد الجوية ، وصد هجمات العدو الجوية التى اشترك فيها ما يربو على ٢٤٠٠ طلعة / طائرة خلال هذه الفترة ٠

وبعد سحب عناصر صواريخ الدفاع الجوى من المنطقة الملاصقة للقناة فى قطاع الجيش الثالث أصبحت هناك ثغرة فى نظام الدفاع الجوى عرضت قوات رأس الكوبرى فى الجيش الثالث لهجمات العدو الجوية ٠٠ وتشجع طياروه بعد أن ابتعد الخطر الذى كان يردعهم ٠٠ ورغم ذلك فقد تمكنت قوات الدفاع الجـوى من اسقاط حوالى ٧٠ طائرة خلال هذه المرحلة ٠٠

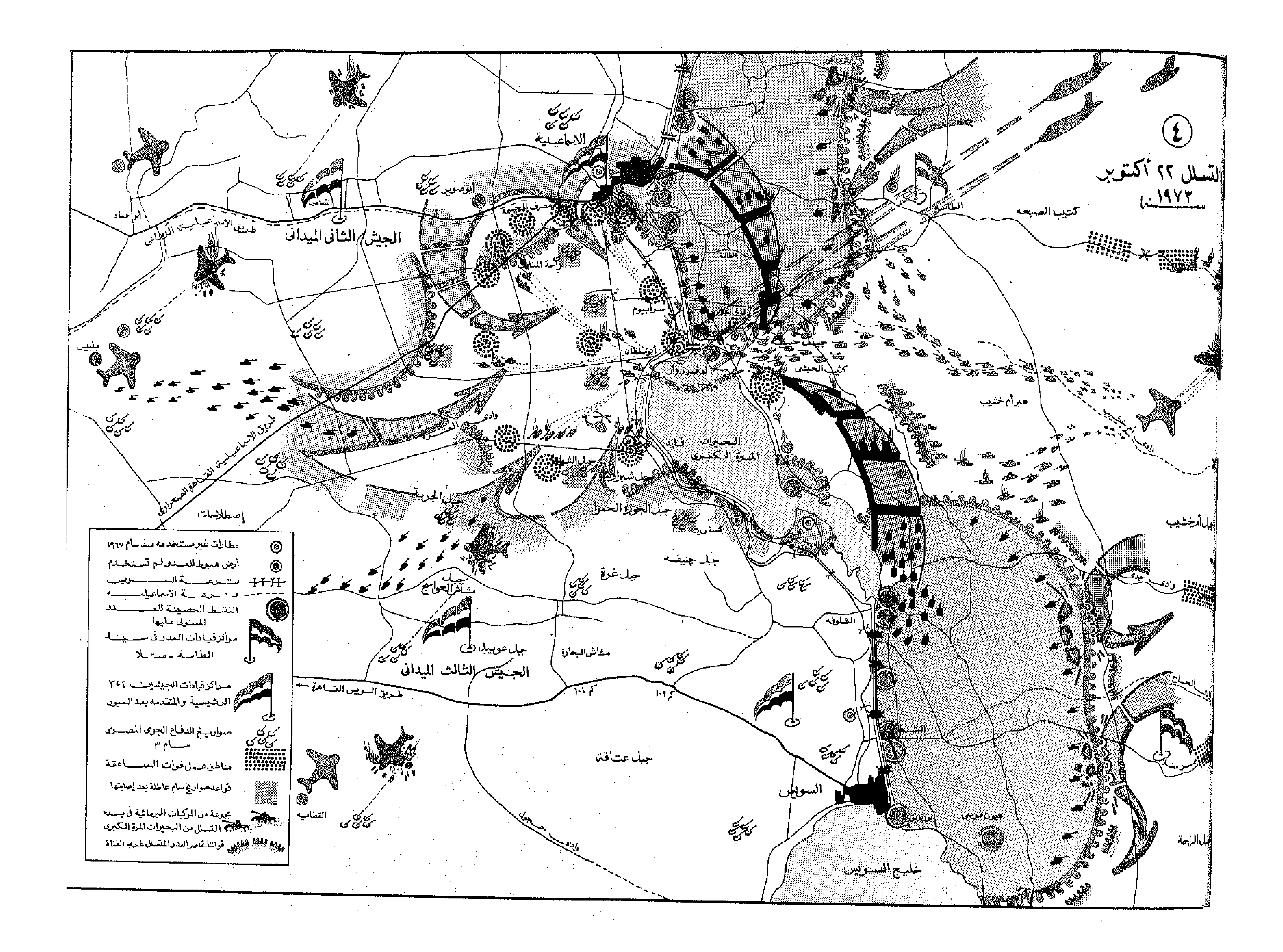
واستمرت القوات البحرية فى تنفيذ مهامها لحماية سواحل ومياه الجمهورية ، وتدمير سفن العدو البحرية وقطع خطوط مواصلاته • وصدت المدفعية الساحلية اغارة للعدو على منطقة الغردقة ليلة ١٩/١٨ اكتوبر ، وتم تدمير زورق وجماعة ضفادع بشرية ، كما صدت اغارة باللنشات المسلحة على الميناء ليلة ٢٢/٢١ اكتوبر ، وتم تدمير لنشين مسلحين •

وحدثت معركة بحرية بين لنشات صواريخنا ومدفعيتنا وصواريخنا الساحلية وبين تشكيل بحرى معادى من ٤ ـ ٦ لنش صواريخ حاول الاقتراب من خليج أبو قير ، وتم تدمير واغراق لنشين صواريخ (سعر) وأصيب لنش ثالث شحط بعد ذلك أمام رشيد ودمرته القوات الجوية صباح اليوم التالى ، كما تم خلال هذه الفترة تدمير ١ ـ ٢ هليكوبتر حاولت انقاذ أفراد هذه اللنشات المصابة ••

وفى مجال قطع طرق المواصلات البحرية المعادية تم اغراق سفينة تجارية وأخرى (يحتمل أنها كانت تحمل طائرات هليكوبتر) ، كما اغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل أنها سفينة انزال جنود) وناقلة البترول الاسرائيلية « سيروس » حمولة ٤٦ ألف طن ، عند مدخل خليج السويس ••

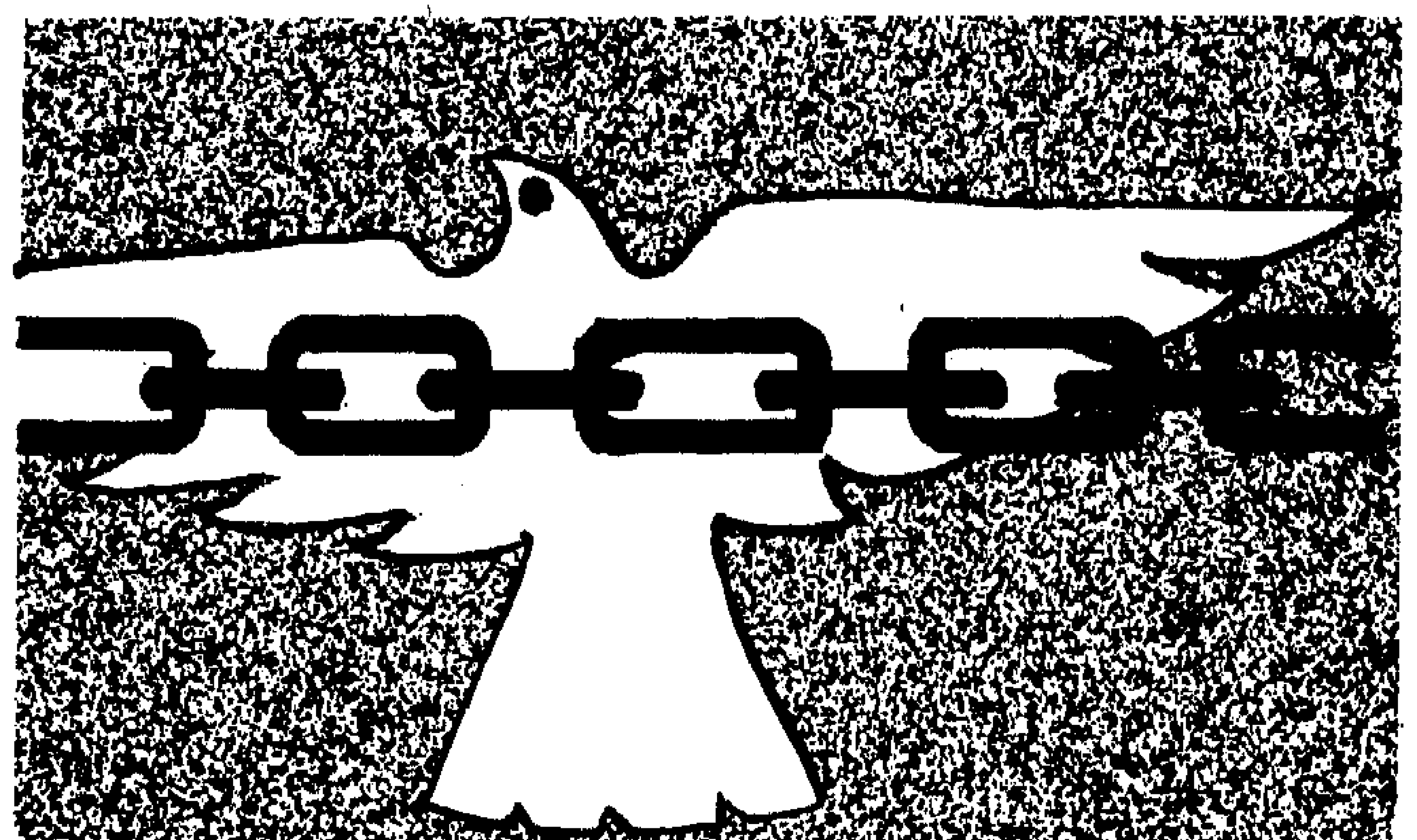


« .. واستمرت قواتنا فى حصار قوات العدو المتسللة »



٤
التسلل ٢٢ أكتوبر
سنة ١٩٧٣
الإسماعيلية
أبو صوير
الجيش الثانى الميدانى
طريق الإسماعيلية الزراعى
أبو حماد
طريق الإسماعيلية القاهرة الصحراوى
بلبيس
سرابيوم
الدفرسوار
كثيب الحبشى
كثيب الصبحه
هيرام خشيب
البحيرات المرة الكبرى
جبل الجوز الحمل
جبل جنيفه
جبل غرة
إصطلاحات
الجيش الثالث الميدانى
جبل عويبد
مشاش البحارة
الشلوفه
طريق السويس القاهرة
كم ١٠١
كم ١٠٩
جبل عتاقة
السويس
خليج السويس
القطامية
وادى
جبل أم خشيب
جبل الراحة
مطارات غير مستخدمه منذ عام ١٩٦٧
أرض هبوط للعدو لم تستخدم
ترعة السويس
ترعة الإسماعيلية
النقط الحصينة للعدو المستولى عليها
مراكز قيادات العدو فى سيناء الطاسة - مثلا
مراكز قيادات الجيشين ٢ و ٣ الرئيسية والمتقدمة بعد العبور
صواريخ الدفاع الجوى المصرى سام ٣
مناطق عمل قوات الصاعقة
قواعد صواريخ سام عاطلة بعد إصابتها
مجموعة من المركبات البرمائية فى بدء التسلل من البحيرات المرة الكبرى
قوات عناصر العدو المتسلل غرب القناة

الفصل الخامس



الإنتشار في حمى القرار

الإنتشار في حمى القرار

المرحلة الخامسة للعملية الهجومية الإستراتيجية "بدر"

الاندفاع جنوبا وغربا

٢٣ ــ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣

عــــام :

◆ قام العــدو بعد سريان قــرار وقف اطلاق النار ، وفى حماه ، بدفع جماعات صغيرة من الدبابات والمشاة الميكانيكية عبر المسالك الجبلية والمدقات صوب الجنوب • وحاولت بعض تلك القوات عدة مرات اقتحام مدينة السويس التى خالتها لقمة سائغة تطنطن بهــا دعايتها ••

ولكن شعب السويس تكاتف مع قواته المسلحة فى الذود عن حياض المدينة الصامدة ببسالة منقطعة النظير ، وأباد عدة موجات للعدو ، وكبده خسائر كبيرة ، فرجع العدو عن هذه المحاولة الباهظة التكاليف •

واستمرت جماعات صغيرة للعدو تتدفق جنوبا وغربا ، مع تجنب المقاومات المصرية ، وتحاول الانتشار فوق أكبر مساحة ممكنة والوصول الى أماكن لم تكن موجودة بها عندما سرى قرار وقف اطلاق النار للمرة الأولى (القرار رقم ٣٣٨ لمجلس الأمن) • وكانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تهدف من وراء ذلك الى الوصول خلف قواتنا لتقطع خطوط امداداتها ومواصلاتها •• وهكذا تداخلت القوات المتضادة ، واختلطت ببعضها البعض اختلاطا شديدا ••

واستمرت القوات المصرية فى حصر قوات العدو ، ومنع انتشارها صوب الشمال أو الجنوب أو الغرب ، كما استمرت فى تدمير كل ما تعثر عليه من مفارز معادية منتشرة فى الجيب المعادى غرب القناة وشرقها حتى حل يوم ٢٥ أكتوبر فتوقفت الأعمال القتالية النشطة باعلان اسرائيل وقف اطلاق النار وان استمرت بشكل محدود فى القطاع الجنوبى بجبهة قناة السويس حتى الساعة ١١٢٣ يوم ٢٨ أكتوبر ، عندما بدأت قوات الطوارىء الدولية فى الوصول الى مشارف مدينة السويس للفصل بين المتحاربين •• فهدأ القتال الى حين ••

سرد الأحداث الرئيسية :

عندما وافقت جمهورية مصر العربية على قبول قرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة فى اعتبارها احتمال أن يعبث العدو بهذا القرار ، ولهذا نصت توجيهات العمليات التى أصدرتها فى الساعة ١٧٢٠ يوم ٢٢ أكتوبر الى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة على الآتى :

* « بناء على قرار مجلس الأمن ، وموافقة جمهورية مصر العربية ، بوقف اطلاق النار ، وبناء على أوامر القائد العام للقوات المسلحة بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ١٨٥٢ اليوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ اذا التزم العدو بوقف اطلاق النار • جميع القادة مسئولون عن اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لتأمين قواتهم بما فى ذلك المفارز المتقدمة • تبقى القوات المسلحة فى الحالة الكاملة للتأهب لحين صدور تعليمات أخرى » •

وعلى الجانب الآخر كانت القيادة الاسرائيلية تضمر شيئا خبيثا •• سوف تنكشف دوافعه اذا ما رجعنا الى ملابسات اتخاذ قرار المغامرة الاسرائيلية غرب القناة وتأثير قرار وقف اطلاق النار عليها •

لقد قررت القيادة الاسرائيليـة القيام بتلك المغامرة الخطرة لتحقيق عدة أهداف أهمها :

- تحويل « تيار الحرب » لتأخذ اسرائيل مبادرة الهجوم •

- تغطية آثار النصر العسكرى الباهر للقوات المسلحة المصرية باقتحام قناة السويس واجتياح خط بارليف ، وتحويل الأنظار عن الصدمة التى تلقاها الجيش الاسرائيلى •

- تقوية الروح المعنوية بين القوات الاسرائيليـة التى تعرضت لهزائم ساحقة فى المراحل الأولى للحرب •

- رفع الروح المعنوية للشعب فى اسرائيل واستعادة ثقته فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية •

ووضعت القيادة الاسرائيلية فى اعتبارها أن تنفيذ تلك المغامرة قد يؤدى الى حدوث ارتباك وفشل فى السيطرة العسكرية المصرية وان ادارة القتال غرب القناة قد يضطر القيادة المصرية الى سحب أجزاء من قواتها من رؤوس الكبارى الصامدة فى الشرق مما يسهل مهاجمتها بعد ذلك ، كما أن طريقة القتال هنـاك توفر الفرصة للمدرعات الاسرائيلية للقيام بأعمال المناورة والتطويق •

وأخيرا فقد قدرت القيادة الاسرائيلية أن أى نجاح تحصل عليه غرب القناة أمر يمكن احتماله مهما كان محفوفا بالمخاطر ، ذلك لأن الدول الكبرى لن تسمح باستمرار الحرب طويلا ولابد أن يتوقف اطلاق النار فى الجبهة خلال أيام قليلة •• ومن المفيد لاسرائيل سياسيا أن تكون لها قوات غرب القناة لاحداث حالة من التوازن فى الموقف السياسى العسكرى الطارىء •

وكان أخشى ما تخشاه القيادة الاسرائيلية أن تنجح الجهود السياسية فى اصدار قرار وقف اطلاق النار فى المسرح وشيكا ، ولهذا كانت شديدة الرغبة فى اتمـام عمل عسكرى ما ، خاصـة وقد توفر لها سـيل منهمر من المعونات العسكرية الأمريكية عوضها عن خسائرها السابقة وزاد من قدراتها الهجومية •

وبعد أن أكد الاستطلاع الجوى الأمريكى أن القوات الرئيسية للفرقة المدرعة المصرية التى كانت ضمن الاحتياط الاستراتيجى فى الغرب قد عبرت الى سيناء يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ لتطوير الهجوم شرقا وتخفيف الضغط على سوريا ••••

اطمأنت القيادة الاسرائيلية الى الموقف السائد فى المسرح ، وأصدرت أوامرها ببدء تنفيذ المغامرة ..

وحددت لها المهام التالية :

- فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرى تتيح للطيران الاسرائيلى أن يعمل بشىء من الحرية فوق القـوات المصرية المتمركزة فوق رؤوس الـكبارى ٠
- احداث أثر نفسى عميق على التفكير العسكرى المصرى ٠
- الاحتفاظ بمواقع فى الغرب يمكن أن يحميها وقف اطلاق النار ويغطى مخاطرها ، كما تصلح للمساومة السياسية فيما بعد ٠

وسارت أحداث التسلل الى غرب القناة كما سبق ذكره الى أن صدر قرار وقف اطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

وما أن صدر هذا القرار حتى اتضح للقيادة الاسرائيلية أنها رغم الخسائر الفادحة والثمن الباهظ الذى تكلفته ـ فانهـا لم تحقق أى هدف من أهدافهـا المنشودة ٠

فهى لم تنجح حتى صدور القرار فى أن تفتح ثغرة ذات قيمة فى نظـام الدفاع الجوى المصرى بالصواريخ ، ولم تستولى على أى من مدن القناة للطنطنة بها ، ولم تهز أو تربك القيادة المصرية ، ولم تحدث فقدا فى الاتزان الاستراتيجى كما كانت ترجوه ، ولم تستدرج قوات كبيرة من رؤوس الكبارى شرق القناة ، ولم تحقق تهديدا ما لأى من طرق الامداد والمواصلات ٠

بل والأخطر من ذلك كله أن وضع قواتها فى غرب القنـاة كان معرضـا ومكشوفا الى حد خطير يهدد بكارثة عسكرية اذا اشتعل القتال مرة أخرى ، خاصة والقوات المسلحة المصرية تحيط بها من أغلب الاتجاهات ٠

وعلى ذلك فقد أضمر العدو منذ الوهلة الأولى أن يعبث بقرار وقف اطلاق النار ، ويخرج على المواثيق الدولية ٠

وعقب وقف اطلاق النار مباشرة بدأ العدو محموما يدفع قوات جديدة عبر القناة الى الغرب ليدعم قواته المحصورة هناك مستغلا احترام القوات المصرية لقرار وقف اطلاق النار وعدم تهديد المعابر بالتالى أو التدخل لمنع العبور بالنيران ..

وفى الساعة ٢١٤٩ يوم ٢٢ أكتوبر أى قبل أن تنقضى ثلاث ساعات على قرار وقف اطلاق النار ـ التقطت أجهزة استطلاعنا أوامر لاسلكية أصدرتها القيادة الاسرائيلية الى قواتها تحضها على الاسراع فى العبور الى غرب القناة « لأن الموقف خطير ويهدد بكارثة » ..

ومنذ الساعة ٢٢٥٠ بدأ تسرب العدو الى الجنوب عبر المسالك والمدقات الجبلية بقوات صغيرة مع تجنب الاصطدام بالقوات المصرية الموجودة هناك ، ودون الاقتراب من قواتنا الرئيسية . وانتشرت القوات جنوبا . ثم بدأت تلك المفارز الصغيرة تناوش بعض مواقع الصواريخ المصرية منذ الساعة ٠٢٠٠ صباح ٢٣ أكتـوبر .

وخلال يومى ٢٣ و ٢٤ أكتوبر استمرت قوات العدو تنتشر جنوبا نحـو مدينة السويس وطريق الامداد والمواصلات الرئيسى الذى يربطها بالقاهرة .

وحاول العدو اقتحام المدينة أول مرة يوم ٢٣ أكتوبر ليعوض بهـا فشله الذريع أمام الاسماعيلية الا أن فأله خاب وردته المدينة الباسلة عنها مدحورا . وتصدت له المدينة بقوات من الجيش والشعب هزمته شر هزيمة وردته عن حرمها .. فتابع الانتشار صوب الجنوب .. وتسللت بعض عناصره الى منطقة الأدبية التى لم يكن بها سوى عناصر ادارية قليلة للقوات البحرية .

وفى الساعة ٠٥١٠ يوم ٢٤ أكتوبر أفاد قائد قوات الطوارىء الدولية بأن وزارة الدفاع الاسرائيلية تطلب الموافقة على وقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٠٧٠٠ يوم ٢٤ أكتوبر ـ ووافقت القيادة العامة المصرية على ذلك واصدرت أوامرها بأن تلتزم جميع التشكيلات والوحدات بايقاف النيران فى هذا التوقيت اذا احترم العدو كلمته .

ولكن العـدو لم يحترم عهوده مرة أخرى اذ ركز قصفه الجوى على قوات راس كوبرى الجيش الثـالث ، ثم حاول اقتحام الأدبية فى السـاعة ٠٦٥٠ .. واستمات رجال الأدبية فى الدفاع عنها ، بالتعاون مع بعض افراد حرس الحدود ..

وعندما وصلت الساعة ٠٧٠٠ وهدأ اطلاق النيران ـ توقفت دبابات العـدو بلا حراك امام الأدبية وتظاهر العدو بحبس نيرانه ثم اندفع فجأة الى داخل الأدبية بمجرد أن رأى مراقبى الأمم المتحدة يقتربون من المنطقة فى الساعة ٠٩٥٥ حتى يثبت وجوده المسبق هناك .

واستمرت بعض العناصر الصغيرة من قواتنا تتمسك بجزء من منطقة الأدبية قرب الساحل خلف قوات العدو لمدة سبعة أيام بعد وقف اطلاق النار الأخير •• حتى أمكنهم اقناع المراقبين الدوليين باثبات وجودهم هناك •

وفى الشمال حشد العدو قوة كبيرة من الدبابات حاول بها أن يقتحم مدينة السويس فى الساعة ١٠٥٥ يوم ٢٤ أكتوبر ••

ولم تكن تلك المحاولة مفاجئة للقوات المصرية اذ توقعت الغدر من العـدو وتكرار محاولة الاستيلاء على مدينتهم الصامدة • وكانت هنـاك عناصر قوية من أطقم اقتناص الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات ـ دفعها قبل ذلك العميد أ•ح يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ المشاة الموجودة برأس كوبرى الجيش الثالث ـ لتقوية الدفاع عن السويس •

وتصـدت قوات المدينة الصـامدة لقوات العـدو فدمرت له عددا كبيرا من الدبابات • واستمر القتال ، فدار بالسلاح الأبيض حتى الساعة ١٧١٥ يوم ٢٤ أكتوبر ، وعندما حل الظلام آثر العدو الانسحاب وترك وراءه دبابات كثيرة محترقة وعدة جثث قتلى ••

ومن الجدير بالذكر أن العـدو قدم بعد ذلك كشوفا الى الصليب الأحمر بأسماء قتلاه الذين لم يتمكن من العثور على جثثهم أو سحبها من جبهة القتال •• واشتملت تلك الكشوف على أسماء ٧٧ ضابطا و ٢٣ طيارا و ٦٩٩ جنديا ومدنى واحـد ••

ويتضح من تلك الكشوف أن قادة الهجوم الاسرائيلى على مدينة السويس يوم ٢٤ أكتوبر قد فتكت بهم المدينة عن بكرة أبيهم (وهم الرائد يورى آريل ، النقباء موشى آدينو ، يتسحاق حوشمان ، اسرائيـل مندلسون ، آمون زاهار ، كارمى آدلر) •

وفى الجنوب حاول العدو بعد ظهر يوم ٢٤ أكتوبر مهاجمة المنطقة جنوب الأدبية ، الا أن قوات حرس الحدود المتمركزة هناك تصدت له ببسالة بالتعاون مع عناصر من القوات المغربية الشقيقة فارتد العدو شمالا •• ولم يجرؤ مرة أخرى على الانتشار نحو جنوب الأدبية ••

ومع صباح يوم ٢٥ أكتوبر حاول العدو منذ الساعة ٠٨٠٠ مهاجمة مدينة السويس مرة ثالثة ، فدمرت له المدينة عشرة دبابات فى قتال عنيف استمر حتى الساعة ١٥٥٠ ارتدت بعده بقايا العدو لتقف على مشارف المدينة •

وبعد اعلان اسرائيل مرة أخرى قبولها قرار وقف اطلاق النار الثانى (قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩) ابتداء من ٢٥ أكتوبر ، استمرت القوات الاسرائيلية حتى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر تمنع دخول المراقبين الدوليين أو عناصر قوات الطوارىء الدولية الى القطاع الجنوبى من الجبهة حول السويس لاثبات وجود القوات المتداخلة هناك ..

وخلال تلك الفترة استمرت القيادة الاسرائيلية تدعم قواتها غرب القناة ، وتحشد قوات كبيرة لتهاجم بها المقاومات المصرية الصغيرة المتداخلة مع قواتها .

وأبدت عناصرنا الصغيرة المنتشرة فى أرجاء المنطقة شجاعة فائقة ـ اذ ظلت تقاتل بعيدا عن قواتها الرئيسية ، دون امداد وفى مواجهة قوات أكبر منها عددا ..

وتمكنت قوات العدو من القضاء على جزء منها ، ولكن الباقى خاض قتالا مجيدا ضد العدو الذى يحاصره من كل جانب حتى تمكن من كسر هذا الحصار ، وانضم على قواتنا الصامدة حول السويس وفى داخلها ليحولها الى قلعة منيعة تتحطم على أسوارها كل محاولات العدو لاكتساب أرض جديدة ، أو الاقتراب من المدينة .. وتمسك البعض بمواقعه حتى انسحب العدو .

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٨ أكتوبر حاول العدو للمرة الأخيرة اقتحام مدينة السويس ، وتحطمت تلك المحاولة على صخرة الصمود العظيم وبفضل الكمائن المضادة للدبابات ، وأطقم اقتناص الدبابات ، التى دفعتها الفرقة ١٩ المشاة لتأمين مداخل المدينة ، بالاضافة الى القوات الأخرى التى تؤمن المدينة ذاتها من هذه الفرقة ، ومن الدفاع الشعبى والشرطة والأهالى البواسل .

وفى الساعة ١١٢٣ بدأ وصول مقدمات قوات الطوارىء الدولية . واتخذت مراكزها بين القوات المتحاربة عند مشارف المدينة فى تمام الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ أكتوبر .. فهدأت النيران الى حين .

هكذا تمكنت القوات الاسرائيلية من توسيع الجيب الاسرائيلى غرب القناة فى حمى قرار وقف اطلاق النار .. واستطاعت بالغش والخداع أن تزيد من مكاسبها فى الأرض بمقدار يزيد على ضعف ما كانت تحتله عندما سرى قرار وقف اطلاق النيران يوم ٢٢ أكتوبر .

ولكن هل تمكنت اسرائيل بذلك تحقيق ما كانت تهدف اليه !

لقد أمكن للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى حمى قرار ايقاف النار أن تنشر قواتها على مساحة واسعة من الأرض غرب القناة ..

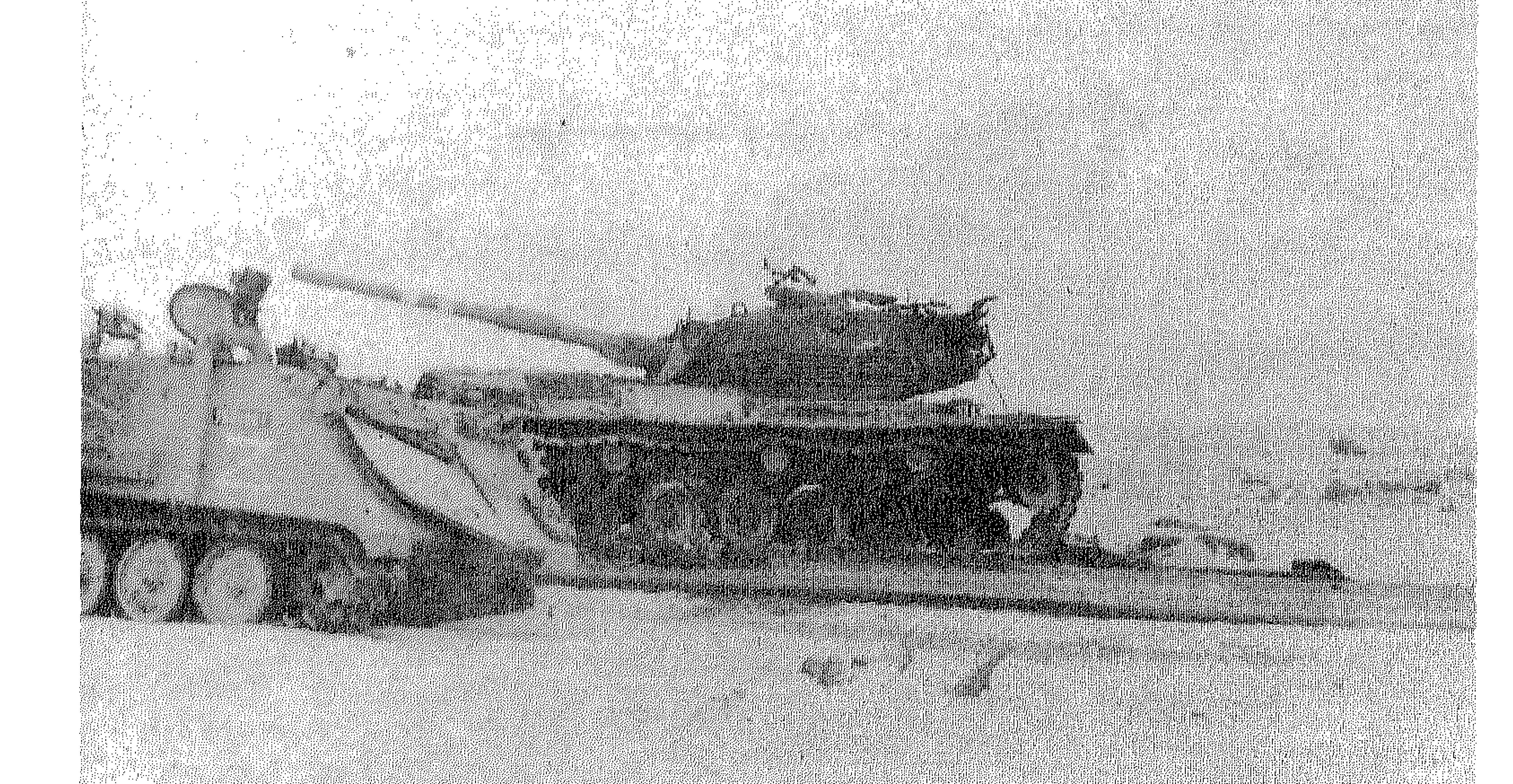
ولكن هذا العمل وضع تلك القوات فى موقف بالغ الضعف عظيم الخطر ، اذ أصبحت تلك القوات ذاتها تشكل جيبا هشا عديم الفاعلية والتاثير ، كما أجبر المؤسسة أن تستمر فى تعبئة القوات المسلحة الاسرائيلية لمدة طويلة بعد ذلك ، رغم ما فى هذا الاجراء من أضرار لايستطيع الاقتصاد الاسرائيلى احتمالها وتعانى منها الحياة اليومية فى اسرائيل على وجه الخصوص .

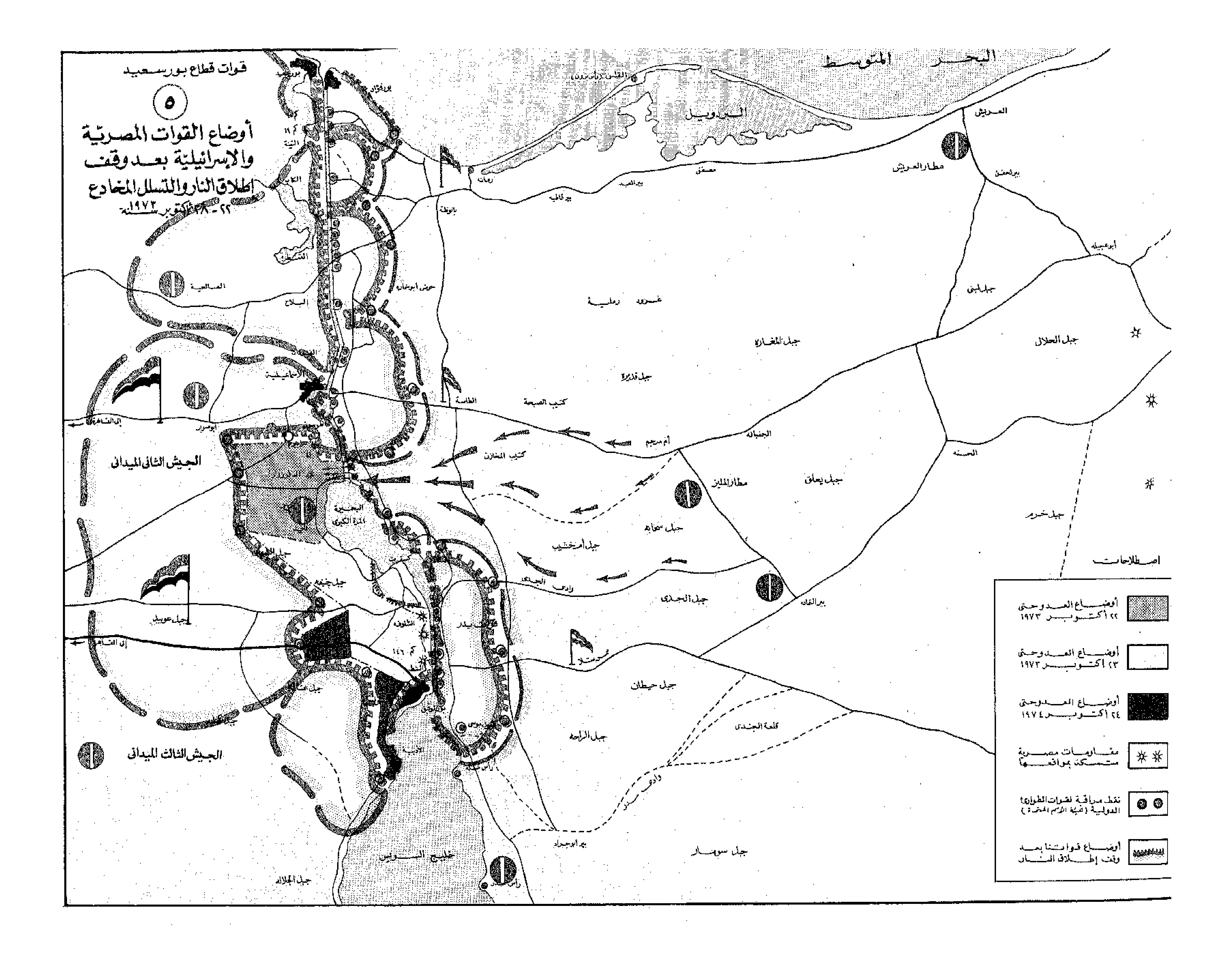
علاوة على أن القيادة العسكرية تكون بذلك قد زجت بقوات كبيرة الى مسرح حرب طويلة الأمد على عكس العقيدة التى تعتنقها منذ انشأت جيش الدفاع .

كما تكون قد ورطت هذه القوات داخل عرين حرب الاستنزاف الذى عانت من خسائرها الأليمة فى نفس المكان ـ امبراطورية لم تكن تغرب عنها الشمس وذلك منذ عشرين عاما تماما ؟ وأجبرها المصريون على الجلاء عن منطقة قناة السويس ، اذ أصبح ثمن بقائها أبهظ من خسائر جلائها .. ونفس الشىء ينطبق على جيب اسرائيل الهش .. ولكن بصورة أشد ..

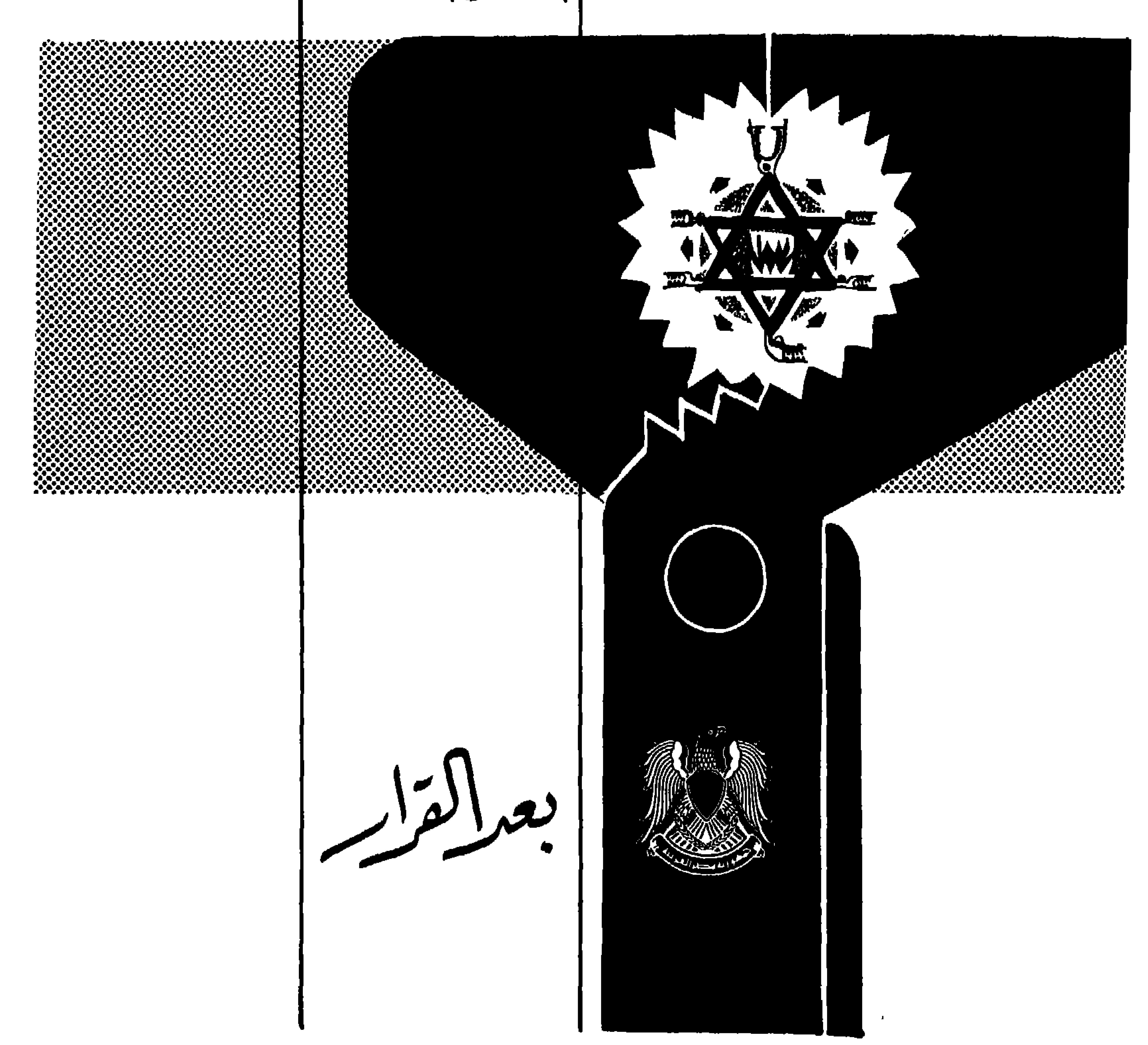
« .. واستمرت القوات المصرية فى تدمير مقارز العدو المنتشرة »

« .. وتصدت قوات السويس الصامدة للعدو »




قوات قطاع بورسعيد
٥
أوضاع القوات المصريّة والإسرائيليّة بعد وقف إطلاق النار والتسلل المخادع
٢٢ - ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣
البحر المتوسط
البردويل
العريش
مطار العريش
بير العبد
بالوظة
أبوعجيلة
جبل لبنى
جبل الحلال
جبل المغارة
غرود رملية
جبل قديرة
كثيب الصبحة
الطاسة
أم مرجم
الجنبالة
الحسنة
مطار المليز
جبل يعلق
جبل خرم
جبل سحابة
جبل أم خشيب
جبل الجدى
بير الثمادة
جبل حيطان
قلعة الجندى
جبل الراحة
بير أبوجراد
جبل سوبار
خليج السويس
جبل الجلالة
الجيش الثانى الميدانى
الجيش الثالث الميدانى
الصالحية
البلاح
الإسماعيلية
أبوصوير
إلى القاهرة
جبل جنيفة
جبل عويبد
البحيرة المرة الكبرى
الشلوفة
اصطلاحات
أوضاع العدو حتى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣
أوضاع العدو حتى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣
أوضاع العدو حتى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٤
مقاومات مصرية متمسكة بمواقعها
نقط مراقبة لقوات الطوارئ الدولية (هيئة الأمم المتحدة)
أوضاع قواتنا بعد وقف إطلاق النار

الفصل السادس



بعد القرار

بعد القرار

الجيب الهش

◆ لقد كانت اسرائيل تخشى دائما أن تتورط فى حماقة عسكرية غرب قناة السويس ، تحف بها مخاطر عديدة ، فتعانى قواتها من الامتداد البعيد بأكثر مما يتحمله الجيش الاسرائيلى ، وتقترب من الكثافة السكانية المصرية ، وتثير الرأى العام العالمى وتتسبب فى ادانة الضمير الحر لها بالعدوان والاجرام ٠

ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية اقدمت ـ لأسباب عدة ـ على القيام بتلك المغامرة ، التى نجحت لأسباب مختلفة لم ترد أصلا على مخيلة من خططوها ولم يحمها من الابادة الا نفس قرار ايقاف النار !

وبعد القرار ٠٠ اصبح وضع القوات الاسرائيلية فى الثغرة خطرا يهددها بكارثة ، فقد حشر المغامر اريل شارون فى الثغرة سبعة ألوية كاملة كانت فى حقيقة الأمر ، وكما أكد حاييم بارليف رئيس الأركان العامة السابق ، مجرد رهينة يسهل أسرها بهجوم مركز من القوات المصرية من اللحظة التى تتم فيها حشد قوات جديدة من المشاة والمدرعات والمدفعية ، لتحكم بها الحصار الكامل حول هذا الجيب الهش ٠

وزاد من سوء موقف تلك القوات الامتداد الكبير لخطوط مواصلاتها الى قواعدها فى اسرائيل ووقوع معبرها الى الغرب بين الجيشين الثانى والثالث وعدم اتزان أوضاعها التكتيكية والتعبوية غرب القناة ٠

وأصبح وضع القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية كلها ـ وليس فى الجيب فقط ـ بالغ الغرابة ٠

فقد عززت القيادة الاسرائيلية قوات الثغرة خوفا من الضغط المصرى المحتمل عليها ، حتى أصبح حجمها سبعة ألوية كاملة ٠ ولحماية الطرق والمداخل المؤدية اليهـا فقد وقفت عن كثب منهـا خمسة ألوية أخرى اقتصرت مهامها على حماية المداخل الى الثغرة ٠ هذا بالاضافة الى عشرة ألوية فى مواجهة رؤوس كبارى الجيش الثانى والثالث ٠ علاوة على الاحتياطى الاستراتيجي الذى صار لزاما على اسرائيل استمرار الاحتفاظ به فى أقصى درجات التعبئة والاستعداد على النقيض تماما مما تنص عليـه نظرياتها العسكرية أو يتحمله اقتصـادها القومى ٠ وبذا أصـبح لاسرائيل فى سيناء حوالى ٢٥ ـ ٣٠ لواء تحت التعبئة الكاملة ٠

ويزيد الصورة وضـوحا العلم بأن الاشـتباك بالنيران وبأعمال القتال لم يتوقف طوال الفترة من ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ حتى تم الاتفاق على الفصل بين القوات فى ١٨ يناير ١٩٧٤ (أى ٨٦ يوما) سوى لمدة ثلاثة أيام فقط ٠

لقد بدأت هذه الاشتباكات بين القوات المصرية والاسرائيلية منذ ٣١ أكتوبر ١٩٧٣ واستمرت حتى يوم ١٧ يناير ١٩٧٤ وناهز عددها ١٥٠٠ اشتباك منها ٤٣٩ اشتباكا كبيرا ٠

فطوال شهر نوفمبر تابعت القوات المصرية تعديل أوضاعها التكتيكية لاتمام حصار العدو واحتلال هيئات ذات أهمية تكتيكية أفضل ٠ وأدى ذلك الى حدوث ، ٩٣ اشتباكا كبيرا بنيران الأسلحة الصغيرة والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والدبابات ٠

وخلال شهر ديسمبر والنصف الأول من ينـاير نشط العـدو فى اقامة التجهيزات الهندسية ، لاضفاء صفة من الاستقرار التكتيكى لموقفه التعبوى غير المتزن ٠ وهبت القوات المصرية تمنع العدو من اتمام تلك التجهيزات الهندسية وتستنزف قواه البشرية وتوقع الخسائر فى معداته وأسلحته ٠

فحدث ٢١٣ اشتباكا كبيرا خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، ١٣٣ اشتباكا كبيرا خلال النصف الأول من يناير .

وبدأت معظم الاشتباكات بنيران الأسلحة الصغيرة ثم تصاعدت الى القصف بالمدفعية والهاونات ونيران الدبابات . وذلك عدا بعض الاشتباكات التى أديرت على شكل قصفات نيران مدفعية مركزة مخططة مسبقا .

وطوال تلك الفترة استمرت قوات نسق أول الجيش الثالث المتمركزة شرق القناة صامدة كالصخر فى مواقعها .. بل ونجحت فى الاستيلاء على مواقع جديدة . وتم توحيد قوات الفرقتين ٧ و ١٩ المشاة تحت قيادة العميد أركان الحرب أحمد بدوى وأطلق عليها اسم « قوات بدر » .

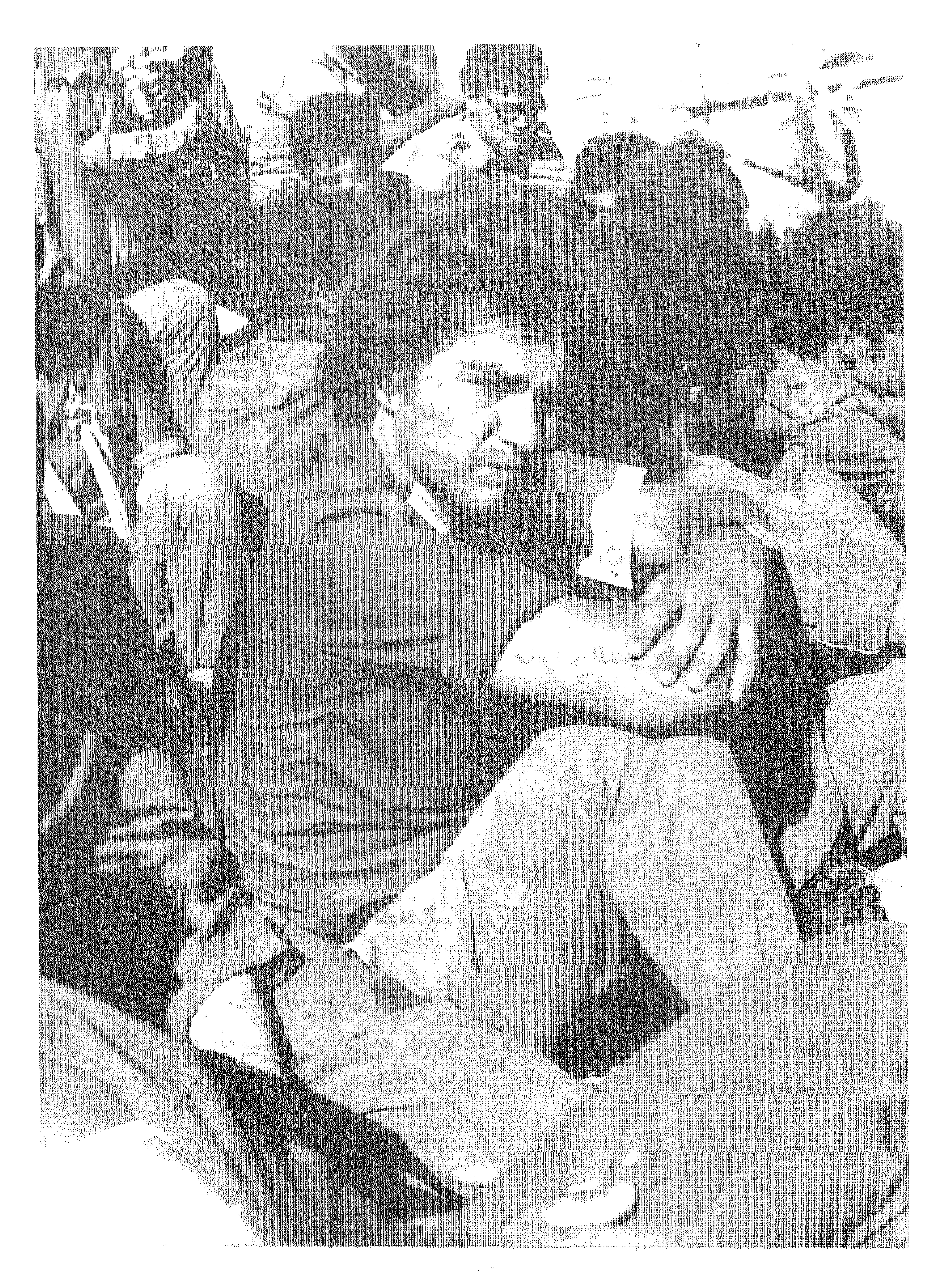
وخلال تلك الفترة استمرت قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية والقوات البحرية فى رفع كفاءتها القتالية وتنفيذ مهامها المخططة لحماية سماء ومياه الجمهورية .

وأسقطت قوات الدفاع الجوى سبعة طائرات للعدو حاولت اختراق مجالنا الجوى للقيام بالاستطلاع .

****

وتحولت القوات الإسرائيلية الموجودة فى الجبهة غرب القناة من سلاح تضغط به إسرائيل علينا إلى رهينة نضغط بها نحن على إسرائيل .

حتى جاء اتفاق الفصل بين القوات .. واجتمعت كلمة أغلب المحللين والفلاسفة العسكريين ان معركة الجيب لاتعدو فى جوهرها مظاهرة صهيونية دعائية .. أصدق مايطلق عليها هو اسم .. « المعركة التليفزيونية » ..



« .. وتحولت قوات العدو الى رهينة نضغط بها على اسرائيل »


الباب الخامس
ذراعها المبتور

الفصل الأول

الأفق المشتعل

الأفق المشتعل

قوات الدفاع الجوى

البناء

◆ عندما تولى الرجل منصبه قائدا لقوات الدفاع الجوى كانت الحقائق أمامه واضحة وصارخة • فالقوات الجوية الاسرائيلية متفوقة بشكل واضح ، والطائرات من أحدث طراز ، والطيارون على مستوى عال • لقد استغرق اعداد هذه القوات ما بين ١١ ـ ١٥ عاما •• وثمة عامل آخر ، هو الثقة الكبيرة التى اكتسبتها قوات اسرائيل الجوية بعد جولة ١٩٦٧ ، عندما استطاعت فى ساعات قليلة أن تقضى على القوات الجوية المصرية ، وعلى وحدات الصواريخ سام ، ثم تسيدت بعد ذلك تماما على سماء مسارح العمليات •

وفى مقابل ذلك كانت قوات الدفاع الجوى المصرى تتألف من بضع مدافع ورشاشات مضادة للطائرات من مخلفات التطور ، وعدد ضئيل من بطاريات الصواريخ ، وقلة من أجهزة الرادار المتفرقة ، لا تشكل بأى معيار شبكة متكاملة للانذار •

واذا كانت القوات الجوية الاسرائيلية قد امتدت أمامها فسحة الوقت الكافية للدراسة والاعداد منذ عام ١٩٥٦ ، وحتى شنت ضربتها المركزة المفاجئة صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، فان قوات دفاعنا الجوى ـ التى لم تكتمل بعد ـ كان عليها أن تتصدى لطائرات اسرائيل التى ملأها زهو النصر بالثقة ، فراحت تغير يوميا على مواقعنا ، وتقصف المدن والقرى العربية ، وتقتل الأطفال فى مدارسهم ، والعمال فى مصانعهم ، والمواطنين الآمنين فى مدنهم وقراهم • واستلزم كل ذلك أن تقوم قوات دفاعنا الجوى بمهام الاعداد والتخطيط والدراسة جنبا الى جنب مع مهام القتال •

انه هرم جديد كان على دفاعنا الجوى أن يشيده.ومثلما تضفى حرارة النار على الصلب قوة ، رفع التحدى من عزم الجنود ، وقوى من ارادة القتال بمثل ما استشرى الخطر واشتدت الآلام •

وأثمر العزم والتصميم فى عام ١٩٦٩ عن جهاز دفاع جوى جيد التنظيم فى الجبهة ، وان لم يكن كافيا من حيث الحجم لانجاز كل المهام الملقاة على عاتقه وقتئذ •

ثم بدأت حرب الاستنزاف فى ذلك العام كما أسلفنا شرحه ، وعندما ارتفعت خسائر اسرائيل فى الأفراد والمعدات نتيجة قصف المدفعية المصرية ، والأعمال الخاصة التى قامت بها قواتنا فى أعماق العدو ، دفعت الأركان العامة الاسرائيلية بقواتها الجوية ـ ذراعها الطويلة ـ فى المعركة • وبدأت هذه القوات تستدرج مقاتلاتنا الى معارك جوية فى محاولة لاخافتها ومنعها من الاشتراك فى القتال الدائر على الجبهة •

وركزت كل جهودها فى هذا العمل ، واستنبطت أساليب جديدة للكمائن الجوية ، واختارت لتنفيذها أكفأ طياريها بعد أن زودتهم بتدريب متواصل على هذه الأساليب • وبنجاح أسلوب الكمائن الجوية أمكن للقوات الجوية الاسرائيلية أن تقلل من فعالية مقاتلاتنا فى الجبهة •

ثم جاءت المرحلة الثانية ، وهى اخراج الصواريخ المضادة للطائرات من المعركة • ولتوفير مقومات النجاح لهذا العمل ، حصلت اسرائيل على خبرة القوات الجوية الأمريكية فى تعاملها مع الصواريخ سام / ٢ فى فيتنام ، وركزت وسائل حربها الالكترونية لشل فاعليتها ، ثم قصفتها بتركيز شديد ليس الغرض منه مجرد التدمير فحسب ، بل والارهاب أيضا •

ففى احدى الغارات التى شنتها القاذفات الاسرائيلية (سكاى هوك) على احـدى بطاريات الصـواريخ ، ألقت على هـذا الموقع الذى لا تتجـاوز أبعاده ٣٠٠ متر × ٣٠٠ متر حوالى ٥٠ قنبلة من العيـارات ٥٠٠ ، ١٠٠٠ رطل ، أى ما يعادل ١٥ طنا من المتفجرات ، فى حين أن المعدلات المرعية لتدمير القـوات فى هذه المساحة لاتزيد عن ٣ أطنان ، وكان ذلك يعنى أن هناك ١٢ طناً من المتفجرات تزيد على الحاجة ، ليس غرضها التدمير ، وانما الارهاب النفسى •

وواصلت قوات اسرائيل الجوية غاراتها على امتداد ثلاثة أشهر ، ركزت خلالها هجماتها ضد بطاريات الصواريخ فى الجبهة ، التى واجهت هذه الهجمات بشجاعة نادرة ، وأصرت على الاستمرار فى القتال مهما كانت التضحيات •

ولم تذهب التضحيات سدى فقد روت دماء شهداء الدفاع الجوى عام ١٩٦٩ الأرض التى أنبتت خبرة القتال الناجحة فيما بعد ، وان تقرر فى ذلك الوقت اخراج الصواريخ من الجبهة الى حين •

الهرم الجديد

تشعبت أعمال قوات الدفاع الجوى خلال النصف الأول من عام ١٩٧٠ فى اتجاهات متعددة • فبينما كان المهندسون يقومون باقامة التحصينات اللازمة لبطاريات الصواريخ فى الجبهة ، كانت التعديلات الفنيـة الكفيلة بتحسين أداء معدات الصواريخ سام / ٢ تجرى بسرعة هائلة •

وانبرت الأطقم الجديدة تجرى التـدريب على الصواريخ سـام/٣ التى تم التعاقد عليها مع الاتحاد السوفيتى • وفى نفس الوقت كان هناك مجهود هائل يبذل فى تدريب باقى عناصر الدفاع الجوى المختلفة ، وفى تطوير أساليب التدريب لتساير أساليب القتال التى تم استنباطها من خبرة المعارك السابقة •

وفى هذه المرحلة امتدت المناقشـات دون توقف ، فالكل يصر على ادراك الكمال • الا أن أهم الدراسـات وأكثرها الحاحا كان يتركز حول أسلوب عودة الصواريخ الى الجبهة • وتبلورت الآراء فى وجهتى نظر :

* الأولى •• رأى يرجح القفز بالصـواريخ الى المـواقع الأمامية بالجبهـة مباشرة ••

* والثانية •• رأى يفضّل « الزحف البطيء » بها نحو الجبهة ••

واحتدم الصراع بين طائرات اسرائيل التى راحت تحطم محاولاتنا لانشاء مواقع الصواريخ ، وتقصف فى الحاح القائمين بالعمل فيها ، وبين القيادة المصرية التى أصرت ـ وخلفها الجنود والمهندسون والعمال ـ على انشاء هذه التحصينات بأى ثمن ••

وتغلبت وجهة النظر الثانية ، التى تقضى بانشاء التحصينات على انساق ، بحيث يتم انشاء كل نسق لتتمركز به بطاريات الصواريخ تحت حماية الانساق الخلفية •

وقامت الأنساق الأولى ، وتم احتلالها بالصواريخ فى صمت ، دون أن تنتبه اسرائيل •• ولاستغلال هذا النجاح تقرر انشاء ثلاثة أنساق أخرى تمتد الى منتصف المسافة بين القاهرة والجبهة • ووضعت لها خطة جديدة دقيقة طموحة •

فخلال ليلتين فقط تحتم أن يتم انشاء التحصينات الكافية لعدد كبير من مواقع صواريخ سام ٢ وسام ٣ ، وتجهيز مراكز القيادة اللازمة لها ، وانشاء المواصلات المختلفة ، وتمهيد الطرق والمدقات ، واقامة المعدات الهيكلية وتحريك بطاريات الصواريخ لاحتلال هذه المواقع ، وتحريك واحتلال جميع وسائل التأمين الضرورية لها من مدفعية مضادة للطائرات ورشاشات ومختلف وسائل الانذار •

وبالمثل كان على مجموعات من مهندسى الالكترونيات أن تندفع خلال هاتين الليلتين أيضا لتضبط وتختبر وتولف هذا العدد الكبير من المعدات الالكترونية التى وجب أن تكون جاهزة للقتال خلال ساعات قليلة من وصولها الى مواقعها •

وتم كل ذلك فى الوقت المحدد بدقة متناهية ، وعاد الفضل فى ذلك الى الرجال ذوى العلم والخبرة والارادة التى لا تلين •

غابة الصواريخ

وفى صباح أحد أيام شهر يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية تنطلق من كل حدب وصوب فتنزل بها الخسائر التى لم تكن فى البال • وبكل الغيظ والحقد وجهت القيادة الاسرائيلية هجمة مركزة ضد بطاريات الصواريخ التى نبتت كالتين الشوكى فى الصحراء ، الا أن هذه الهجمة لم تحقق للسلاح الجوى الاسرائيلى سوى المزيد من الخسارة •

وتكررت المحاولات لتدمير صواريخنا بمزيد من الفانتوم ـ الطائرة الاسطورة التى لا يمكن تدميرها ـ وبمزيد من أسلحة الاعاقة الالكترونية ومزيد من العتاد ، وبأحدث أساليب وتكتيكات الاقتراب والهجوم ، ووسائل التدمير المتطورة ، وأعمال المناورة والخداع • وكانت النتيجة دائما مزيدا من الطائرات المتساقطة ، ومزيدا من الطيارين الأسرى •

وراحت اسرائيل تتباكى وتشكو من تآكل قواتها الجوية ، ثم أحجمت كليّة عن مهاجمة صواريخنا التى أطلقت عليها اسم « حائط الصواريخ » ، تارة « وغابة الصواريخ » تارة أخرى • وأعلنت الولايات المتحدة عن عزمها على تعويض اسرائيل عن كل خسائرها فى الفانتوم أو سكاى هوك •

وخلال شهرى يونيو ويوليو ١٩٧٠ استطاع عدد قليل من بطاريات الصواريخ ـ فى تكامل مع عناصر الدفاع الجوى الأخرى ـ أن يدمر لاسرائيل ما يربو على ١٦ طائرة فانتوم ، أى ٢٥ ٪ من جملة ما كان متوفرا لديها وقتئذ من الطائرات ، وأن يصيب عددا مماثلا منها ••

وبدأت قاعدة الهرم الجديدة تتسامى نحو السماء ، ثم توقفت النيران فى الجبهة الى حين •

وفى منتصف عام ١٩٧٢ صرح أحد قادة اسرائيل بأن الدفاع الجوى المصرى لم يعد يشكّل أى خطر ، وأنه قد تم اتخاذ جميع الاجراءات التى تجعله عديم الفعالية •

أما فى مصر فكانت توجيهات اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى لرجاله تركز على أن السلاح الجوى الاسرائيلى يزداد قوة يوما بعد يوم ، نوعا وكما ، بما يصله من طائرات فانتوم وسكاى هوك جديدة ، وبمعدلات كبيرة ، علاوة على معدات الحرب الالكترونية المتطورة ، والصواريخ جو / أرض المتنوعة ، والقنابل التليفزيونية ••

وتؤكد أن على كل فرد من الدفاع الجوى أن يراقب بيقظة ودقة كل تطور أو توسع فى قوات اسرائيل الجوية ، حتى تتخذ التدابير الفورية لمجابهتها بالأسلوب العلمى السليم ، ويمكن مفاجأة اسرائيل بقوتنا الحقيقية عندما يحل اليوم المرتقب •

وجاء اليوم

فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ عبر جنـود مصر قناتهم تحت حماية الدفاع الجوى الذى حرم العدو من تفوقه الجوى ، ووقى كل الأهـداف ذات الأهميـة العسكرية والاستراتيجية بالدولة ••

وجاءت الطائرات تحمل كل ما أنتجته أحدث الترسانات من وسائل الدمار ، لتؤدب هؤلاء العـرب الذين هبوا يستعيلون أرضهـم وكرامتهم ، وتدق لحمهـم وعظامهم كما وعدت رئيسة وزراء اسرائيل •

موجات من الطائرات تتلوها موجات •• تحاول تدمير المعابر وسحق القوات التى تعبر •• وامتدت ذراعنا الطويلة فى ثقة وجبروت •• وحدث اتصال بديع بين الأرض والسماء •• طلقات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ سـام ــ ٢ وسـام ــ ٣ وسـام ــ ٦ تحمى سماؤنا •

ولم يكن سام ــ ٦ هو المفاجأة كما ذكرت وكالات الأنباء ، ولكن المفاجأة الحقيقية كانت مقاتل سنة ٧٣ ، الذى استطاع أن يتسيّد هذه المعدات استيعابا وتطويرا واسـتخداما • وتهـاوت الطائرات ذات النجمـة السداسية الزرقاء ، واحترقت وهى تندفع نحو الأرض بفعل الجاذبية وكأنها النيازك المتهاوية •

وعندما غربت شمس ذلك اليوم المشهود ، كان حطام ١٣ طائرة فانتـوم وسـكاى هوك يجثم هامدا فوق الرمال الحبيبـة ، بينما كان عدد من الطيارين الاسرائيليين يدخلون قفص الأسرى •• هذا بالاضافة الى الطائرات التى أصيبت وسقطت بعيدا ، أو تمكنت من اتمام رحلة العودة •

وكان اجمالى الطائرات التى هاجمت قواتنا حتى آخر ضوء فى نهار السادس من أكتوبر ٤٤٦ طائرة •• وبفضل دفاعنا الجوى •• فشلت كلها فى أن تحقق شيئا •• وهوت يد اسرائيل العليا •• وبترت ذراعها الطويلة •

وأصرت رئاسة الأركان الاسرائيلية على منع عملية العبور بأى ثمن ، ولهذا استمرت الطائرات تغير ليلا ، بعد أن أضـاءت أرض المعركة بالمشاعل فحولت الليل الى نهار •• وأنجزت مزيدا من القصف الجوى قابله مزيد من الطائرات تهوى محترقة • وكان اجمالى الطائرات التى هاجمت قواتنا ليلا ٢٦٢ طائرة •

وأشرقت شمس السابع من أكتوبر فازدادت الهجمات الجوية عنفا وكثافة ، وزاد تنظيمها ٠٠ وراحت تستخدم أسلوبا أفضل ـ وان لم يكن أكثر جدة ـ وهو الاقتراب على ارتفاعات منخفضة جدا حتى تتجنب الكشف الرادارى ، ثم ترتفع فجأة لتلقى بقنابلها وصواريخها ، قبل أن تقفل عائدة ٠

كان هذا هو ما حاولت الموجات الأولى اتباعه ، ولكنها لم تستطيع أن تنفذه طويلا ، اذ تصدت لها الصواريخ سام / ٧ القصيرة المدى ، والمصممة للتعامل مع الطائرات على الارتفاع المنخفض ، وكذا المدفعية والرشاشات م/ط ، وأجبرتها على الارتفاع المبكر ، فوضعتها فى أكثر الأوضـاع مناسبة لتقتلها الصـواريخ سام ـ ٦ وسام ـ ٣ وسام ـ ٢ ٠٠

كان كل سلاح يعرف هدفه ، وكل طائرة تخصص لنوع منها ، طبقا لارتفاعها وسرعتها ، ولم يجد الطائرات الاسرائيلية فتيلا استخدامها للاعاقة والشوشرة ، سواء أكانت من مصادر أرضية ، أو من المستودعات الموجودة بنفس الطائرات المهاجمة ، فقد أمكن لمقاتل الدفاع الجوى بعد دراسات طويلة أن يتغلب على هذه الاعاقة ٠٠ ولكن كيف ؟

انه سر لا يريدون التصريح به اليوم حتى ينفعهم غدا ٠٠

وهكذا سـقط عدد كبير من طائرات العدو بينما اسـتمرت عملية العبور تتدفق تباعا الى الضفة الشرقية ، لتحطم عددا أكبر من الحصون المعادية ٠

ولم يصب جندى واحد من جنودنا بنيران الطائرات الاسرائيلية ، كما لم تصب أى معدة من معدات الدفاع الجوى ولو بخدش طفيف حتى تلك اللحظة ٠٠ وكان ذلك نصرا رائعـا بلا جدال ٠٠ اذ بترت ذراع اسرائيـل الطويلة وطاش سهمها ٠٠

وكان على القيادة الاسرائيلية أن تغير من تكتيكات الهجوم الجوى سريعا ، فاتخذت أسلوبا جديدا يقضى باقتراب الطائرات على نفس الارتفاعات المنخفضة ، وعلى مسافة بعيدة خارج مدى نيران الدفاع الجوى ـ كما كانت تتصور ـ ثم تلقى بالقنابل والصواريخ أثناء الصعود ، وتبتعد عن الهدف ٠٠

ولكن الدراسة المسبقة للعدو الجوى وأسـاليبه المختلفة ، وتدريباته التى قام بها فى المـاضى ، وأسلحته التى استخدمها فى المسرح ، جعلته مثـل الكتاب المفتوح ، فكان ما يفعله معروفا لنا ، وكان رجالنا دوما على اسـتعداد لهزيمته فى كل لحظة ٠

وكانت الصواريخ سام / ٦ الخفيفة الحركة قد احتلت مواقعها فى الأمام ، فزاد مدى المظلة التى حققها الدفاع الجوى للقوات البرية ٠٠ وسقط عدد آخر من الطائرات الاسرائيلية ، وتهاوت كمية أخرى من المظلات الصفراء ، تهبط فى رفق حاملة طيارى اسرائيل الى أقفاص الأسرى ٠٠

وجن العدو ، فالعبور ينساب بغزارة ، والمعابر تزداد قوة ومتانة ٠٠ والكبارى تتحول الى شرايين وأوردة تتدفق عبرها أسباب الحياة بين الضفتين جيئة وذهابا ٠٠

ولم يعد أمام اسرائيل الا أن تزيد كثافة الهجمات الجوية ٠٠ وكان ذلك عبئا ثقيلا ، اذ أدرك الطيارون الاسرائيليون أخيرا استحالة اختراق هذه الشبكة المتينة التى نسجها المقاتلون المصريون بدقة رائعة ، فراحوا يتخلصون من حمولاتهم المدمرة على المسافات التى تكفل الأمن لهم ٠٠ والأمان لنا ٠

ونجح العبور ، وتعززت المواقع ، ولكن القيادة الاسرائيلية لم تسلم بذلك ، فدفعت بالهجمات المضادة البرية التى كان لابد لها من تأييد جوى ٠ وكان متوسط عدد الطائرات المعادية التى اقتربت لقصف قواتنا البرية شرق القناة يتراوح بين ٥٠٠ ـ ٦٠٠ طائرة يوميا ، أسقطت أغلب حمولتها بعيدا ٠٠ فيما عدا بعض الطيارين المغامرين الذين اقتربوا من نيراننا فدفعوا الثمن غاليا ، اذ فقدوا طائراتهم ووقعوا فى الأسر ٠٠

وأصدرت القيادة الاسرائيلية فى اليوم الأول للحرب أمرا مشددا الى طياريها بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة تقل عن خمسة عشر كيلو مترا ، وكان ذلك بعد اقل من ثلاث ساعات فحسب من بدء القتال ٠٠

وتراوح متوسط ما يفقده العدو يوميا من طائرات فى هذه المهمة ، أى عند مهاجمة القوات البرية شرق القناة ، بين ٤ ـ ٦ طائرة ، ونتيجة لذلك تلاشت كثافة الهجمات الجوية حتى وصل الدعم الأمريكى لاسرائيل ، فعاد الخط البيانى الى الارتفاع ثانية بصورة ملحوظة ٠٠

لقد حققت قوات دفاعنا الجوى غطاء جويا صلبا ، قاتلت قواتنا البرية فى حماه ، فحققت المعجزة ، وفازت بثناء الكافة واعجابهم العظيم ٠

الضربات الفاشلة

وفى الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم الثانى للقتال ـ ٧ أكتوبر ـ قامت الطائرات المعادية بمهاجمة سبعة من المطارات المصرية المتقدمة ، هى بنى سويف وبير عريضة والقطامية والمنصورة وجناكليس وشبراخيت وطنطا ، وخصصت ٨ ـ ١٢ طائرة فانتوم وسكاى هوك لكل واحد من هذه المطارات ٠٠

وكان هذا تكرارا آليا للخطة التى اتبعتها القوات الاسرائيلية صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وحققت بها نجاحا ساحقا أخرج القوات الجوية المصرية من المعركة حتى نهايتها ٠

واقتربت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاعات منخفضة جدا فوق البحر المتوسط لتباغت مطارات شمال الدلتا ووسطها ، وفوق البحر الأحمر لتنقض على المطارات الأخرى ، وظنت أنها سوف تتغلب بذلك على الحقل الرادارى المصرى ، وتفاجىء دفاعنا الجوى ٠٠ ولكن المفاجأة جاءت هذه المرة من جانب مصر ٠

وجدير بنا أن نتوقف هنا لنفحص أمر المفاجأة التى يصعب تحقيقها بقوات ذات طبيعة عمل دفاعية ، أى التى لا تتحكم فى توقيت ومكان الضربة التى تكيلها للعدو ٠ كما أن اخفاء حجم وتمركز وحدات الصواريخ يعتبر أمرا مستحيلا الى حد كبير مع التطور الهائل فى وسائل الاستطلاع حيث يستطيع أى قمر صناعى أمريكى جوال أن يلتقط لها صورا دقيقة ومتجددة بصفة مستمرة ٠ كما تستطيع اى طائرة استطلاع أمريكية الصنع سواء أطلقتها الولايات المتحدة أو اسرائيل أن تقوم بنفس المهمة ، وبدقة أفضل٠

أما عن نوعية المعدات فلم تعد سرا بعد نشر خواصها كل يوم فى المجلات والكتب المتخصصة ٠ ويستطيع الاستطلاع الالكترونى أن يعرف تفاصيل عمل هذه المعدات ، هذا بالاضافة الى وسائل الاستطلاع المتعددة الأخرى ٠

وعلى ذلك فالمفاجأة الوحيدة المتبقية للمعركة فى عصرنا الحديث أصبحت تنحصر فى نوعية استخدام هذه المعدات فنيا وتكتيكيا وتعبويا ، كما أن خداع وسائل الاستطلاع المختلفة ـ وان لم يكن أمرا سهلا ـ يلعب دورا كبيرا فى هذا المضمار ٠

۰۰۰لقد وعت قوات دفاعنا الجوى هذه المبادىء ، وبذلت كل الجهد لتحقيقها ، ففشل هجوم العدو على مطاراتنا فشلا ذريعا ، وكل ما استطاعت تلك الطائرات الثماني والستون التى هاجمت قواعدنا الجوية ومطاراتنا صباح السابع من أكتوبر أن تفعله لم يزد على مجرد القاء قنبلة فى نهاية ممر فرعى بأحد المطارات ، وقنبلة زمنية أخرى بجوار مبنى منعزل فى مطار آخر أصابته بتصدع بسيط ، لم يمنعه من مواصلة العمل ٠

واستمرت القاذفات المصرية تقلع من هذه المطارات لتقصف أهدافها فى عمق سيناء ٠٠ بينما كانت المقاتلات المصرية تنتظر الطائرات المعادية قبل أن تبارح المجال الجوى المصرى لتدخل معها فى معركة جوية وتدمرها ٠٠ فبترت بذلك ذراع اسرائيل الطويلة ٠٠ وخسر العدو فى هذا الهجوم ثمانى عشرة طائرة فانتوم وسكاى هوك ، وعددا من طياريه وملاحيه ٠

لم يكن كل ذلك سهلا على قوات دفاعنا الجوى لأن اكتشاف الطائرات على الارتفاعات المنخفضة مع تركيز الاعاقة والشوشرة الالكترونية التى تقوم بها ما زالت احدى المشاكل العلمية التى يعكف العلماء على دراستها ٠

وقد أسهمت خبرتنا القتالية فى التوصل الى بعض الحلول للمشكلة ، بالاضافة الى ما بذله الجنود من تدريب شاق حقق لنا انتهاج بعض الأساليب التى ما زلنا ندرجها فى عداد الأسرار العسكرية ٠ كما أضاف مقاتلو الدفاع الجوى مبادىء جديدة الى علم الالكترونيات ، وفن استخدام قوات الدفاع الجوى ٠

كذلك فان استخدام شبكة المراقبة بالنظر التى تعتمد أساسا على الفرد الذى لا يتأثر بالاعاقة الالكترونية ، ويستطيع رؤية الطائرات على الارتفاع المنخفض ، مع تزويده بشبكات مواصلات تعتمد على أساس من الدراسة العلمية العسكرية الدقيقة ، قد حقق نجاحا كبيرا فى هذا المجال ٠

وبالإضافة الى تلك المشاكل فان اصابة الطائرات الحديثة بالصواريخ عمل يحتاج الى درجة عالية من الكفاءة ٠

ولنأخذ مثلا لذلك الطائرات الفانتوم ــ التى تعنى بالعربية « الشبح » ــ فهى بلا جدال طائرة قتال ممتازة ، والى جانب ما تتمتع به من مدى كبير وسرعة عالية وارتفاعات عمل مختلفة ، فانها تتميز أيضا بالآتى :

أولا : تحمل هذه الطائرة مستودعات اعاقة الكترونية لتعمية اجهزة الرادار ومحطات توجيه الصواريخ ، وتعمل على حيزات تردد مختلفة ، تغطى الترددات المستعملة بوسائل دفاعنا الجوى ٠

ثانيا : تحمل الفانتوم صواريخ موجهة جو / أرض مختلفة الأنواع ، منها الصواريخ راكبة الشعاع التى تتجه تلقائيا بمجرد اطلاقها نحو اى مصدر كهرومغناطيسى ، كما أنها تستمر فى اتجاهها بدقة حتى لو انقطع هذا المصدر عن الاشعاع ، وذلك لوجود ذاكرة الكترونية بالصاروخ تحتفظ له بالمعلومات الابتدائية عن مصدر الاشعاع وتوجهه نحوه ٠

ثالثا : تحمل الطائرات الفانتوم الاسرائيلية صواريخ تعمل على ترددات الأجهزة الالكترونية المصرية ٠٠

ورغم ذلك فقد أمكننا أن نتغلب على هذه الصواريخ ، وأن نسقطها بعيدا عن أهدافها ٠٠ ولكن كيف ؟ ٠٠

انه سر حربى آخر مازلنا نحرص عليه كل الحرص ، توصلت اليه العقول المصرية ومهندسو الالكترونيات المصريون ٠

وبالاضافة الى هذا الصاروخ يوجد لدى اسرائيل نوع آخر من الصواريخ الحرارية التى تتجه نحو مصدر الحرارة كمولدات القوى ، وكذا الصواريخ الموجهة بالتليفزيون ٠٠ وتحمل الفانتوم قنابل مختلفة الأنواع تصل حمولتها الى سبعة أطنان ٠٠

رابعا : تجهز الفانتوم بمعدات الكترونية عظيمة الفائدة للطيار ، وأهمها المبينات الخاصة بنشاط وسائل الدفاع الجوى الأرضى ٠ فبمجرد أن تلتقط الفانتوم بأجهزة رادار الدفاع الجوى يضىء مصباح أمام الطيار لينبهه الى ذلك ، وكانه يهمس فى أذنه « كن حذرا » ٠

فاذا اقترب الطيار من مناطق عمل الصواريخ سام وأطلق عليه صاروخ من الأرض ، يضىء مصباح آخر لينذره أن الصاروخ قد أطلق نحوه ٠٠ وعند هذا الحد يبدأ حاسب الكترونى ـ موجود بالطائرة ـ فى العمل تلقائيا ، فيجرى عمليات حسابية معقدة ، تشمل سرعة طيران الصاروخ ومسافته واتجاهه وامكانياته فى المناورة وطرق توجيهه وامكانيات الطائرة والطيار ، وسرعته وارتفاعه واتجاهه و ٠٠ و ٠٠ والخ ٠٠ ويتم ذلك بالطبع فى جزء من الثانية ٠

ونتيجة لهذه العمليات الحسابية يحدد الحاسب الالكتروني للطيار اللحظة المناسبة للقيام بالمناورة عندما يضىء مصباح ثالث فيرتفع الطيار أو يغير اتجاهه ، ويزيد أو ينقص من سرعته اذا لزم الأمر ، حتى يبتعد فجأة وبطريقة حادة عن مسار الصاروخ أرض / جو ويفلت من ملاحقته له ٠

وكل هـذه التدابير الالكترونيـة تؤدى الى النزول باحتمال تدمير الطائرة بالصاروخ الموجه أرض / جو الى الصفر ٠٠

فاذا علمنا أن خاصيـة « احتمال التـدمير العـالى » هى أهم ما تتميز به الصواريخ ، بل ان تعقيد المعدات وغلو الثمن ، والمجهودات الشاقة التى بذلت فى صناعة هذه الصواريخ قد هدفت الى تحقيق احتمال تدمير كبير ، اذا علمنا ذلك يمكننا أن نقول أن الطائرة الفانتوم هى فعلا « شبح » ولكن المصريين فى عام ٧٣ لم يكونوا يؤمنون بالأشباح أو يأبهون بها ٠٠

والواقع أن هنـاك معدات أخرى حديثـة تعاون طيار الفانتوم على تحقيق مهامه ، ولكن يكفى ما ذكرناه آنفا عن هذه الطائرة التى أصبحت معرضـا فى ميادين بلادنا ٠

وخير تعقيب على ذلك ما قاله أحد طيارى الفانتوم الأسرى الرائد طيار جيرو يعقوب أمنون « لقد كانت الصواريخ المصرية مؤثرة للغـاية ٠ وكنا نحاول الابتعاد عن مواقعها خشية أن تصـاب طائراتنا ٠٠ وعلى الرغم من محاولات التملص منهـا الا أنها كانت فعالة للغاية ، مما أدى الى وقوع خسائر كبيرة فى الطائرات الاسرائيلية ، وخاصة طائرات الفانتوم » ٠

****

أيقن العدو الجوى من فشل هجومه الأول على المطارات المصرية ، فراح يطور أسلوبه ، ويجرى بعض التعديلات التى تلخصت فيما يلى :

أولا : مضاعفة عدد الطائرات التى تقوم بالهجوم لتصبح ١٦ ـ ٢٤ طائرة ضد كل مطار ٠

ثانيا : مهـاجمة مواقع الرادار التى تقـع فى طريق الاقتـراب من هذه المطارات ، لتدميرها وفتح ثغرة فى الحقل الرادارى يتلصص داخلها دون انذار عنـه ٠

وفشل العدو فى أسلوبه الجديد بفضل المدفعية والرشاشات م / ط التى كانت تدافع عن مواقع الرادار ، والتى كانت ـ رغم صغر حجمها ـ على درجة عالية من الكفاءة أجبرته على الهجوم من ارتفاعات أعلى مما يجب ، وبالتالى لم يعد تصويبه دقيقا ، فسقطت أغلب قنابله بعيدا عن أهدافها ٠

وفى نفس الوقت امتصت مواقع الرادار الهيكلية جزءا من نيران العدو ، وذلك بالاضافة الى اجراءات أخرى لم يحن وقت نشرها ٠ كما وقعت بعض الأضرار فى عدد من أجهزة الرادار ولكنها لم تسبب فى حدوث أى ثغرة فى الحقل الرادارى ، وأمكن استعادة موقف هذه الأجهزة بسرعة بفضل كفاءة الأطقم وشمول خطة الاصلاح الفورى ٠

ثالثا : وضع مظلات جوية من الطائرات الاسرائيلية على طريق خروج الطائرات المهاجمة ، وعن كثب منها ٠ وقد تكونت كل مظلة من ١٢ ـ ١٦ طائرة ٠ وأمكن لقيادة القوات الجوية الاسرائيلية توفير كل هذه الأعداد من الطائرات بعد وصول الدعم الأمريكى ، وتعويض خسائرها فى الطائرات ٠

وكان واجب هذه المظلات هو تركيز الاعاقة الالكترونية الكثيفة باستخدام الأجهزة التى وصلت أخيرا من الولايات المتحدة ضد محطات توجيه الصواريخ أساسا ، بالاضافة الى محطات رادار الانذار ٠

كما كان لهذه المظلات واجب آخر هو الدخول فى معركة جوية مع المقاتلات العربية التى قد تعترض الطائرات الاسرائيلية سواء عند اقترابها أو عند انسحابها ٠

مطار واحد فقط استطاعت الطائرات الاسرائيلية اغلاقه لمدة تزيد على ثلاث ساعات ، ولم يكن هذا المطار الوحيد مدافعا عنه بالصواريخ وانما بوحدة مدفعية صغيرة ، ورغم ذلك فقد دمرت هذه الوحدة بالتعاون مع الوحدات الأخرى التى مرت فوقها الطائرات المغيرة ، دمرت للعدو اثنى عشرة طائرة أى ما يساوى ثمان وأربعون مليونا من الدولارات ٠٠ ولكن هل تدفع اسرائيل ثمن هذه الطائرات ؟ ٠

وثمة نجاح آخر حققته القيادة الاسرائيلية هو تدمير أوتوبيس مدنى يحمل بعض القرويين ، كانوا فى طريقهم الى سوق المدينة الأسبوعى ، وهم يرتدون ثيابهم الجديدة ٠٠ وقتلت طائرات اسرائيل ستين قرويا بين رجل وامرأة وطفل بقذيفة مباشرة أسقطها الطيار الاسرائيلى عليهم ٠

وظلت القواعد الجوية والمطـارات المصرية تستقبل الطائرات وترسلها الى اهدافها طبقا للخطة الموضوعة • ولم تصب أية طائرة مصرية وهى على الأرض طيلة أيام القتال •• وكان معنى ذلك أن ذراع اسرائيل الطويلة قد بترت وفقدت باسها بفضل دفاعنا الجوى الباسل •

آلاف الأطنان فوق بورسعيد

لم تستطع الطائرات الاسرائيليـة أن تحقق شيئا فى جبهة القنـاة فقواتنا قد عبرتهـا بنجاح ، والجيشان الثـانى والثالث قد عززا مواقعهما فى الشرق • وتزايد سقوط طائرات اسرائيل يوما بعد يوم بنيران الصواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ والمدفعيات المضادة للطائرات المصرية • وذراع اسرائيل الطويلة مشلولة أمام دفاعنا الجوى القوى ••

اذن فليكن الانتقام حيث بصيص من الأمل فى استعادة بعض الثقة فى هذه الذراع المبتورة •

وعلى ذلك قررت اسرائيل أن تكون ضربتها فى بور سعيد ، المدينة الباسلة التى تقبع فى اباء وشمم عند المدخل الشمالى للقناة على شاطىء البحر المتوسط • فهنـاك لا خوف من مقابلة نيران الدفاع الجوى المهلكة ، اذ لا توجد بها سـوى أربعة بطاريات فقط من طراز سام ٢ وسام ٣ ، وبعض المدفعيات والرشاشات المضادة للطائرات ، تشكل فيما بينها تجميعا منعزلا ، لا يتوفر له تعاون بالنيران مع تجميع الجبهة •

أما امداد المدينة فليس له طريق الا الساحل ، وتكفى قنبلة أو صاروخ واحد لقطعه فى إى موضع على امتداده الطويل •

وتساعد جغرافية المنطقة القوات التى تهاجم بور سعيد جوا ، فالى الشرق تقع قناة السويس ، والى الشمال البحر المتوسط حيث يمكن للطائرات المهاجمة أن تطير فوقه على ارتفاع عدة أمتار دون خطر ، ودون أن تستطيع أجهزة الرادار أن تميزها من خلال أمواج البحر ، والى الغرب تقع بحيرة المنزلة التى لا يفصلها عن البحر سوى شريط ساحلى ضيق ، والى الجنوب تمتد أرض منبسطة وسبخات ملحيـة •

لقد وفرت هذه الظروف الطبوغرافية أفضل الفرص للطائرات المعادية أن تقترب من المدينـة عن طريق الشرق مباشرة ، وعن طريق الشمال فوق البحر بصورة شبه مباشرة ، وعن طريق الجنوب والغرب بصورة غير مباشرة بعـد أن تقوم بحركة التفاف واسعة بعض الشيء • وكان هذان الاتجاهان الأخيران هما الأكثر احتمالا اذ أراد العدو أن يحقق المفاجأة •

وحدث ما توقعناه تماما ، اذ قامت طائرات اسرائيل يومى ٦ ، ٧ أكتوبر بالالتفاف من الغـرب ـ أى من الخلف ـ لتهاجم القوات البرية التى عبـرت الى الشرق •

وفى الساعة الحادية عشر من صباح اليوم الثالث للقتال ـ ٨ أكتوبر ـ التقطت شاشات الرادار عددا من الطائرات الاسرائيلية تقترب مباشرة من الشرق على ارتفاعات متوسطة وعالية ، وخصص قائد الدفاع الجوى عن بور سعيد جزءا من مجهوده للتعامل مع هذه الأهداف فى حالة اختراقها لمجال عمله ، بينما أمر الجزء الأكبر أن يكون مستعدا للأهداف التى تقترب من الجنوب ، وركز وسـائل الاستطلاع فى اتجاه الشمال والغرب •

وانخفضت الطائرات المقتربة من الشرق لتوحى بأنها سوف تنقض وشيكا ، ولم تخدع هذه الحركة أحدا لأن الأسلوب الصحيح هو العكس من ذلك تماما ، اذ يجب على الطائرات أن تقترب على ارتفاعات منخفضة لتتفادى الكشف الرادارى ، ثم ترتفع بغتة لترى أهدافها قبل أن تنقض عليها وتقصفها بشدة واحكام •

وبعد قليل كان المجهود الرئيسى يندفع الى بور سعيد من اتجاه الجنـوب ، فتنقسم الطائرات الى مجموعتين ، تتجه احداهما شرقا لتهاجم مواقع الصـواريخ الموجودة فى هذا الاتجاه ، وتتجه الأخرى غربا لتهاجم المواقع الباقية •

وانتشرت هنـاك بعض الكمائن المضادة للطائرات من صواريخ سـام / ٧ الصغيرة التى تطلق من الكتف ، وضعناها فى طريق اقتراب الطائرات التى ما أن فوجئت بنيرانها المصوبة حتى اضطرت الى الارتفاع مبكرا عما كان مخططا لها ، فأصبحت فى أكثر الأوضاع مناسبة لمواقع سام ٢ ، سام ٣ لتدميرها •• وبدأت الصواريخ تنطلق لأعلى والطائرات تتهاوى لأسفل بمجرد أن يتم اللقاء الصاخب بينهما •

واستمرت المعركة حتى الساعة الخامسة مساء بحشد كبير بلغ أربعة وتسعين طائرة • هذه الكثافة الكبيرة تزيد على امكانات البطاريات الأربعة التى لايمكنها ان تتصدى فى فترة زمنية واحدة لأكثر من أربعة أهداف فحسب ، مثل عددها ، فاذا زاد عدد الطائرات المغيرة عن عدد البطاريات سام أمكن لهذه الزيادة أن تقصف مواقع الصواريخ دون أن تخشى عملا مضادا منها •

وعندما هبط الظلام كانت اثنتا عشرة طائرة اسرائيلية قد تحولت الى حطام فى مقابل اسكات بطاريات الصواريخ الأربعة •

وتحت جنح الليل بدأت الطائرات الاسرائيلية المرحلة الثانية فى أضواء المشاعل ، بهدف احباط أى محاولة لاقامة الصواريخ مرة أخرى • وراحت الطائرات تقصف مواقعها بشدة ، حتى تدمر المعدات تدميرا تاما •

ثم زادت القصف بشدة لتهدم المواقع نفسها ، حتى اذا ما أمكن تعويض الأسلحة بأخرى فلن تجد الموقع الذى تعمل منه •• ثم عملت على اغلاق هذه المواقع والطرق المؤدية اليها بالقاء القنابل الزمنية والألغام والأشراك ذات النوعية الخاصة ، حتى تمنع المهندسين من الاقتراب منها • وأخيرا قطعت الطريق المؤدى الى بور سعيد لتمنع الامدادات عن المدينة الباسلة •

واستمرت هذه العملية فى تكرار رتيب طيلة يومى التاسع والعاشر من أكتوبر • وكانت الطائرات عندما تقابل بنيران المدفعية م / ط أو الصواريخ الصغيرة ترتفع قليلا ثم تستمر فى قصفها بأنواع مختلفة من القنابل والصواريخ ، كما قامت أيضا بقصف القاعدة البحرية •

وبلغ مجموع الطائرات التى هاجمت بور سعيد يومى ٩ ، ١٠ أكتوبر ٢١٤ طائرة ألقت زهاء الألف وخمسمائة طن من المواد المتفجرة عليها •

وفى الساعة الثامنة من مساء العاشر من أكتوبر أمكننا أن نلتقط بعض الاشارات المتبادلة بين الطيارين الاسرائيليين وقياداتهم ، عندما كان الطيارون يعطون تماما بأنهم نفذوا كل مهامهم ، بينما القيادة تصر على أن يعاودوا الكرة • وصرخ الطيار فى النهاية مؤكدا أنه لم تعد هناك أهداف تقصف ، وأنه سوف يقفل عائدا الى قاعدته •• ثم أغلق جهازه وعاد ليستريح •

وفى الساعة التاسعة والدقيقة الثامنة والثلاثين من صباح الحادى عشر من أكتوبر عادت الطائرات الاسرائيلية الى بور سعيد • ستة عشر طائرة أتت لتبث الرعب فى قلوب سكان المدينة الذين رفضوا مغادرتها • ولم تكن بها حاجة لأن تطير على ارتفاع منخفض فلم يعد أمامها عناصر دفاع جوى يؤبه به •

وفجأة انطلقت الصواريخ سام ٢ وسام ٣ ثانيا ، وسقطت اثنتا عشرة طائرة فى مدى عشر دقائق ، وفرت الطائرات الاربع الباقية •

كيف حدث هذا •• ؟ ومتى عادت الصواريخ الى مواقعها •• ؟ لقد بدا ذلك ضربا من المحال ، ولكنها حقيقة واقعة أثبتهـا التاريخ ، وتعرفها القيـادة الاسرائيلية جيدا •

فرغم كل ما حدث ، عاد تجميع الصواريخ فى بور سعيد أقوى مما كان بفضل التخطيط المسبق الحاذق ، والشجاعة الأصيلة فى النفوس ، وتنظيم العمل والتعاون الكامل ، واتقان الواجب والاصرار على آدائه • وعاد الفضل فى كل ذلك الى قوات الدفاع الجوى ، والمهندسين العسكريين ، وأهالى بور سعيد الأبطال ، الذين حققوا فيما بينهم هذه المعجزة •

وبنهاية الحادى عشر من أكتوبر ٧٣ أسقطت بورسعيد احدى وعشرين طائرة اسرائيلية ، غير الاصابات الأخرى التى ألحقتها بالطائرات الاسرائيلية •

واستمر الصراع بين قوات الدفاع الجوى المصرى فى بورسعيد والقـوات الجوية الاسرائيلية ، وكان صراعا مريرا غير متكافىء بين مئات الطائرات من أحدث الأنواع العالمية وبين أربعة بطاريات صواريخ •

واستخدمت الصواريخ الحرارية التى تتجه الى مصـادر الحرارة بالمواقع ، وهى مولدات القوى الكهربائية اللازمة لعمل وحدات الصواريخ ، وأشعل المقاتلون النار فى براميل فارغة وضعوا فيها بعض الوقـود والنفايات ، فكانت تجذب الصواريخ اليها •

كما استخدمت الطائرات الصواريخ الموجهة بالتليفزيون • وأطلق مقاتلو الدفاع الجوى ـ ستائر الدخان حول المواقع ، مما جعل هذه الصواريخ تضـل أهدافها • وأصبح من الصعب على الطائرات أن ترى المواقع •

وألقت الطائرات وابلا من الأشراك المتفجرة ، واستطاع المقاتلون والمدنيون تمييزها بسرعة ، وابتكروا طرقا سهلة لتدميرها •

وفى الثالث عشر من أكتوبر كان تجميع الصواريخ فى موقف حرج ، اذ اصيبت ثلاثة بطاريات ولم يبق صالحا للعمل سوى واحدة ٠

وكان من المهم الا يشعر العدو بهذا الموقف الحرج الى أن يعاد اصلاح الأعطال ٠

وبالفعل استطاع مهندسو الالكترونيات المصريون أن يحافظوا على مصادر الاشعاع الكهرومغناطيسى بكل موقع ، وحافظوا بذلك على الصورة العامة للموقع ٠ فالصواريخ ما زالت تنطلق وان كانت غير موجهة ، وهناك مصادر اشعاع وان كانت غير ذى موضوع ، وهناك دخان كثيف يلف كل شئ فى ثوب من الغموض والابهام ٠

وظلت الصورة أمام الطيارين الاسرائيليين كما كانت عليه سابقا ، فلم يفطنوا الى أى تغيير ، بل ان كثيرا من الطيارين فى ذلك اليوم بالذات ألقوا بحمولاتهم من القنابل والصواريخ فى البحر خشية الاقتراب من الدفاع الجوى فى بور سعيد ، وكان سكان بور سعيد يشاهدون ذلك بأعينهم فيصفقون ٠

لقد حاول العدو الانتقام من بورسعيد الباسلة فهاجمها طوال المدة من ٨ حتى ٢٤ أكتوبر بمتوسط ٦٤ طائرة فى اليوم ٠٠ وبلغ اجمالى طائراته التى هاجمت بور سعيد خلال تلك المدة ٩٣٠ طائرة ٠٠ ولكنها لم تستطع بكل ما تحمله من آلاف الأطنان من أسلحة الخراب والدمار أن تنال من روح شعبها البطل ٠٠

واستمرت الحياة كعادتها ، فالمحلات العامة تفتح أبوابها ، وسوق المدينة توفر للمواطنين حاجتهم ، والأطفال يهللون مع كل طائرة تسقط ، وصاح أحدهم يقول لأمه بعد أن شاهد ١٢ طائرة تسقط تباعا ، وتخرج منها المظلات لتحمل طياريها الى اقفاص الأسر ٠٠ « ماما السما بتمطر طيارات وشمباسى » ٠

هكذا سجل التاريخ لقوات الدفاع الجوى صفحة فخار ، اذ نجحت فى تحقيق مهامها ، وشهد العالم بذلك ٠ ويكفى أن نسوق بعض ما قاله الأعداء عنها ٠

لقد قال موسى ديان فى حديث تليفزيونى :

• « ان القوات الجوية الاسرائيلية تخوض معارك مريرة ٠٠ انها حرب ثقيلة بأيامها ٠٠ ثقيلة بدمائها » ٠٠

ونشرت الجيروزاليم بوست نقلا عن أحد قادة القوات الجوية الاسرائيلية :

• « ان الدفاع الجوى المصرى يتمتع بكفاءة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب ، تفوق تلك التى واجهها الأمريكيون فى فيتنام » ••

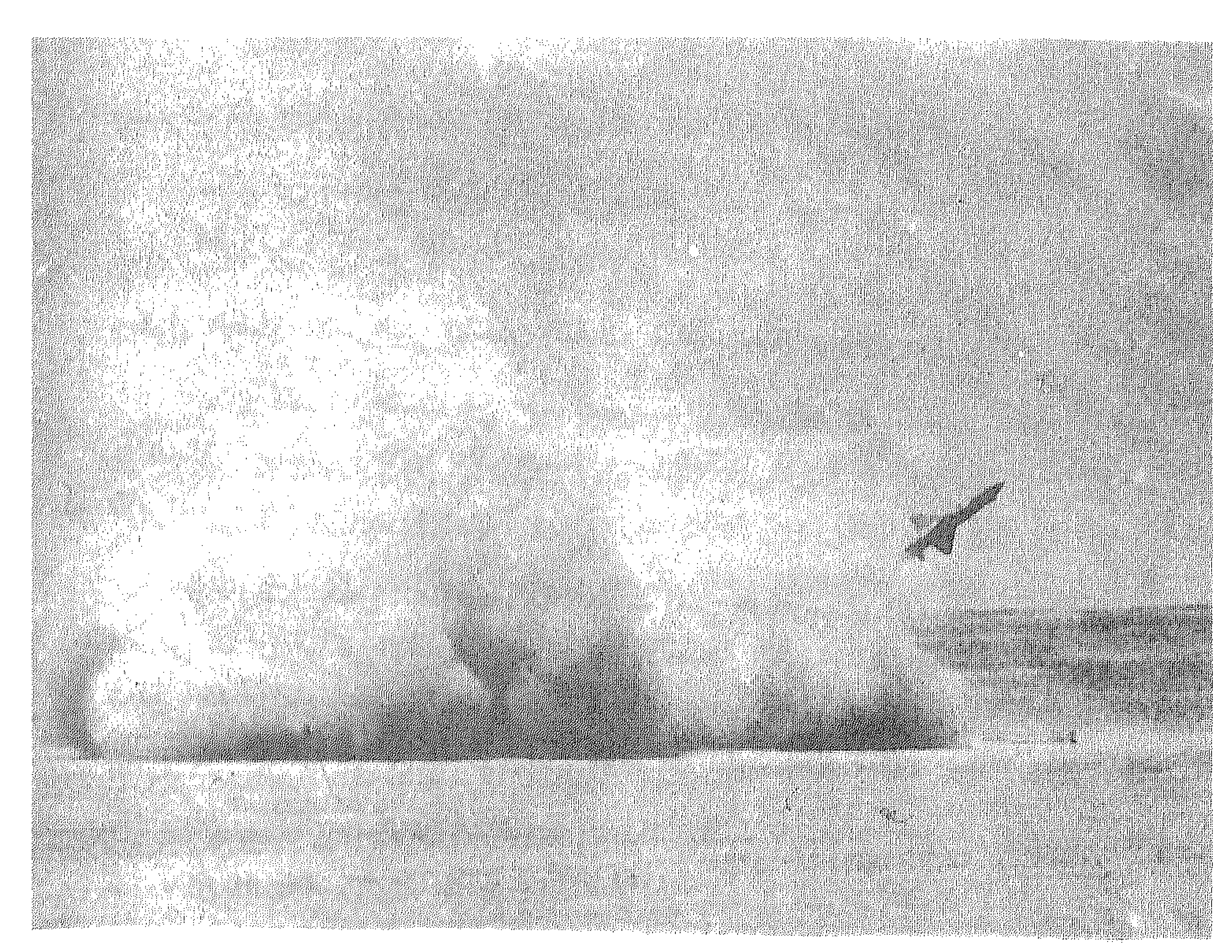
ويقول الطيار الاسرائيلى الأسير النقيب طيار سمحا مردخاى روزين :

• « لقد اندهشت من دقة تصويب المدافع المصرية المضادة للطائرات مما يؤكد أن مستوى رجالها عال جـدا •• والدليل على ذلك كثرة ما أسقطوه من طائراتنا » ••

وحاولت بعض الصحف الأجنبية ـ التى اضطرت الى أن تذكر الحقائق على مضض ـ أن تركز الأضواء على نوعية الأسلحة التى استخدمها دفاعنا الجوى • فعلق أحد مقاتلينا على ذلك بقوله « ان سلاحنا جيد •• والطائرات الفانتوم وسكاى هوك أيضا طائرات ممتازة • وشىء عظيم أن يكون معنا سلاح جيد ، وأن تكون مهرة فى استخدامه » ••

ان السلاح كالآلة الموسيقية •• من يحسن العزف عليـه يخرج أعـذب الألحان •• وقد استطاع مقاتلو الدفاع الجوى أن يعزفوا سيمفونية ، ان لم تكن رائعة ، فهى على الأقل متقنة •• وان شابها بعض النغم الحزين فلأنها كتبت بدماء الشـهداء •

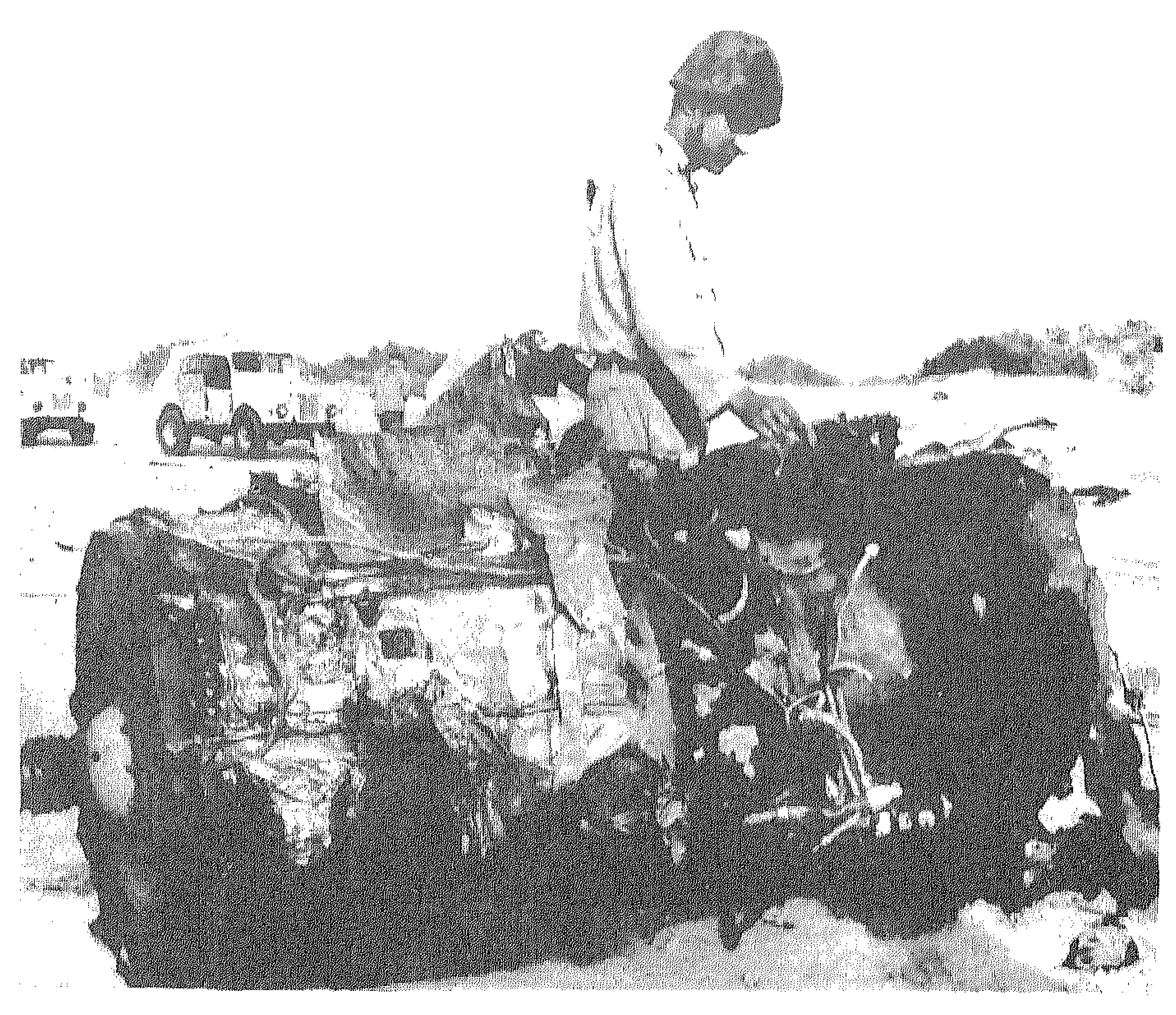
ولكن النتيجة النهائية هى أن ذراع إسرائيل الطويلة قد بترها مقاتلو دفاعنا الجوى البواسل .. وتلك حقيقة ناصعة ، هدمت أهم ركائز الأمن القومى الإسرائيلى فوق رأس مؤسستها العسكرية المقهورة.



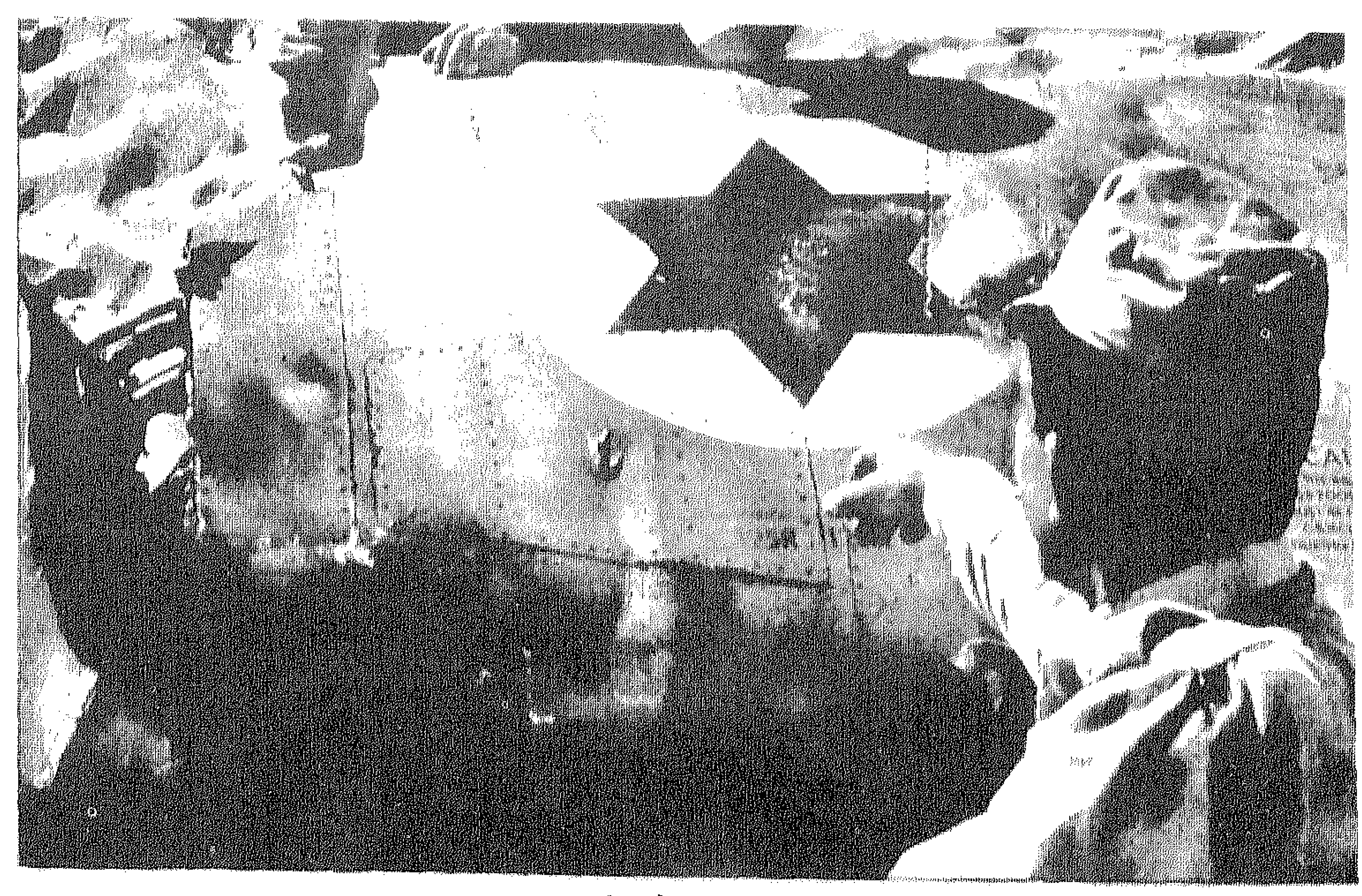
« .. وامتدت الذراع الطويلة فى ثقة وجبروت »



« .. وتهاوت الطائرات الاسرائيلية محترقة »



« .. وسقطت النجمة السداسية الزرقاء ..



.. وتحطمت الأسطورة »

الفصل الثاني

فوق السحاب

فوق السحاب

القوات الجوية

◆ لم يسبق لطيارينا البواسل أن خاضوا حربا جوية حقيقية مع اسرائيل ، اذ باغت العدو طائراتهم وهى جاثمة على الأرض فى الجولتين السابقتين فدمرها .. مساء فى خريف ١٩٥٦ بواسطة الكانبيرا البريطانية والميراج الفرنسية بالوكالة عن اسرائيل ، وصباحا فى صيف ١٩٦٧ بالقوات الجوية الاسرائيلية بالأصالة عن نفسها ..

وكانت قواتنا البرية والبحرية أثر كل ضربة مفاجئة مركزة للعدو تجد نفسها وقد تعرت من غطائها الجوى فى مسرح الحرب المكشوف ، وصارت فى وضع بالغ الشدة والحرج ..

أما فى حرب رمضان ، فقد دارت الأمور بصورة مختلفة تماما عما سبق ، اذ نشط القتال الجوى منذ اللحظة الأولى للحرب حتى لحظتها الأخيرة .. فالعملية الهجومية الاستراتيجية « بـدر » قد استهلت نشاطها القتالى بتوجيه ضربة جوية مركزة مفاجئة للعدو ، أعقبها قتال جوى عنيف ، استمر على أعلى درجات النشاط ، حتى حققت قواتنا الجوية العملاقة كل مهام القتال المحددة لها ، وخرجت بعد كل هذا الجهد الرائع وذلك الانجاز العظيم قوية الجانب واسعة الخبرة عالية الكفاءة شديدة الايمان بعون الله وتوفيقه ..

وكان خلف هذا النجاح الكبير عمل دؤوب بدأه الرجال باصرار وهمة بمجرد أن خمدت النيران فى مطاراتهم بانتهاء الجولة الثالثة الكئيبة ٠

ونشط الاعداد لزيادة عدد الطيارين ، وكانت عملية شاقة طويلة ، استغرقت فى المتوسط بين خمس وست سنوات ، قابلها جهد آخر لايقل عنها عناء ومشقة ، لزيادة عدد الفنيين والمهندسين والمهنيين فى القوات الجوية ، الذين يوكل اليهم جميعا أمر اعداد واصلاح الطائرات ٠٠ وكانت هى أيضا عملية شاقة طويلة ، استغرقت نفس الوقت الطويل مثل عملية اعداد الطيارين سواء بسواء ٠٠

وبدأ الاعداد لانشاء شبكة هائلة من المطارات فى كافة أرجاء مصر ، لتستوعب الأعداد الكبيرة من الطائرات والطيارين ، وتنهض بالمهام الخطيرة والكثيرة التى سوف توكل الى القوات الجوية فى الحرب القادمة ٠

وكان الدرس الأول من نكسة ١٩٦٧ هو ضرورة وقاية الطائرات فى المطارات ، ولذلك تم اقامة العدد الكافى من الدشم الخرسانية المتينة فى كل مطار وقاعدة جوية ٠٠ وبفضلها ، وبفضل الدفاع الجوى اليقظ ، والحماية الجوية بالمقاتلات لم تصب لنا طائرة واحدة فى حرب رمضان وهى جاثمة على الأرض ٠٠ ولم تكن الطائرة تستغرق أكثر من دقيقتين لتغادر دشمتها وتحلق فى السماء نحو هدفها ٠٠ وتسبب ذلك فى حيرة العدو ودهشته ٠٠ ثم هزيمته ٠٠

وكان الدرس الثانى من النكسة هو ضرورة تدريب القادة على تقدير الموقف السليم ، واتخاذ القرار الحكيم ، وفرض السيطرة الحاذقة ، ولهذا الغرض عقدت مشاريع كثيرة ، وأجريت دراسات عديدة ، وأوفدت بعثات للخارج ، وتمت أبحاث فى الداخل ، أثمرت كلها فى تزويد قواتنا المسلحة بنوعية ممتازة من القادة المحنكين الأكفاء ٠٠

وجرت كل تلك الأعمال والانجازات التى استنفذت الجهد الجهيد ، والعرق الغزير ، تحت ظروف بالغة القسوة ، فالقتال لم يخبو له أوار ، وحرب الاستنزاف تبتلع قسطا من الجهود والامكانيات ٠٠ والنكسة قد خلفت آثارها ٠٠ كل ذلك والعمل يسير بسرعة نحو الهدف المنشود ٠٠

ثم حصد العرب الثمرة فى حرب رمضان ٠٠ اذ أسهمت قواتنا الجوية بالنصيب الأوفى فى تحقيق النصر ، وبترت ذراع اسرائيل الطويلة ، وأخرست لسانها السليط ، وحطمت أسطورتها ٠٠

استهلت العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » أعمال القتال بالضربة الجوية المركزة المفاجئة ، فى تخطيط رائع بين الجبهتين المصرية والسورية ، وتنسيق دقيق مع باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة العربية ..

وقامت تشكيلاتنا الجوية بقوة ٢٠٠ طلعة طائرة قتال بالانطلاق شرقا فى توقيت واحد ، نحو أهدافها المنتخبة بحذق ومهارة بالغة .. لكل تشكيل جوى هدفه الذى يتعين عليه أن يدمره ، وأهدافه التبادلية للطوارىء .. ولكل تشكيل جوى وجهته المحددة ، وسرعته وارتفاعه ، وللجميع هدف واحد ، هو الحاق الدمار بالعدو حيثما كان وأينما يصير ..

- مطارات المليز وتمادا ورأس نصرانى تحولت الى حطام .
- عشرة مواقع صواريخ أرض جو طراز هوك صارت هباء .
- موقعا مدفعية بعيدة المدى حاق بهما الدمار .
- ثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وانذار صمتت الى الأبد .
- محطتا أم خشيب وأم مرجم للاعاقة والشوشرة فى سيناء امستا شعلة من النيران .
- ثلاثة مناطق شئون ادارية راحت على العدو .
- النقطة القوية شرق بور فؤاد سحقها طيارونا البواسل ..

واستمرت المقاتلات القاذفة تضرب بشدة لتحقق السيطرة الجوية ، فتقصف مطارات العدو فى سيناء وأجهزة الرادار ومواقع الهوك ، طيلة فترة العمليات ، وانجزت فى هذا السبيل حوالى ٣٠٠ طلعة طائرة ..

ومع فجر السابع من أكتوبر تصدت المقاتلات لهجمات العدو الجوية ضد مطاراتنا ، واشتبكت معها فى معارك جوية دارت أعنفها قاطبة على امتداد أيام ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ اكتوبر ، فى شمال الدلتا ، حيث كان العدو يدفع فى كل هجمة من ٦٠ الى ٧٠ طائرة ، وأمكن لمقاتلاتنا فى تعاون رائع مع دفاعنا الجوى ان تصيب وتدمر الكثير منها ، وان تمنعها تماما من تحقيق أى هدف لها ، بما اجبرها على التخلص من قنابلها وصواريخها فى الحقول ، فيما خلا بضع طائرات قليلة ، كانت تتسلل نحو المطارات فتصيب احدها اصابات تافهة لا تستغرق عملية اصلاحها الا ساعات قليلة ..

وجدير بالذكر أن العدو ـ خلال المدة من ٧ حتى ٢٠ أكتوبر ـ قد حاول مهاجمة عشرة مطارات مصرية فقط هى القطامية والمنصورة والصالحية وطنطا وشبراخيت وجناكليس وقويسنا وأبو حماد وبنى سويف وبير عريضة •

وكانت أول محاولة للعدو يوم ٧ أكتوبر هى أبرزها ، اذ حاول فيها مهاجمة سبعة مطارات •• وبعد ذلك قلل من حجم مجهوده الجوى ضد المطارات ، فأصبح يهاجمها بمعدل ١ ـ ٤ مطار فى اليوم ، وذلك بعد أن تيقن من فشل ذلك الأسلوب فى اخراج القوات الجوية المصرية من المعركة ••

وعلى الرغم من مهاجمة مطار القطامية مثلا ست مرات بعدد ١٦٦ طلعة/طائرة ، ومهاجمة مطار المنصورة خمسة مرات بعدد ٦٦ طلعة/طائرة الا أن هذين المطارين ظلا يعملان بكفاءة تامة طوال المعركة •

وتوقف العدو تماما عن مهاجمة مطاراتنا اعتبارا من يوم ٢١ أكتوبر ••

واستمرت قواتنا الجوية على مدى ٢٢ يوم قتال نشط تؤدى مهمة الحماية الجوية بكفاءة هى مضرب الأمثال ، وجسارة مرجعها شهامة الرجال •• ومع تطور الجيب المعادى غرب القناة ، اشتعل القتال الجوى الى منتهاه ، وشهدت منطقة السويس وفايد أعنف المعارك الجوية ، التى اشترك فيها من كل جانب ما يربو على السبعين طائرة مقاتلة ، فى تلاحم ونضال مميت ، استمر فى بعض الأحيان ساعة كاملة وأكثر ••

وبلغ اجمالى عدد المعارك حوالى الخمسين معركة جوية ، منها ثمانية معارك كبيرة سوف تدخل سجل الخلود فى تاريخ قواتنا الجوية المظفرة ، التى أسقطت للعدو خلالها فوق شمال الدلتا وبورسعيد وفايد والسويس ما يقرب من ٩٠ طائرة ••

ويشهد بذلك أحد طيارى العدو الأسرى الملازم أول آفى حاييم الكالاى فيقول « اننى أعتقد أن سلاح الطيران المصرى أصبح على أعلى مستوى ، ولم أكن أتوقع أن تقوم الطائرات المصرية بمهاجمة طائراتنا • وقد شاهدت معركة جوية بين الطائرات الاسرائيلية والمصرية أسقط فيها ثلاث طائرات فانتوم ، وسيطرت الطائرات المصرية على المعركة » •

ومنذ صباح السابع من أكتوبر وقواتنا الجوية تضرب احتياطيات العدو التعبوية بلا هوادة ، وتلحق به طوال أيام القتال التالية أفدح الخسائر فى الدبابات والمعدات والأسلحة والأفراد ٠

وكانت أسراب المقاتلات القاذفة من طراز السوخوى والميج ١٧ والميج ٢١ تحقق أرقاما قياسية فى معدلات اصابة وتدمير الأهداف المعادية ، وقد أنجزت فيما بينها ما ينيف على الألف طلعة طائرة ٠٠

وعن المعاونة الجوية المباشرة للجيشين الميدانيين ، فقد تمت بكفاءة نادرة وتنسيق فعال منذ أن بدأ القتال عصر السادس من أكتوبر ، حتى صمتت النيران الى حين ظهر الثامن والعشرون منه ٠٠ وقد أنجزت القوات الجوية حوالى ثلاثة آلاف طلعة طائرة فى هذا السبيل ٠٠

وعن الاقتحام الجــوى الرأسى فى حرب رمضــان ، فقد انبرت طائرات الهليكوبتر المصرية تؤدى مهمة ابرار وحدات الصاعقة فى عمق سيناء جنوبا وشمالا ، بما أذهل العدو وأربكه وشل حركته وعرقل مناوراته وامداداته ٠ واستمرت الهليكوبتر طيلة أيام القتال تمد وحدات الصاعقة بلوازمها حتى تواصل الحرب ليلا ونهارا فى أشق الظروف وأحفلها بالخطر ٠

وعن قاذفاتنا فقد انطلقت من قواعدها تصب الدمار على أهدافها المنتخبة ، وتلقى مئات الأطنان من القنابل المهلكة على مطارات سدر والطور ، وتبيد وتشتت تجمعات العدو المدرعة وقواته الميكانيكية التى تسللت نحو الدفرزوار ، وتحطم معابره ومراكز قياداته ٠٠

هذا عدا الدور الكبير للقاذفات فى حماية أهدافنا السياسية والاقتصادية من غدر العدو ، بوقوفها على أهبة الاستعداد لردعه اذ ما سولت له نفسه أن يقصف أهدافنا المدنية فى أى وقت ٠٠ خاصة وقد حسم الرئيس السادات الأمر بتأكيده قبل المعركة أن ٠٠ السن بالسن ، والعمق بالعمق ، والنابالم بالنابالم ٠٠

ونفذت تشكيلات الاستطلاع الجوى قبل وأثناء وبعد الحرب الكثير من المهام الناجحة لصالح القوات المسلحة ، وكان لها عميم الفائدة فى ملاحقة أعمال العدو المضادة واحباطها ، وكشف خططه ومناوراته أولا بأول ، وسرعة القضاء عليها ٠٠

وحقق الفنيون والمهندسون أعلى درجات الكفاءة والمهارة فى أداء الواجب المنوط بهم ، فاحتفظوا بنسبة صلاحية الطائرات فى أعلى درجاتها ونجحوا فى

اتمام أعمال اعادة ملء الطائرات بالوقود والذخيرة والقنابل فى ما لا يزيد عن ست دقائق .. ولم يملؤوا الدنيا ضجيجا لتلك الأرقام المذهلة ، كما ملأتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ، عندما حققت رقما نادت بأنه الاعجاز الذى لا يجارى .. وكان مجرد ٧٪ دقيقة .. لم يملأ رجالنا الدنيا ضجيجا لأنهم كانوا على ثقة أنه الواجب .. مجرد الواجب .

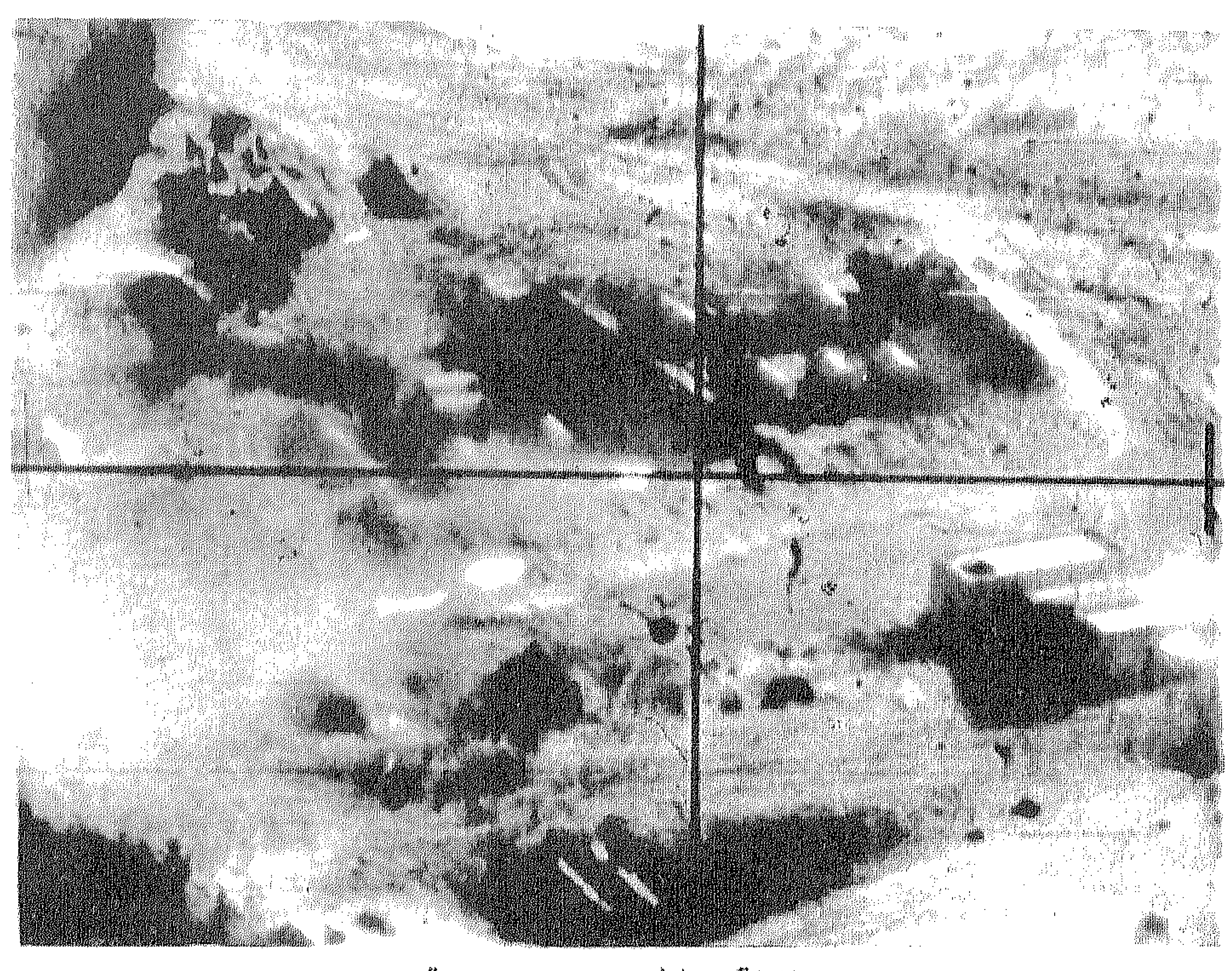
وهكذا استمرت قواتنا الجوية تنفذ مهامها بنجاح طوال أيام الحرب مما شكل تهديدا مباشرا لأهداف العدو فى سيناء المحتلة وفى عمق أراضيه . ومما يدل على شدة خشيته من طائراتنا ونسورنا أنه خصص حوالى نصف طلعات طائراته القتالية للقيام بمهام المظلات الجوية فوق سيناء ـ فقد وجه لذلك ٤٠٩٨ طلعة طائرة قتال من اجمالى طلعاته القتالية على الجبهة المصرية ، والتى بلغت ١٠٣٢٢ خلال المدة من ٦ ـ ٢٢ أكتوبر .

على هذا النحو قاتل رجال قواتنا الجوية فى حرب رمضان فصالوا وجالوا فوق السحاب ، وأنجزوا المهام الجسيمة ، وحققوا الهدف المنشود ، وصدق فيهم قوله سبحانه وتعالى .. " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " .. فكانوا أصدق المؤمنين ..

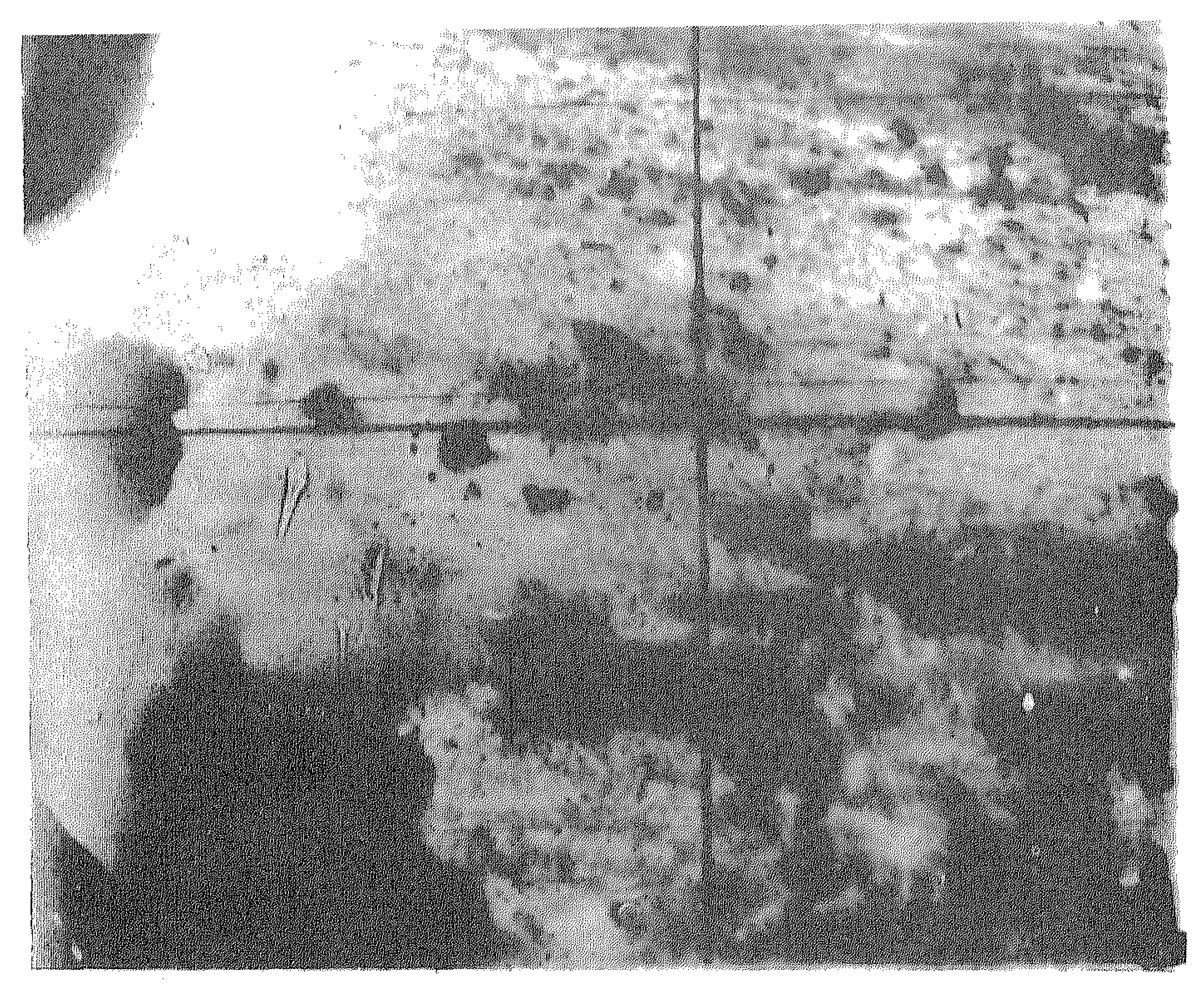


« .. وكان هدف الطيارين النصر أو الشهادة »

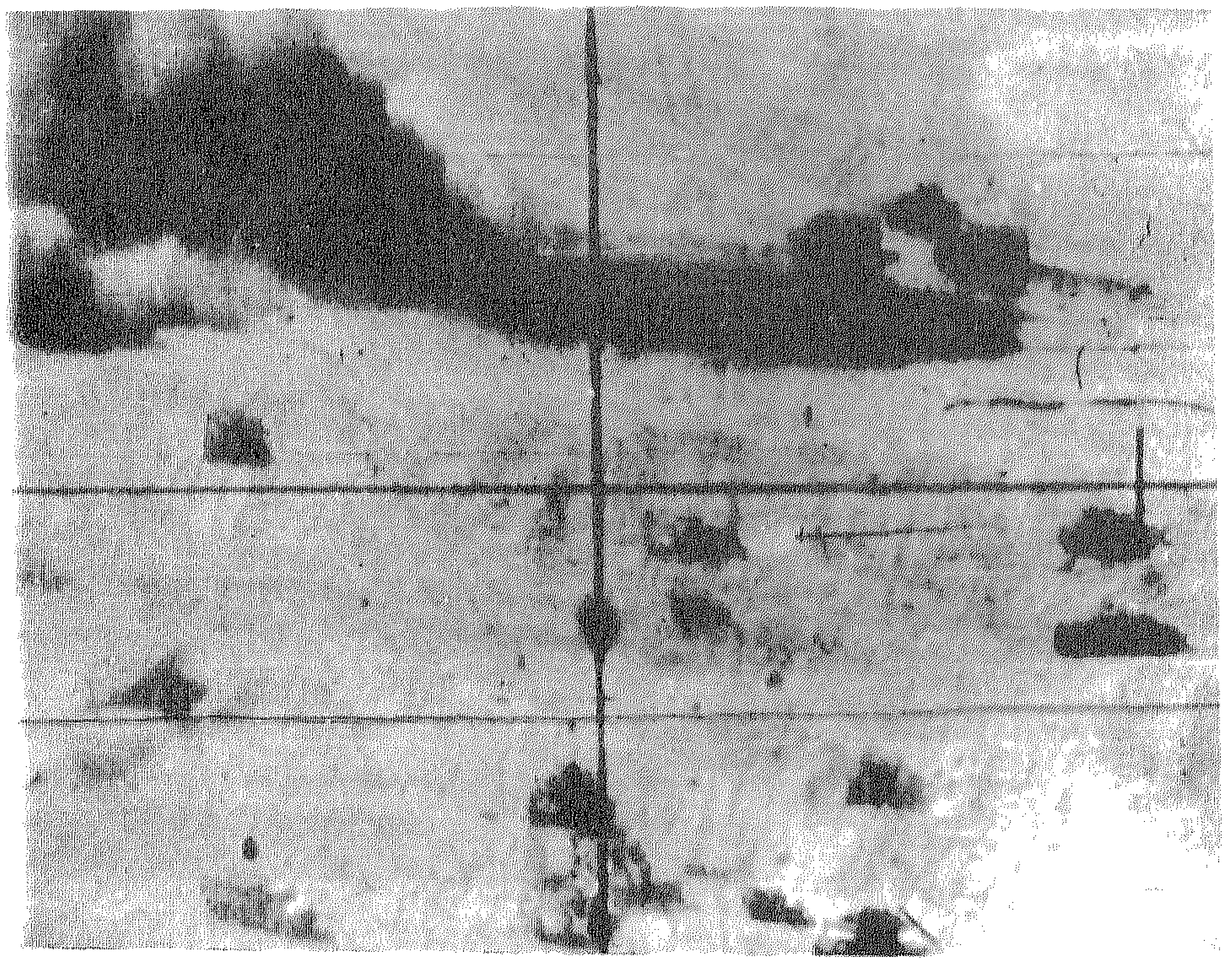
« .. وهاجمت الطائرات المصرية ثلاث مطارات للعدو ..



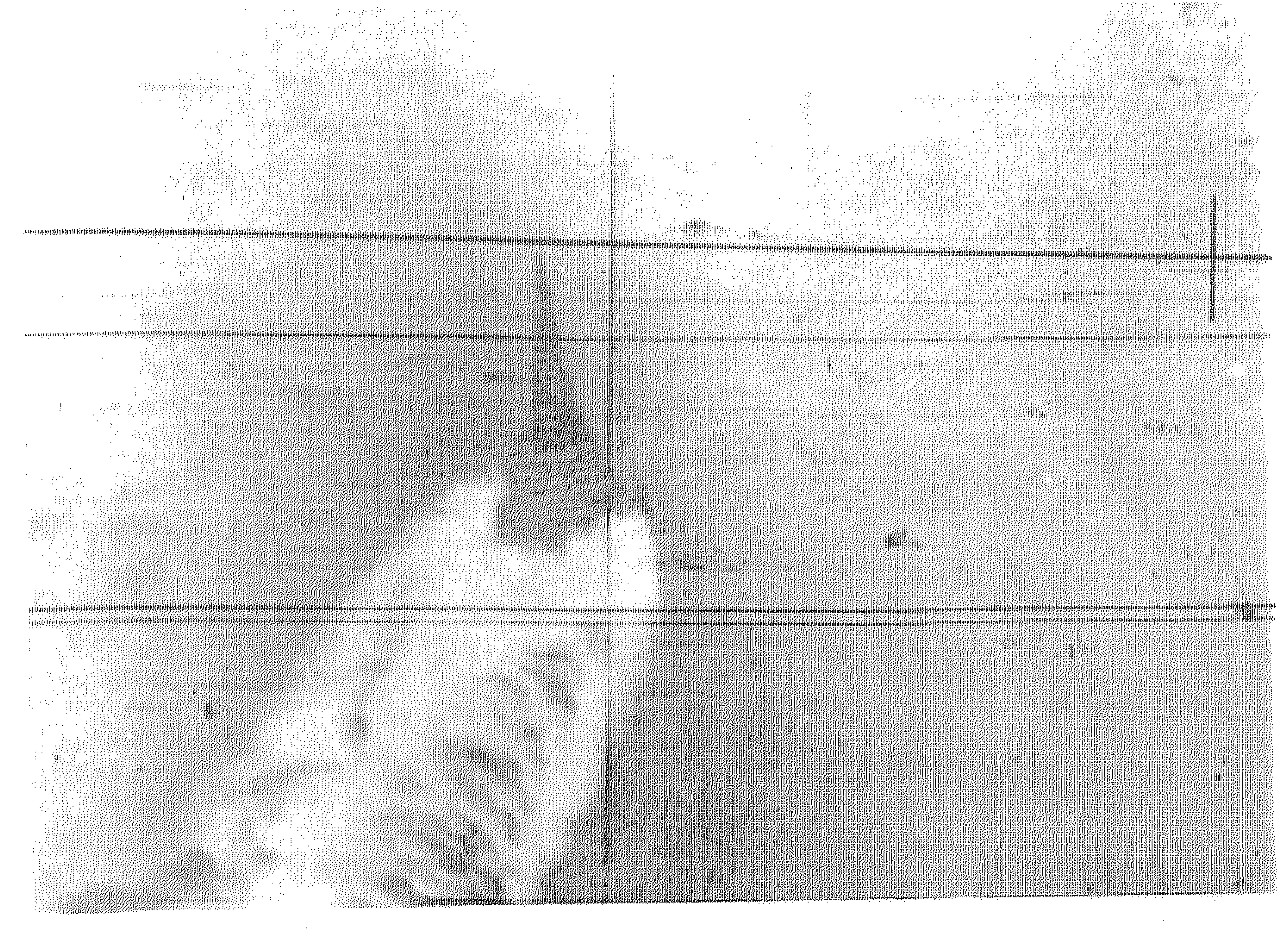
.. وثلاثة مناطق شئون ادارية ..



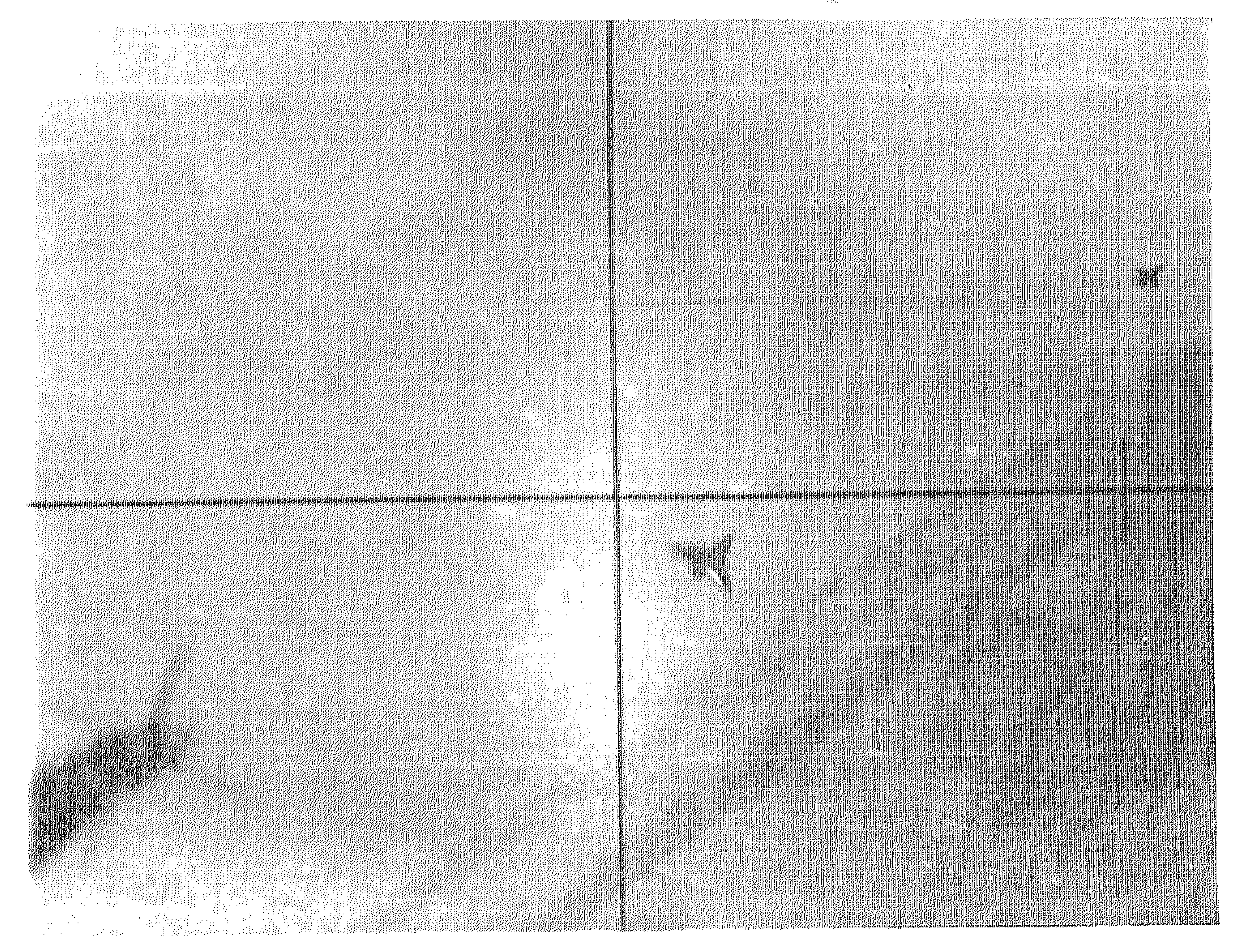
.. ومواقع مدفعية ..



.. ومناطق تجمع قوات العدو »



« .. وأسقطت قواتنا الجوية ٩٠ طائرة معادية فى معارك جوية »



طائرة اسرائيلية فى كمين جوى

الفصل الثالث

المضيق و المندب

المضيق والمندب

القوات البحرية

◆ بين مضيق شرم الشيخ جنوب خليج العقبة وباب المندب جنوب البحر الأحمر حطمت قواتنا البحرية كل افتراءات اسرائيل عن لزوم احتلالها مدخل خليج العقبة ، ثم كشفتها للملأ ، وأثبتت زيف هذه الافتراءات . ولو كان هذا انجازها الوحيد فى حرب رمضان لكفاها .. ولكنها استمرت شديدة النشاط وافرة الانجاز طوال الحرب .. ويرجع الفضل فى ذلك الى التطور الكبير الذى حققته قواتنا البحرية بعد جولة يونيو ١٩٦٧ تنظيما وتسليحا وتدريبا ، فعلى الاتجاه التعبوى للبحر الأحمر أصبحت تسيطر بقاعدة البحر الأحمر البحرية ، وعلى الاتجاه التعبوى للبحر المتوسط أصبحت تسيطر بقاعدتى الاسكندرية وبور سعيد ..

وصــارت كل قاعدة بحرية مسئولة تماما بما لديها من قوات وقــدرات أن تؤمن نطاقها التعبوى ، وأن تمنع العدو من الاقتراب من الأهداف الســاحلية فى منطقة عملياتها ..

أما فى مجالات التسليح فقد ركزت قواتنا البحرية كل جهودها للنهوض بالوحدات البحرية الخفيفة ، وزيادة عدد لنشات الصواريخ والطوربيد واللنشات المجهزة بصواريخ غير موجهة للضرب على أهداف العدو الساحلية • ومع بداية حرب رمضان كانت تملك قوات صاعقة بحرية وضفادع بشرية مزودة بأحدث أسلحة العصر •

واختبرت القوات البحرية جنود الصاعقة فى عمليات متعددة ، فكانوا أول من عبر القناة بعد يونيو ١٩٦٧ لاحضار عينات من أسلحة اسرائيل ، ثم كانوا دائما ضمن القوات التى عبرت القناة عام ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ •• فأحضروا الأسرى وبثوا الكمائن وزرعوا الألغام على طرق التحرك ، وشنوا الاغارات المتعددة على نقط العدو الحصينة ، التى كان أبرزها مهاجمة وتدمير قلعة الجباسات جنوب بور توفيق •

وأحست اسرائيل بخطورة قواتنا البحرية واتقانها صنعة الحرب عقب اغراقها المدمرة ايلات بالصواريخ البحرية فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ فأعلنت عن استراتيجية جديدة للبحرية الاسرائيلية تعمل فى عدة اتجاهات :

- أولا : دعم اللنشات الحديثة السريعة ، وتسليحها بالصواريخ جابرييل ، وهى اللنشات التى عرفت باسم « سعر »•••
- ثانياً : الاعتماد على الصناعة الاسرائيلية فى توفير الكثير من المعدات البحرية المتطورة ، وقد صنعت اسرائيل فعلا الصاروخ جابرييل •
- ثالثاً : شراء غواصات جديدة من انجلترا تناسب مواصفاتها القتالية عملياتها البحرية المقبلة •
- رابعاً : تطوير الضفادع البشرية تدريبا وتسليحا ••
- خامساً : تخصيص طائرات للعمل مع قواتها البحرية ، سواء لأغراض الاستطلاع أو الحماية الجوية أو ضرب تجمعات قواتنا فى البحر أو انقاذ قواتها التى قد تصاب خلال المعارك البحرية •• وقد ركزت فى هذا المجال على طائرات الهليكوبتر ، والقاذفات المقاتلة والمقاتلات •

لقد أوكل الى قواتنا البحرية مهام كثيرة فيما بين الجولتين الثالثة والرابعة ، اذ كانت مطالبة بتدمير قوات العدو البحرية أينما وجدت ، وتحطيم أهداف العدو

الساحلية ، والتى قد تعمل ضد قواتنا أثناء العملية الهجومية المرتقبة للجيوش الميدانيــة ٠

ولعل أبرز الواجبات التى وقع على قواتنا البحرية عبء انجازها حمــاية خطوط مواصلاتنا البحرية ، وحرمان العدو من الاستفادة من مواصلاته البحرية ٠

وكلنا يعلم كيف تعتمد الدول كثيرا على حجم الامدادات البحرية التى تصلها عن طريق البحر ، ذلك لأن النقل الجوى محدود جدا وباهظ التكاليف ، كما أن حجم المطالب الاستراتيجية التى يمكنه نقلها بسيط اذ ما قورن بقدرات النقل البحرى غــير المحدود ٠ ولنقارن بين ما تحمله ناقلة بترول متوسطة حمولتهــا ٠٠٠ر٤٠ طن ، فى رحلة واحدة ، وعدد الطائرات التى تستطيع نقل نفس الحمولة جوا ، لنلمس البون الشاسع بين القدرتين ٠

وبالاضافة الى ما سبق من مهام فقد كان واجباً على قواعدنا البحرية حماية سواحلنا وفرض سيادتنا البحرية على مياهنا الاقليمية ٠

الموقف البحرى قبل يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣

كانت وحدات العدو البحرية تتمركز فى مينائى أشدود وحيفا على البحر المتوسط ، وايلات وشرم الشيخ ومراسى خليج السويس ــ رأس سدر وأبو رديس ــ على البحر الأحمر ٠

أما وحداتنا البحرية فقد تمركزت فى نطاق القواعد البحرية فى الاسكندرية وبور سعيد وسفاجا والغردقة ٠٠ وبمقارنة قواتنا البحرية بقوات العدو يتضح تفوقنا على العدو فى المدمرات والغواصات ووحدات بث وكسح الألغام ، بينما يتفوق العدو علينا نسبيا فى لنشات الصواريخ والقدرة على تخصيص مجهــود جوى أكبر لمعاونة قواته البحرية ٠ وكذلك يتفوق العدو فى طائرات الهليكوبتر التى تعمل مع قواته البحرية ٠

ويتميز مسرح العمليات البحرى باتساعه الكبير على طول سواحلنا التى تبلغ ١٦٠٠ كيلومتر على البحرين المتوسط والأحمر ، بينما لاتتجاوز سواحل العدو على البحر المتوسط ٤٠٠ كيلو متر فقط ٠ ومن الواضح أنه نظرا لوضع اسرائيل السياسى والجغرافى فان خطوط مواصلاتها البحرية على وجه الخصوص تعتبــر الشريان الرئيسى الذى يكفل استمرار المحافظة على اقتصادها وامدادها بالمــواد ذات الطبيعة الاقتصادية والعسكرية ٠٠

وفى أوائل شهر أكتوبر ١٩٧٣ أعلن عن تنفيذ المناورة السنوية لقواتنا البحرية التى تجرى كل عام فى نفس هذا الموعد باعتبارها جزءا هاما من المناورة الكبرى للقوات المسلحة • وأعلن أن الغرض منها « كالعادة » هو الاختبار العملى لنتائج التدريب بمناسبة انتهاء السنة التدريبية •

وفى هدوء وصمت تحركت غواصاتنا فى البحر المتوسط الى مناطق محددة لها وهى تحمل مظاريف مقفلة بين طياتها السر العظيم الذى يحدد لقائد الغواصة مهمته القتالية • وكان على هؤلاء القادة ألا يفتحوا المظاريف الا بأوامر خاصة سوف تصدر لهم فى اللحظة المناسبة •

وتحركت غواصات البحر الأحمر تحت ستار اجراء بعض الاصلاحات الضرورية فى أحد موانى الباكستان ، وكان قد تم الاتفاق عليها مسبقا مع السلطات البحرية لهذه الدولة الصديقة •

أما مدمراتنا فقد تمركزت واحدة منها بميناء طرابلس فى زيارة رسمية لجمهورية ليبيا الشقيقة ، وتحركت مدمرات البحر الأحمر الى منطقة عملياتها عند باب المندب فى أقصى الطرف الجنوبى للبحر الأحمر ، وتم كل ذلك تحت ستار اجراء زيارة ودية لدول المنطقة •

وفى الوقت المناسب تماما تم شحن واعداد الصواريخ البحرية بحر / بحر وهى سلاح القوات البحرية الفعال • ونظرا لما يلازم شحن الصواريخ من تعقيدات فنية كثيرة فلقد حسبت تلك الفترة بدقة متناهية بحيث تكون كل لنشات الصواريخ جاهزة للقتال ومحملة بالصواريخ قبل بدء العمليات •

أما الألغام فقد تم اعدادها باعتبار أن ذلك من متطلبات التدريب ، وضمن الاستخدام الفعلى لخطة المناورة • ولم يكن أحد يدرى الا قائد القوات البحرية وبعض الضباط القلائل بالقيادة البحرية بكل تلك الأسرار •

وفتحت المدفعية الساحلية تحت جنح الظلام وفى سرية مطلقة • على زعم تنفيذ مناورة تقليدية ، واتخذت مواقعها القتالية استعدادا لليوم المرتقب •

ثم بدأت الحرب البحرية..

كانت الخطة مبنية على أساس التعامل مع العدو على جبهة عريضة فى البحرين المتوسط والأحمر ، مع التركيز على استخدام أقصى الجهود

القتالية للوحدات البحرية خلال الساعات والأيام الأولى للعمليات ، بغرض استغلال عامل المفاجأة والاستفادة منه الى أقصى حد ممكن ، وكذلك لتثبيت مجهود العدو وارباك قياداته ٠

وبمجرد اندلاع القتال يوم ٦ أكتوبر اشتركت فيه بكل ثقلها المدمرات والغواصات والمدفعية الساحلية ولنشات الصواريخ والطوربيد ووحدات الصاعقة البحرية والضفادع البشرية ٠

فقامت سرايا المدفعية الساحلية في بور سعيد بقصف القلعة الحصينة شرق بور فؤاد ، والحصن المنيع عند الكيلو متر ١٠ جنوب بور فؤاد ٠

وقام سرب من اللنشات المسلحة بصواريخ غير موجهة بانزال ضربة صاروخية مركزة على تجمعات العدو فى رمانة ٠ ثم قام لنش آخر مسلح بنفس الصواريخ بضرب مرسى للعدو ٠٠ في رأس برون على البحر المتوسط ٠

وفى البحر الأحمر قامت سرايا المدفعية الساحلية بمعاونة الجيش الثالث ، وقصف مناطق العدو فى مواجهتها ٠ وقام سرب من لنشات الصواريخ المتمركز فى سفاجة بقصف أهداف العدو فى شرم الشيخ ٠

وفى نفس الوقت أنزلنا ضربة صاروخية بالصواريخ غير الموجهة ضد منطقة رأس سدر ٠ وكانت الحرائق والانفجارات تدوى على سواحل العدو فى البحرين المتوسط والأحمر ٠

واستمرت العمليات البحرية طوال أيام حرب رمضان بنفس معدل نشاطها للضغط على العدو وتكبيده خسائر فادحة ٠

ومع غروب شمس كل يوم كانت تبدأ العمليات الليلية ٠

ففى ليلة ٨/٧ خرج أحد تشكيلاتنا الصاروخية من قاعدة بور سعيد للمرور بغرض اكتشاف وتدمير أى وحدات بحرية معادية تقترب من منطقة رمانة بالذات ٠

وفى حوالى الساعة ٠٣٣٥ اكتشف هذا التشكيل هدفا بحريا متوسط الحجم ، ودارت معركة بحرية انتهت حوالى الساعة ٠٤٣٠ باغراق الوحدة الاسرائيلية وعودة تشكيلنا سالما الى قواعده ٠٠

أما فى البحر الأحمر فكان صيد غواصاتنا فيه وفيرا ، اذ بينما هى تغلق البحر عند منتصفه قرب بور سودان فى وجه الملاحة الاسرائيلية تظهر أمامها سفينة اسرائيلية ، كانت قد دخلت هذا البحر قبل السادس من أكتوبر ، وتمر أمام غواصة لم تجد صعوبة فى اصابتها بطوربيدين من عيار ٢١ بوصة ، فجنحت السفينة على جانبها الأيمن ، واستمرت تميل حتى انقطعت أخبارها ٠

وبعد هذا الحدث ، وحتى انتهاء الحرب ، والملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر متوقفة تماما ٠٠ فلم تعبر هذا البحر المحاط بدول عربية من جميع الجهات سفينة اسرائيلية واحدة ٠

وفى نفس هذه الليلة قامت الضفادع البشرية باغارة ناجحة على مرسى ثلمت حيث يتمركز حفار يعمل لصالح اسرائيل ، فلم تجد ضفادعنا صعوبة فى تلغيم الحفار وتعطيله عن العمل تماما ٠

ولن ينسى الأسطول الاسرائيلى أبدا ليلتى ٩/٨ و ١٦/١٥ أكتوبر ١٩٧٣ فخلال هاتين الليلتين دارت المعركتان العظيمتان بين لنشات الصواريخ المصرية من جهة وبين لنشات سعر الاسرائيلية من جهة أخرى ٠٠

فقد رصدنا فى المعركة الأولى (٩/٨) وحدات العدو بمجرد أن غادرت ميناء عتليت الساعة ١٣٣٠ تقريبا ، وظلت أجهزة الاستطلاع المصرية تتابع تحركات تشكيل العدو بينما لنشات صواريخنا تعد له كمينا بحريا فى مكان منتخب بعناية بالغة ٠٠ لقد قدرت القوات البحرية مكان المعركة لتدور بين دمياط والبرلس ٠ وكان تشكيل العدو مكونا من ثلاث مجموعات كل من ثلاث وحدات ، واستمر تدفق المعلومات عن العدو لمركز قيادة التشكيل البحرى المصرى ٠

وبمجرد دخول وحدات العدو فى مدى صواريخنا أصدر قائد التشكيل أوامره بالاشتباك ، وهكذا دار أول تراشق فى التاريخ الحديث بالصواريخ الموجهة بحر ـ بحر ٠

وبفضل طول مدى صواريخنا عن صواريخ العدو ، ودقة أجهزة توجيه الصواريخ وأجهزة الاكتشاف فاجأت صواريخنا العدو وهو مازال متخذا تشكيل الابحار ، وأطلق التشكيل المصرى صواريخه الموجهة فأصابت أهدافها بدقة متناهية ، وما هى الا لحظات معدودة حتى كانت أربع قطع من تشكيل العدو البحرى تأخذ طريقها الى القاع ٠٠

وعبر الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة فى برقيته الى قائد اللواء الثـانى لنشات الصواريخ عن شكر وتقدير جميع أفراد القوات المسلحة ، بل وكل المواطنين « الذين تابعوا بالاهتمام والاعزاز نتائج المعركة التى أضافت الى رصيد قواتنا البحرية نصرا جديرا بالتسجيل والاشادة » ••

أما معركة ١٦/١٥ فكانت جد مختلفة ، اذ غادر فى تلك الليلة سرب من لنشات الصواريخ المصرية الاسكندرية تحت جنح الظلام فى سرعة بطيئة حتى لا يكتشفه العدو • وكلفت القيادة هذا السرب بالانتظار فى مرسى أبى قير حيث يتم توجيه ضربة صاروخية ضد أى أهداف تقترب من المنطقة بين رشيد وأبى قير أو تحاول الاقتراب من الاسكندرية من جهة الشرق •

وحوالى الساعة ٠١٢٣ يوم ١٦ أكتوبر غير التشكيل البحرى المصرى خط سيره ليدخل مرسى أبى قير ويربط خلف جزيرة دسوقى ، ولكن قبل الاستقبال وفى الساعة ٠١٢٧ اكتشف التشكيل هدفين بحريين فتوجه للاشتباك معهما • وقبل اطلاق الصواريخ ظهر هدفان جديدان فصاروا أربعة تعمل فى مجموعتين يفصلهما حوالى أربعة أميال بحرية •

وفى الساعة ٠١٣٥ أطلق التشكيل المصرى صواريخه على لنشات العدو كما أطلقت الصواريخ الساحلية نيرانها على نفس التشكيل • وفى برهة وجيزة كان لنشان من الأربعة يغرقان ، أما الثالث فقد أصيب وشحط امام رشيد ، ولم يبق من هذه المجموعة المعادية الا لنش واحد •

وفى فجر يوم ١٦ أكتـوبر كانت طائراتنا تهاجم اللنش المصاب لتتم الاجهاز عليه •

وتمكنت عناصر استطلاعنا البحرى من الحصول على صاروخ جابرييل كامل تقريبا من حطام ذلك اللنش • وقامت عناصرنا الفنية بدراسته لكشف حقيقة تلك الهالة التى أحاطت اسرائيل بها ذلك الصاروخ • وبعد الدراسة اتضح أن الصاروخ جابرييل مجمع من مكونات فرنسية وايطالية ، وبه بعض الاضافات الاسرائيلية البسيطة ، كما ظهر أيضا أنه أقل كفاءة بكثير من الصواريخ السوفيتية الموجودة فى تسليح القوات البحرية المصرية ، سواء من حيث تأثير الرأس المدمرة أو المدى أو كفاءة التوجيه •

وكانت عملياتنا البحرية لعرقلة خطوط مواصلات العـدو البحرية مؤثرة للغاية • ولعل أهم نتائج الحرب البحرية فى جولة أكتـوبر ١٩٧٣ أنه قد ثبت

لاسرائيل بما لا يدع مجالا للشك أن خطوط مواصلاتها البحرية مهددة اذا استمرت ترفض السلام القائم على العدل • وان مبررات اسرائيل فى التمسك بمنطقة شرم الشيخ واهية مثل خيط العنكبوت •

فمع بداية العمليات أصدرت وزارة خارجيتنا فى الساعة ١٦٠٠ يوم ٦ أكتوبر اعلانا بتحديد منطقة معينة تعتبر الملاحة الدولية خطرا فيها لكونها منطقة عمليات بحرية ، وناشدت جميع الدول اخطار سفنها بالابتعاد عن تلك المنطقة حرصا على سلامتها ، وكذلك أعلنت وزارة الخارجية السورية نفس الأمر بالنسبة لمنطقة عمليات البحرية السورية •

وخلال فترة العمليات أغرقت غواصاتنا فى البحر الأبيض المتوسط سفينتين للعدو ، كما أصابت غواصات البحر الأحمر سفينة أخرى كما سبق ذكره •• يحتمل أن تكون قد غرقت فيما بعد •

وطبيعى ألا تعلن اسرائيل عن خسائرها هذه حتى لا تبث الذعر بين بحارة أسطولها التجارى ، فمعظمهم أجانب من دول أخرى ••

وعند باب المندب ، باشرت المدمرات حق الزيارة والتفتيش واعتراض السفن التجارية ، وقد بدأ هذا النشاط مع بداية العمليات ، واستمر حتى نهايتها •

وفى مدخل خليج السويس ، وحتى نحرم العدو من نهب حقول البترول فى بلاعيم ، زرعنا الألغام وصرنا نكثفها بصفة مستمرة ، فغرقت للعدو سفينة بترول ضخمة حمولتها ٤٦ ألف طن هى السفينة سيروس ، علاوة على سفينة أخرى حمولتها ٢٠٠٠ طن •

لقد نجح سلاح الألغام البحرية فى أن يلقى على كاهل العدو عبئا ثقيلا لأنه لم يكن يملك سفنا لكسح هذه الألغام ولا خبرة أو فنا فى طريقة كسحها •

وكانت عمليات قواتنا البحرية لقطع خطوط مواصلات العدو البحرية مؤثرة للغاية • فمن بين ٢٠٠ سفينة كانت تدخل موانى اسرائيل من البحر المتوسط شهريا انخفض العدد فيما بين ٦ ، ٣٠ أكتوبر ليصبح ٢٣ سفينة فقط • أما فى البحر الأحمر فكان القطع تاما ، اذ لم نترك سفينة اسرائيلية واحدة تخرج أو تدخل الى ميناء ايلات طيلة الحرب • وقد قرأ الجميع على صفحات الجرائد آثار قفل باب المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية •

وعن الصاعقة البحرية فقد كان سجلها حافلا بالنشاط ، اذ أغارت الضفادع البشرية ليلة ٨/٧ أكتوبر على مرسى بلاعيم ، ونسف حفار البترول المتمركز فيها •

وفى ليلة ١٠/٩ أغارت فصيلة من الصاعقة البحرية على منطقة ابو دربه على خليج السويس ، وقامت بتلغيم مفارق الطرق ، ونسف مستودعات البترول الموجودة فى هذه المنطقة •

وفى ليلة ١٦/١٥ تمت عملية اغارة ناجحة بواسطة الصاعقة البحرية على منطقة الشيخ بيتان جنوب الطور •

وحاول العدو دون جدوى أن يغير بوحدات من الكوماندوز على قواعدنا البحرية ، اذ دمرنا له فى الغردقة قارب مطاط بطاقمه من الضفادع البشرية شرق جزيرة جيفتون بالبحر الأحمر صباح يوم ١٢ أكتوبر •

وفى ليلة ١٢/١١ أكتوبر حاول العدو القيام بعملية اغارة بقواته الخاصة على مرسى السادات والأدبية ولكنه فشل فى الوصول الى البر ، ودمرنا له لنشاً مسلحاً طراز دبور علاوة على عدد من القوارب المطاط المحملة بالكوماندوز •

وفى ليلة ١٧/١٦ حاول العدو الاغارة بواسطة الضفادع البشرية على قاعدة بور سعيد وكنا له بالمرصاد فأصبنا له قارب مطاط غرق قبل الوصول الى الميناء ، وتم تدمير مجموعة الضفادع البشرية المعادية بالميناء ، وانتشلت جثث أفرادها •

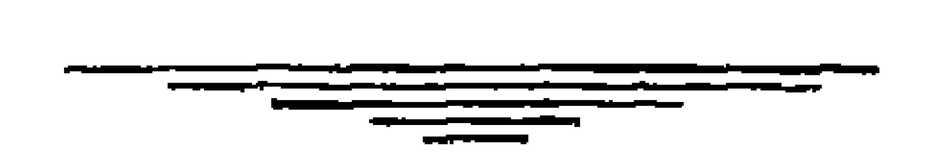
وعندما أيقن العدو من فشله فى مواجهة قواتنا البحرية أو التصدى لها ركز أعماله العدائية ضد سفن الصيد المصرية المدنية ، فهاجم مجموعة من بلنصات الصيد فى مرسى رأس غارب فى البحر الأحمر ، وذلك فى ليلة ١٥/١٤ أكتوبر •

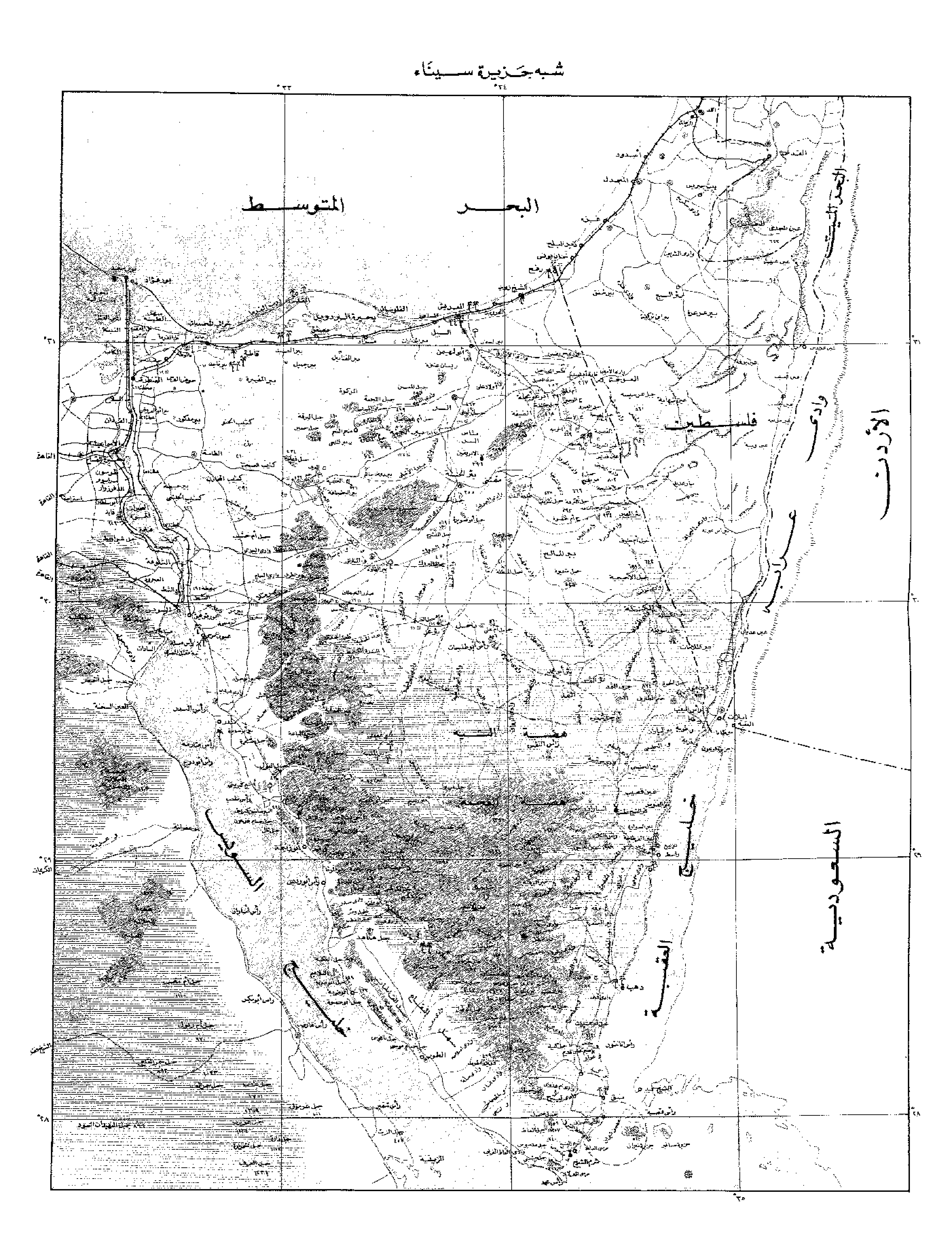
وكان من أهم أسباب نجاح قواتنا البحرية الاستطلاع الدقيق والتنسيق الوثيق بين القوات البحرية المصرية والقوات البحرية السورية مما أدى الى حرمان العدو من مفاجأة البحرية المصرية أو السورية طوال مدة العمليات •

وأخيرا ، يظهر كشف حساب القوات البحرية المصرية فى حرب رمضان ومنه نجد أنها قد خاضت أربع معارك رئيسية بالصواريخ البحرية ، وقصفت اثنى عشر هدفا ساحليا للعدو ، وأغرقت خمس سفن (منها ناقلتى بترول) ، وصدت بنجاح تسع هجمات بحرية للعدو ضد سواحلنا ، ونفذت أربع عمليات خاصة ••

وبذا أغرقت بحريتنا للعدو تسعة وعشرين قطعة بحرية من أنواع مختلفة ، منها سبعة لنشات صواريخ ، وناقلة مجهزة لحمل طائرات الهليكوبتر ، وناقلة بترول متوسطة وأخرى صغيرة ، وثلاث سفن ·· كما أصابت سبع قطع أخرى ، وأسقطت للعدو اثنى عشرة طائرة هليكوبتر ··

وكان ذلك سجل فخار لقواتنا البحرية العريقة.




شبه جزيرة سيناء
البحر المتوسط
فلسطين
الأردن
وادي عربة
البحر الميت
السعودية
خليج العقبة
خليج السويس
هضبة التيه
هضبة العجمة

الباب السادس

حرب المائة يوم



PEACE CONFERENCE
ON THE MIDDLE EAST

PCME/2
23 December 1973
Original: ENGLISH

مرحلة الصراع السياسى

من ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ إلى ٢٥ يناير ١٩٧٤

Statement by the Secretary-General of the United Nations summing up the conclusions of the Peace Conference on the Middle-East about the future work of the Conference:

"After both formal and informal deliberations the Conference reached a consensus to continue its work through the setting up of a Military working group, as well as other working groups which the Conference may wish to establish. The Military Working Group will start discussing forthwith the question of disengagement of forces. The working groups will report their findings and recommendations to the Conference, which is continuing on an ambassadorial level. The Conference at the Foreign Ministers level will reconvene in Geneva as needed in the light of developments."

◆ ان الجهود السياسية التى بدأت أثناء القتال وفى أعقاب توقفه ، فى محاولات متعاقبة ومكثفة لتهدئة الموقف وتهيئة المناخ المناسب لحل الأزمة سياسيا ، عـام هذه الجهود لم تبدأ من فراغ ولكنها كانت انعكاسا طبيعيا وضروريا لحقائق الموقف العسكرى فى جبهتى القناة والجولان ، والموقف السياسى العام

وليس ثمة شك فى أن اسرائيل كانت حتى ذلك الوقت قد منيت بخسائر فادحة ، وأن قواتها المسلحة فقدت توازنها وفاعليتها ، وأنه لولا التدخل الأمريكى السريع ، وأعمال الانقاذ العاجلة ، لانهارت القوات المسلحة الاسرائيلية بعد اليوم العاشر من القتال ، واستحال عليها مواصلة الحرب •

وهكذا تمكنت المساعدات العسكرية الأمريكية العاجلة من انعاش القـوات المسلحة الاسرائيلية ، وتزويدها بالقدرة على الاستمرار والحركة ، وقد استغلت القيادة الاسرائيلية ذلك فى مقامرة لقلب ميزان الموقف العسكرى ، بعملية فتح ثغرة الدفرزوار ، لدفع قواتها غرب قناة السويس •

ومع تطور المقامرة الاسرائيلية كان الموقف الاستراتيجي للقوات الاسرائيلية يزداد سوءا ، اذ أصبحت هذه القوات شديدة التعرض لخطر الانشطار والعزل ، مما أدى الى خلق موقف يتسم باختلال الاتزان الاستراتيجي ، فضلا عن الامتداد الكبير لخطوط المواصلات الاسرائيلية المعرضة ، ونجاح القوات المصرية فى الغرب فى احتواء الجيب الاسرائيلى بعملية حشد سريعة ومكثفة • وضعت القوات الاسرائيلية المحصورة داخله فى موقف شديد الحرج والخطر ، وجعلت من عنق الزجاجة الذى حدث فى منطقة الدفرزوار شريان الحياة الوحيد • فاذا ما انقطع أو أغلق انحصرت القوات الموجودة غرب القناة ، وامتنعت عنها أسباب الحياة •

ولقد ادركت رئاسة الأركان العامة وقيادة المنطقة الجنوبية الاسرائيلية هذه المخاطر منذ البداية ، وحاولت أن تضع حدا لها ، غير أن طموح الجنرال أرييل شارون ـ قائد هذه القوات ـ وقف حائلا دون ايقاف تدهور الموقف الاستراتيجى العام للقوات المسلحة الاسرائيلية •

واضطرت القيادة الاسرائيليــة أن تركز كل جهودها ، وما تحت يدها من امكانيات وقدرات لحماية وتأمين قواتها المعرضة للابادة فى أية لحظة داخل مصيدة الموت •

وفى نفس الوقت كانت القوات المسلحة المصرية ـ رغم خسائرها ـ تقف فى الشرق والغرب قوية متماسكة ، قادرة على مواصلة القتال العنيف ، كما كانت الصورة الجديدة للجندى المصرى كمقاتل كفء قادر على استخدام أحدث الأسلحة بمهارة ماثلة أمام أعين القادة الاسرائيليين • لذلك كان لزاما عليهم ألا يقنعوا بعلاج الموقف عسكريا ، اذ أن المزيد من التورط العسكرى لن يحسّن الموقف ، بل قد يزيده سوءا •

وهكذا أصبح العمل السياسى ضرورة لا غنى عنها لتهدئة الموقف بالسـعى الى ايقاف القتال ، وفرض وقف اطلاق النيران •

وكان الالتزام الأمريكى بضمان أمن وسلامة اسرائيل ـ والذى يمثل خطا استراتيجيا رئيسيا فى السياسة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط ـ بمثابة منطلق العمل الأمريكى فى هذا المجال •

ولهذا سارع الرئيس نيكسون بتخصيص مبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار لتوفير الدعم العسكرى السريع لاسرائيل دون انتظار موافقة الكونجرس الأمريكى ،

كما سارع بفتح مستودعات الأسلحة الأمريكية الحديثة فى مختلف أنحاء العالم لتتدفق منهـا الأسلحة والمعدات فى شـكل جسر جوى وبحرى غزير يصب فى اسرائيل ، مستخدما أراضى وسماء عدد من الدول ، دون انتظار الاذن منها •

وفى نفس الوقت أرسلت الولايات المتحدة عددا كبيرا من المتطوعين للعمل على الأجهزة الالكترونية المعقدة التى وصلت اسرائيل وغيرها من المعدات التى يصعب تحديد حجمها أو نوعها حتى اليوم ، وان اتفق دون شك ، أنها كانت فعالة ، وأنها شاركت بقدر كبير فى استعادة القوات المسلحة الاسرائيلية لتوازنها ، ولكثير من قدراتها المفقودة •

****

تطورات الموقف السياسى

وفى خضم الأحداث العسكرية التى كانت تتوالى خلال فترة الحرب ، راح الموقف السياسى العالمى يتطور بدوره تطورا جذريا فى صالح العرب ، حيث تعاظم التأييد السياسى لوجهة نظرهم فى أنحاء العالم •

ولعل أبرز معالم هذا التطور وأهم سماته ، ما حدث على المستوى الأفريقى من قطع معظم دول هذه القارة علاقاتها السياسية والاقتصادية باسرائيل ، وادانتها بالعدوان ، وتحميلها مسئولية الأحداث التى كانت تدور وقتئذ فى الشرق الأوسط •

لقد بلغ عدد الدول الأفريقية التى قطعت علاقتها باسرائيل خلال فترة الحرب ٢٢ دولة • بينما كانت هنـاك ٨ دول أفريقية أخرى سبق أن قطعت علاقتها معها منـذ عدوان ١٩٦٧ ، وبذلك لم يبق لاسرائيـل علاقات سوى مع ٤ دول أفريقية ، بالاضافة الى جنوب أفريقيا •

وأعلنت معظم الدول أن استمرار احتـلال اسرائيل للأراضى العربيـة ، وتعنتها المستمر طوال السنوات التى أعقبت عدوانها عام ١٩٦٧ ، هما السبب الرئيسى فى نشوب الحرب هذه المرة ، وتعريض السلام العالمى للخطر •

وهكذا وجدت اسرائيـل نفسها فى عزلة سياسية كاملة ولم يبـق بين دول العالم أجمع من يقف بجوارها ويقدم لها المساعدات الفعالة سوى الولايات

المتحدة الأمريكية ، التى كانت مضطرة لاتخاذ هذا الموقف تنفيذا لالتزامتها وحفاظا على خطها الاستراتيجى المرسوم لأسلوب عملها فى منطقة الشرق الأوسط ٠

ولم يقتصر تطور الموقف السياسى على تحقيق العزلة الكاملة لاسرائيل ، بل وفى نفس الوقت ، كان لاشتعال الحرب العربية الاسرائيلية فعل السحر فى توحيد كلمة العرب ، ووقوفهم صفا واحدا خلف مصر وسوريا ، ومشاركتهم الفعالة بالمال والسلاح والقوات ، فى القتال الدائر بالمنطقة ٠

وكان لهذا الموقف العربى العظيم أثره الفعال فى تقييم دول العالم لحجم الصراع الدائر ، وفى اعادة النظر فى مواقفهم السابقة من القضية ٠ واستبان للعرب أجمع ما تحققه لهم وحدة الكلمة ، كما استبان للعالم ان وحدة العرب التى خالها مجرد كلمة جوفاء ، يمكن أن تتحول فى لحظات الى حقيقة واقعة وسلاح باتر ، يفرض تأثيره على المنطقة ، بل ويمكن أن يمتد الى كافة أنحاء العـالم ٠ وهو ما حدث فعلا عندما أصر العرب على استخدام كل الأسلحة المتاحة لهم فى مواجهة العدوان ، وممارسة الضغط على من يؤيدون العدوان ويساندون المعتدين ٠

وجاءت الخطوة العربية الحاسمة فى شكل اعلان من وزراء البترول العرب صدر يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ بتخفيض انتاج البترول بنسبة ٥٪ كل شهر ، الى أن تنسحب اسرائيل من الأراضى العربية ، وتعود حقوق شعب فلسطين ٠

وكان لهذا القـرار دوى هائل فى العـالم ، وشكّل دون شك الانطلاقة الرئيسية لمرحلة الصراع السياسى فى ادارة الحرب العربية وكفاحنا الضارى ضد الصهيونية ، ضمن اطار عـام من الاستراتيجية الشاملة ، التى تنظم وتوجه كافة القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية لخدمة هذا الصراع وتحقيق أهدافه العادلة ، التى تركزت فى المبدأين الأساسيين : بشأن استعادة كافة الأراضى العربية المحتلة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين ٠

وقد ازداد تأثير هـذا القرار فاعلية وعمقا عندما أعلنت الدول العربيـة المنتجة للبترول تباعاً فيما بين ١٨ و ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ قراراتها بوقف تصدير البترول الى الولايات المتحدة الأمريكية والدول المؤيدة لاسرائيل ٠

وفى الساعة ٠٦٥٠ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ بتوقيت القاهرة صدر قرار مجلس الأمـن رقم ٣٣٨ الخاص بايقاف اطلاق النـيران فى الشرق الأوسط ، وتضمن ما يلى :

- مطالبة جميع الأطراف المشتركة فى القتـال الدائر بوقف اطلاق النيران ، وانهاء جميع الأنشطة العسكرية فورا ، ليس متأخرا عن ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار ، فى كافة المواقع التى يحتلونها الآن •

- دعوة الأطراف المعنية ، للبدء فورا ـ بعد وقف اطلاق النيران ـ فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه •

٣. البدء فورا مع وقف اطـلاق النيران بعقد المفاوضات بين الأطراف المعنية ، وتحت اشراف مناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط •

وقد وافقت كل من مصر واسرائيل على تنفيذ القرار فى الموعد المحدد ، وهو الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأعلنتا ذلك • كما التزمت مصر باحترام كلمتها وتنفيذ القرار ، فأصدرت القيادة العامة أوامرها الى جميع القوات باحترام قرار وقف اطلاق النيران ، وتنفيذه بكل دقة فى الموعد المحدد •

غير أن اسرائيل نقضت تعهداتها ، فلم تلتزم بالقـرار ، وأمرت قواتها بالاندفاع جنوبا فى اتجاه السويس ، وبهذا خرقت قرار مجلس الأمن ، قبل أن يمضى على تنفيذه بضع ساعات • ومن المعروف أن اسرائيل قد اعتادت ذلك التصرف كلما حزبها الأمر ، لتخرج من أى مأزق استراتيجى خطير تجد نفسها قد تورطت فيه ، واليك الآتى :

١. كانت المساحة التى شغلتها القـوات الاسرائيلية غرب القناة حتى ٢٢ أكتـوبر محدودة للغاية ، اذ لم تتجاوز المنطقة بين الدفرزوار وفايد ، وكان تمركز القوات الاسرائيلية داخل هذه المساحة الصغيرة يعرضها للوقوع فى مصيدة القوات المصرية •

٢. ومن ناحية أخرى فان توقف القـوات الاسرائيلية على خطوط ٢٢ أكتوبر لا يحقق لهذه القوات أية مزايا استراتيجية ، كما أنه لايؤثر فى موقف القـوات المصرية شرق القنـاة ، أو فى خطوط امدادها ومواصلاتها ، ولذلك فهو موقف عديم القيمة الاستراتيجية •

وبادراك القيادة الاسرائيلية كل ذلك ، انتهزت فرصة ايقاف النار ـ الذى أعلنت عن قبوله وشيكا ـ فدفعت بقواتها جنوبا فى اتجاه السويس ، ليلة ٢٣/٢٢ أكتوبر ، ضاربة بالقرار عرض الحائط •

وكان هذا العمل الغادر الذى يعكس نمط الانتهازية اللا أخلاقية المترسب فى الذات الاسرائيلية ـ أثره فى الموقف العسكرى ٠

وأطلقت الأركان العامة قواتها الجوية بكثافة عالية ضد الجيش الثالث شرق القناة على امتداد أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ أكتوبر ، وضد مدينة السويس كذلك ٠

وكان الغرض من وراء هذا العدوان بالدرجة الأولى تحقيق كسب سياسى معنوى ذى دوى يغطى على الموقف الاستراتيجى السىء ، وذلك بالاستيلاء على مدينة السويس ذات الشهرة العالمية لارتباطها بالقناة ٠

ولكن القوات الاسرائيلية فشلت فى تحقيق هذا الهدف ، وخسرت الكثير من قواتها ومدرعاتها التى حاولت اقتحام المدينة ٠

كما كان الغرض بالدرجة الثانية من هذا العدوان تحقيق كسب عسكرى كبير ، وذلك بحصار قوات الجيش الثالث الموجودة شرق القناة ، واجبارها على الاستسلام تحت ضغط الضربات الجوية المركزة ، التى استمرت تنهال عليها بكثافة شديدة عدة أيام ٠

واذا كانت القوات الاسرائيلية قد نجحت فى قطع خطوط الامداد لهذه القوات فانها لم تحقق هدفها الرئيسى ، وهو اجبار القوات المصرية المعرضة لضغط الحصار والقصف الجوى على التسليم ٠

لقد حدث العكس تماما ، اذ ازدادت هذه القوات صمودا وتماسكا ، وبدت أشد صلابة فى القتال ٠ وكان استعدادها كاملا لمواصلة الحرب حتى النهاية ٠ ويمكن القول أن هذا الموقف السياسى والعسكرى كان لهما الأثر الكبير على الموفف الاسنراتيجى والسياسى العام فى المنطقة ٠

وفى اليوم التالى لخرق وقف اطلاق النيران ـ يوم ٢٣ أكتوبر ـ سارع مجلس الأمن الى الاجتماع ، وأصدر قراره رقم ٣٣٩ يؤكد قراره السابق بوقف القتال وانهاء جميع العمليات الحربية ، ويطالب بأن تنسحب القوات الى مواقعها التى كانت تحتلها لحظة تنفيذ وقف النيران ٠ كما أوصى المجلس السكرتير العام باتخاذ الاجراءات اللازمة لارسال مراقبى الأمم المتحده فورا لمراقبه التزام قوات اسرائيل وقوات جمهورية مصر العربيه بوقف النيران ٠

ولم تكن اسرائيل قد حققت شيئا يذكر حتى ذلك اليوم ، ولذا استمرت فى تجاهـل قرارات مجلس الأمن ، وواصلت اعتداءاتها العسـكرية فى منطقة السويس رغم تكبدها خسائر جسيمة ٠

واضطر مجلس الأمن للعودة الى الانعقاد يوم ٢٥ أكتوبر ، ليصدر قراره رقم ٣٤٠ بشأن تشكيل قوة طوارىء تابعة للأمم المتحدة ، ونص هذا القرار على ما يلى :

« ان مجلس الأمن ، اذ يشير الى قراريه رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ورقم ٣٣٩ الصادر فى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، يلاحظ بأسـف الانتهاكات المتكررة لوقف اطلاق النار ، ومخالفة القرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ ، كما يلاحظ بقلق ـ استنادا الى تقرير السكرتير العام ـ أن المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة لم يتمكنوا حتى الآن من اتخاذ مواقعهم على جانبى خط وقف اطلاق النيران ٠

- أولا : يطالب بالالتزام بوقف اطلاق النيران الكامل فورا ، وبانسحاب الأطراف المعنيـة الى المواقع التى كانت تحتلهـا فى السـاعة ١٦٥٠ (بتوقيت جرينتش) يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠
- ثانياً : يطلب من السكرتير العام أن يتخذ اجراء فوريا بزيادة عدد المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة على الجانبين ٠
- ثالثاً : يقرر أن يتم فورا انشـاء قوة طوارىء تابعة للأمم المتحدة ، تحت سلطة مجلس الأمن ، ويفوض السكرتير العام سلطة ايفادها على الفور الى المنطقة ، على أن يقدم تقريرا خلال ٢٤ ساعة عن الاجراءات التى اتخذت لهذا الغرض ٠
- رابعاً : يطلب من السكرتير العام أن يقدم الى المجلس تقارير عاجلة ومنتظمة عن حالة تنفيذ هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ ٠
- خامساً : يطالب جميع الدول الأعضاء بتقديم تعاونها الكامل فى تطبيق هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ ٠

وعلى ضوء هذا القرار حدد الدكتور كورت فالدهايم طبيعة عمل قوة الطوارىء الدولية لتكون كالآتى :

١ - الاشراف على تطبيق الفقرة الأولى من قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٠ ، التى تنص على ضرورة اقرار وقف النيران فورا وبصورة كاملة ،

وان على الأطراف المتنازعة أن تعود الى المواقع التى كانت تحتلها يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

٢ أن تبذل القوات قصارى جهدها لتفادى استئناف القتال ٠

٣ أن تتعاون القوات فى نطاق مهامها مع المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة ٠ وقد عهد الى الجنرال الفنلندى أنزيو سيلاسفيو بقيادة قوات الطوارىء الدولية فى المنطقة ٠

الإجتماعات العسكرية

المرحلة الأولى من محادثات الكيلومتر ١٠١

تمت الموافقة يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ على عقد اجتماعات عسكرية بين الجيشين المصرى والاسرائيلى لبحث الموضوعات المترتبة على قرارات وقف النيران ، والمشاكل الناجمة عن خرق اسرائيل لهذه القرارات ٠

واشترطت مصر شرطين أساسيين لعقد هذه الاجتماعات :

١ أن تتم الاجتماعات بغرض مناقشة الجوانب العسكرية المتعلقة بتنفيذ قرارى مجلس الأمن ٣٣٨ و ٣٣٩ الصادرة فى ٢٢ ، ٢٣ أكتوبر ٠

٢ أن تتم الاجتماعات تحت اشراف قوات الطوارىء الدولية ، وتحت علم الأمم المتحدة ٠

وفى الساعة ٠١٤٥ بعد منتصف ليلة ٢٨ أكتوبر عقد الاجتماع الأول فى منطقة الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة ـ السويس ، واستمر الاجتماع حتى الساعة الرابعة صباحا ٠

وقد ركز الجانب الاسرائيلى على عدة نقاط كان أهمها : ضرورة المحافظة على وقف النيران ، وترتيب تبادل أسرى الحرب ، وفك الحصار المصرى عن باب المندب ٠

كما حاول الجانب الاسرائيلى منذ البداية أن يتفادى الالتزام بتنفيذ قرار مجلس الأمن القاضى بالعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ كان واضحا لها أن الالتزام بتنفيذ هذا القرار يعنى بالضرورة عودة قواتها الى الموقع الاستراتيجى السيىء الذى كانت عليه فى هذا اليوم ، والذى قامت من أجل تحسينه بخرق وقف

اطلاق النيران • ولذلك سارع الجانب الاسرائيلى بتقديم أفكار أولية عن ترتيبات الفصل بين القوات لتجنب الاحتكاكات العسكرية دون الاشارة الى هذا الالتزام • وبدأ يتحدث عن انسحاب يجريه الجانبان على ضفتى القناة ، على أن تحتل قوات الأمم المتحدة المواقع التى تخليها قوات الجانبين •

أما الجانب المصرى فقد ركز على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ ، الذى ينص على عودة القوات الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وازالة الآثار المترتبة على خرق اسرائيل للقرار رقم ٣٣٨ ، وذلك كمنطلق لحل جميع المسائل الأخرى • غير أن الجانب الاسرائيلى ـ أعلن أنه غير مفوض لبحث تنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بعودة القوات الى مواقع ٢٢ أكتوبر ـ باعتباره موضوعا أساسيا ـ وفى نفس الوقت رفض الجانب المصرى الاقتراح الاسرائيلى الخاص بالانسحاب المتبادل على جانبى القناة •

وخلال الاجتماعات التالية دارت المناقشات حول الموضوعات العاجلة التى يمكن أن تدعم قرار وقف النيران ، وتهىء المناخ المناسب للخطوات التالية • وأبدت اسرائيل اهتماما كبيرا بمسألة تبادل الأسرى ، وخاصة الجرحى منهم • كما اهتمت مصر بموضوع امداد منطقة السويس وشرق القناة بمواد الاعاشة والرعاية الطبية وتنظيم ذلك بشكل مناسب •

كما أوضح الجانب المصرى أنه مع اهتمامه بالاجراءات العاجلة اللازمة لدعم وقف النيران الا أن ذلك يعتبر موضوعا فرعيا ، وأكد أن الاجراءات الفعالة يجب أن تتضمن تمركز قوات الأمم المتحدة بين القوات ، والانسحاب الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ •

غير أن الجنرال أهارون ياريف دفع بأنه مع رغبة اسرائيل الحقيقية فى فض الاشتباك بين القوات ، الا أن العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ تعتبر مستحيلة من وجهة نظر اسرائيل ، وأنه من الضرورى أن يتم الانتقال الى خطوط جديدة فى شكل « خطوة كبيرة » ، وأعاد طرح اقتراحه السابق الخاص بالانسحاب المتبادل •

وكان رأى مصر واضحا ومحددا تماما بشأن رفض الارتداد المصرى عن أية مناطق شرق القناة ، أو التنازل عن أية مكاسب عسكرية •

ومع سير المناقشات كان واضحا خلال هذه المرحلة عدم جدية اسرائيل فى حل مسألة فض الاشتباك ، أو قبول العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر • وأن دخولها

هذه المباحثات كان بغرض المساومة للوصول الى حل لمشاكلها العسكرية التى تمثل ضغطا داخليا عليها ، وخاصة موضوع أسرى الحرب ٠

ومع استمرار اصرار الجانب المصرى على العودة للموضوعات الرئيسية وقرارات مجلس الأمن ، ظهر واضحا أن المباحثات سوف تنتهى الى طريق مسدود ، وخاصة حين طالب الوفد المصرى فى اجتماع ٣ نوفمبر بضرورة تقديم ردود محددة من اسرائيل على هذه الموضوعات الرئيسية ٠ ثم تأجلت الاجتماعات حتى تصل هذه الردود ٠

وفى نفس الوقت بدأ المستر جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يجرى اتصالات عاجلة بغرض انقاذ المباحثات من الفشل الذى بات يلوح فى الأفق القريب ٠

وفى ٨ نوفمبر ١٩٧٣ طلب الجانب الاسرائيلى عقد اجتماع مع الجانب المصرى ، وأوضح أن موضوع فض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر هو موضوع أساسى ومحل دراسة جادة من الحكومة الاسرائيلية تمهيدا لمناقشته ٠ كما طرحت للمناقشة المسائل الخاصة بامداد السويس باحتياجاتها ، وتنظيم تبادل الجرحى والأسرى ٠

وكانت النقاط التى نوقشت فى هذا الاجتماع هى فى الواقع النقاط الأساسية فى الاتفاقية ـ التى عرفت باتفاقية النقاط الست ـ والتى أرسلت بنودها الى السكرتير العام للأمم المتحدة عن طريق الولايات المتحدة حتى يتم توقيعها تحت اشراف الأمم المتحدة ٠

وقد أعلنت الحكومة الأمريكية يوم ٩ نوفمبر أن مصر واسرائيل قد وافقتا على اتفاقية من ست نقاط ، تهدف الى تمهيد الطريق أمام المحادثات للوصول الى تسوية دائمة فى الشرق الأوسط ٠

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع فى الكيلو متر ١٠١ تحت اشراف الأمم المتحدة لتوقيع « اتفاقية النقاط الست » ٠ ووقعها اللواء محمد عبد الغنى الجمسى عن جمهورية مصر العربية ، والجنرال أهارون ياريف عن اسرائيل ، والجنرال أنزيو سيلاسفو عن الأمم المتحدة ٠ وقد تضمنت الاتفاقية النقاط الست التالية :

١ توافق مصر واسرائيل على الالتزام بدقة بوقف اطلاق النيران الذى دعا اليه مجلس الأمن ٠

٢ - يوافق الجانبان على اجراء مناقشات تبدأ فوراً لتسوية مسألة العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، فى اطار اتفاق بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة •

٣ - تتلقى مدينة السويس امدادات يومية من الأطعمة والميـاه والأدوية ويتم اخلاء جميع المدنيين الجرحى من مدينة السويس •

٤ - عدم اعاقة الامدادات غير العسكرية الى الضفة الشرقية لقناة السويس •

٥ - تحل نقاط مراقبة تابعة للأمم المتحدة محل نقاط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة ـ السويس ، وعند نهاية الطريق قرب السويس ، ويستطيع الضباط الاسرائيليون أن يشتركوا مع الأمم المتحدة فى الاشراف على الطبيعة غير العسكرية للشحنات عند ضفة القناة •

٦ - بمجرد اقامة نقاط المراقبة التابعة للأمم المتحدة على طريق القاهرة ـ السويس يتم تبادل جميع أسرى الحرب بما فى ذلك الجرحى •

وقد اعتبرت هذه الاجراءات خطوة أخرى نحو تنفيـذ الفقرة الثالثة من قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، والذى تقدم به كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، ووافق عليه المجلس •

****

اجتماعات عسكرية إضافية

واعتبارا من يوم ١٢ نوفمبـر ١٩٧٣ بدأت سلسلة من الاجتماعات العسكرية لبحث شروط تنفيذ الاتفاقية ، وخاصة الجداول الزمنية لتبادل أسرى الحرب والجرحى ، وتنظيم مرور الامدادات واخلاء جرحى السويس ، وكذا أسـلوب اخلاء طريق القـاهرة ـ السويس وتسليمه لقـوات الأمم المتحـدة •

ثم انتقلت المباحثات بعد ذلك الى دراسة الفقرة الثانيـة من الاتفاقيـة ، والخاصة بفض الاشتباك والفصل بين القوات • وكان واضحا منذ بداية المباحثات أن اسرائيل لاتنوى العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، اذ تعتبر هذه العودة بمثـابة وضع قواتها داخل مصيدة محاصرة بالقوات المصرية من كل جانب •

ولذلك راح الجانب الاسرائيلى يطرح مبادىء عامة عن فض الاشتباك ، واقترح ألا يظهر فض الاشتباك كهزيمة لطرف من الأطراف ، وأن يتم بالتحرك الى خطوط مؤقتة ولكنها مناسبة ، وأنه من الضرورى الاقلال من احتمالات الحرب وذلك بعودة الحياة الطبيعية والنشاط الاجتماعى الى المنطقة • كما تحدث كذلك عن مظاهر السيادة ، وعن ضرورة وجود منطقة عازلة بين قوات الطرفين •

وأجاب الجانب المصرى فاظهر بعض الحقائق الأساسية التى كان من أبرزها : أن الأرض التى دارت عليها المعارك هى أرض مصرية أولا وأخيرا ، وأن الشعب المصرى هو الذى يعانى منذ عام ١٩٦٧ بينما لم تتعرض اسرائيل لأية معاناة • لذلك يجب أن يتم فض الاشتباك بارتداد القوات الاسرائيلية الى خط شرق القناة •

ورغم أن الجنرال ياريف وافق على أن يكون خط الانسحاب شرق القناة ، وأن يتم الانسحاب اليه فى مرحلة واحدة أو مرحلتين ، الا أنه عاد الى طرح مشروعاته القديمة • وكان أولها خاصاً بالانسحاب المتبادل شرق وغرب القناة لمسافة معينة • أما ثانيها فكان خاصا بانسحاب القوات من الأراضى التى استولت عليها ، على أن تحل قوات الأمم المتحدة محلها • وكان الاقتراح الثالث خاصا بسحب قوات الجيش الثالث من الشرق فى مقابل انسحاب قوات اسرائيل من غرب القناة •

ورفضت مصر هذه المشروعات الثلاثة • كما رفضت رفضا قاطعا أى مشروع يقوم على تخلى القوات المصرية عن مواقعها شرق القناة •

وقد لاحظ الجانب المصرى أن المحادثات بدأت تدور فى حلقة مفرغة بسبب مراوغة الجانب الاسرائيلى وتناقضه • فتارة يتحدث عن ضمانات الارتداد ، ومرة يطلب وقتا كافيا لبحث الموضوع ، ثم يعود الى مشروعات قديمة سبق رفضها ، أو يدفع بأنه غير مفوض بمناقشة الخطوط النهائية ، وأن الحكومة فى انتظار نتيجة الانتخابات •

وكان لزاما أن يصر الجانب المصرى على تحديد موقفه ، وأن يحاول دفع الجانب الاسرائيلى لاتخاذ نفس الموقف حتى تسير المباحثات فى اتجاهها الصحيح • ولذلك ركز على النقاط التالية :

١ - انه اذا لم يتم الاتفاق على خط مناسب شرق القناة ، فان اسرائيل ملزمة بتنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بالعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

٢ - ان سير المناقشات بهذا الأسلوب مضيعة للوقت ، وليس من ورائها طائل .

٣ - ان أى خط لا يحقق تامين مدن القناة لايمكن قبوله .

٤ - أنه من الضرورى أن تحدد اسرائيل بوضوح رايها رسميا .

كما طالب الجانب المصرى أن يجيب الجانب الاسرائيـلى على اسئلة محددة بشأن مكان الخط المنتخب ، والوقت اللازم لتنفيذ الانسحاب .

الاجتماع السابع عشر

فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع عشر والأخير على أمل أن يجيب الجانب الاسرائيلى على الأسئلة المحددة . غير أن الجنـرال ياريف لم يقدم الاجابات المطلوبة ، بل أعلن أن حكومته ترفض مناقشة العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، كما أنها لاتوافق على أسس المشروعات التى طرحها الجانب المصرى .

وازاء ذلك أوضح الجانب المصرى أن هذا الموقف الاسرائيلى يهدف الى الوصول بالمباحثات الى طريق مسـدود ، ولذلك طلب وقف الاجتماعات الى أن تحـدد اسرائيل موقفها .

ومن الواضح أن الحكومة الاسرائيلية كانت تسعى الى كسب الوقت ، وعرقلة الوصول الى قرار محدد بشأن فصل القوات فى هذه المرحلة . وقد أدلى المتحدث الرسمى لمصر ببيـان قال فيـه أن مصر قررت وقف مباحثات الكيلو متر ١٠١ نظرا لمراوغة اسرائيل المستمرة فى تنفيذ البند الثانى من اتفاقية النقاط الست ، التى تم توقيعها فى ١١ نوفمبر . كما أعلن أن مصر تحمّل اسرائيل كل النتائج المترتبة على عدم تنفيذها لقرارات مجلس الأمن الأخيرة .

وقد عقدت عشرة اجتماعات لبحث تنفيذ اتفاقية النقاط الست على امتداد ١٨ يوما خلال المدة من ١١ الى ٢٩ نوفمبر ، خصصت السبعة الأخيرة منها لتنفيذ البند الثانى الخاص بفض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

مؤتمر جنيف للسلام ولجنة العمل العسكرية

بينما كانت الحرب فى أوج شدتها والقوات المسلحة المصرية تحرز النصر ، طرح الرئيس محمد أنور السادات اقتراحا فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ أمام مجلس الشعب يدعو فيه الى عقد مؤتمر للسلام يضم الأطراف المعنية ، على أن يكون الهدف منه :

١. التوصل الى حل للأزمة على أساس القرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن عام ١٩٦٧ ، وتحقيق الانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة ، واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .
٢. أن يعقد هذا المؤتمر تحت اشراف الأمم المتحدة .

وبعد اتصالات دولية عديدة أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٨ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، الذى نص على أن يبدأ أطراف النزاع فى تنفيذ القرار ٢٤٢ ، وأن تبدأ المفاوضات تحت الاشراف المناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

وقد تم الاتفاق بعد ذلك على أن تجرى المباحثات فى مدينة جنيف السويسرية ، حيث المقر الأوربى للأمم المتحدة ، على أن ينعقد المؤتمر خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، وتحضره كل من مصر وسوريا والأردن واسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأن يشترك الفلسطينيين فيه فى مرحلة تالية ، وأن يكون دور الأمم المتحدة ووجودها مصونين .

وقد قررت مصر حضور المؤتمر على الأسس التالية :

١. الالتزام بقرار مؤتمر القمة العربى فى الجزائر فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ بأن العمل السياسى يكمل المعركة العسكرية ، ويعتبر استمرارا لها فى كفاح العرب ضد اسرائيل .
٢. صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٣ فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ يحدد دور السكرتير العام وينص على أنه دور أساسى وفعال .
٣. موافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على عقد المؤتمر تحت اشراف الأمم المتحدة ، وتحت الرئاسة المشتركة لكل منهما ، واخطار السكرتير العام بذلك فى ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ ، على أن يتولى الدعوة الى المؤتمر ، ورئاسة مرحلته الافتتاحية .

وانعقد المؤتمر فى ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ ، وحضره كل من مصر والأردن واسرائيل والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، بينما تخلفت سوريا ٠ ورأسه السكرتير العام للأمم المتحدة ٠

وعقدت ثلاث جلسات ، اثنتان منهـا مفتوحتان ، والثالثة سرية ٠ وقـد حاولت اسرائيل التنصل من التزاماتها المترتبة على اتفاقية النقاط الستة ، والتهرب من موضوع الفصل بين القوات ، وذلك عن طريق عدم تضمين وفدها أعضاء من العسكريين ٠ ولكنها عادت أمام اصرار مصر فأعلنت عن استعدادها للمحادثات العسكرية ، وأنها ستوفد عسكريين للاشتراك فى المؤتمر ، كما وافقت على أن تبدأ المباحثات يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

ولمـا كانت مسألة الفصل بين القوات قد اعتبرت مسألة حيوية يجب البت فيها أولا قبل الدخول فى أية تفاصيل سياسية ، لذلك فقد وافق المؤتمر على أن يبدأ أعماله بمعالجة هذا الموضوع ٠

وفى يوم ٢٢ ديسمبر ٧٣ أصدر المؤتمر قراره الذى ينص على أن تستمر أعماله من خـلال تكوين مجموعة عمـل عسكرية تبدأ فى مناقشة مسـألة فض الاشتباك بين القوات ، على أن تقدم المجموعة توصياتها وتقريرها الى المؤتمر ٠

الإجتماعات الستة للجنة العسكرية

عقدت الجلسة الأولى للجنة العسـكرية فى مقر الأمم المتحدة بجنيف يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ تحت اشراف الأمـم المتحدة ٠ واستمرت جلسات اللجنـة العسكرية فى جنيف حتى ٩ يناير ١٩٧٤ ، وعقدت خلالها ستة اجتماعات استمرت حوالى ١٥ ساعة ٠

وكان رأى الجانب المصرى أن تبدأ المباحثات بمناقشة مبادىء محددة لمسألة فض الاشتباك والفصل بين القوات حتى يتم الاتفاق عليها كأساس ضرورى لتحديد الخطوط العريضة والرئيسية للموضوع ٠ وانطلاقا من هذا المفهوم العام قدم الجانب المصرى خمسة مبادىء رئيسية لفض الاشتباك تضمنت الآتى :

١ أن يتم فض الاشتباك والفصل بين القوات بتحرك القوات الاسرائيلية من مواقعها غرب القناة الى خط يقع شرق القناة فى سيناء ٠

٢ أن يكون هذا الخط على مسافة كافية من قناة السويس لتامين منطقة القناة ومدنها ضد أى نشاط عسكرى ٠

٣ الا تقل المسافة (الفاصل) بين القوات الرئيسية للجانبين عن أقصى مدى لأسلحة المدفعية المتوفرة لديهما (وهى مسافة يجب ألا تقل عن ٣٥ كم) ٠

٤ أن تحدد منطقة أمن أمام القوات الرئيسية لكل جانب تعمل فيها عناصر تأمين القوات والوحدات المناسبة ٠

٥ أن تنشأ منطقة عازلة بين الجانبين ، تشغلها قوات الأمم المتحدة ، بحيث يسمح اتساع هذه المنطقة لقوات الأمم المتحدة بحرية الحركة والعمل ٠

وبعد مناقشة قصيرة قبل الجانب الاسرائيلى هذه المبادىء كأساس مناسب لفض الاشتباك ، ولكنه رأى أن يضيف اليها تحفظات محددة تكون بمثابة مبادىء اضافية ٠ وتركزت هذه التحفظات فى مبدأين رئيسيين :

① أن يكون هنـاك توازن فى التزامات الجانبين ، أى أن يكون العمـل متبادلا ٠ بمعنى أن كل عمل يؤديه طرف يجب أن يقابله عمل مماثل يؤديه الطرف الأخر ، وألا يتحمل طرف واحد كل شىء ٠

② أن يشارك كل طرف ، الطرف الآخر فى حل مشاكله ، بمعنى أن يقبل الحلول الوسط ٠

وكان رد الجانب المصرى على ذلك ، أن هذين المبدأين همـا من المبـادىء السياسية التى تستخدم فى التسويات السياسية ، وليس لهما علاقة مبـاشرة بما تناقشه اللجنة العسكرية فى هذه المباحثات من مسائل عسكرية بحته ٠٠ خاصة والفصل بين القوات له شروط ومواصفات فنية محددة لا تحتمل الحـلول الوسط ٠

ورغم وضوح النوايا الاسرائيلية الكامنة خلف هذه التحفظات الملتوية ، الا أن الجانب المصرى رأى أن يطالب الجانب الاسرائيلى بمزيد من الايضاح ٠

وكشف الجانب الاسرائيلي عن نواياه ، فأوضح أنه يلزم لتطبيق المبدأ الأول ألا يجرى الانسحاب من جانب واحد ، بل ينبغي أن يتم الانسحاب بواسطة الجانبين ، وان كان ليس ضروريا أن يكون هذا الانسحاب بنفس القدر • وفي مجال شرح المبدأ الثاني ذكر الجانب الاسرائيلي ـ على سبيل المثال ـ أن شرط الانسحاب شرقا ليس ضروريا أن يرتبط بمسافة كبيرة تفصل بين قوات الجانبين •

وقد رفض الجانب المصرى فورا الأمثلة التي ساقها الجانب الاسرائيلي موضحا ما يلى :

1. أن الأرض التى دار عليها القتال هى أرض مصرية ، ولذلك فان مبدأ تخلى مصر عن شبر واحد من الأراضى التى تقف عليها قواتها مبدأ مرفوض من أساسه ، اذ لا يجوز مطالبة القوات المصرية بالتخلى عن جزء من الأرض المصرية مهما كانت الدوافع الى ذلك •
2. أما عن مسافة الانسحاب فقد حددتها مصر على أسس علمية فنية سليمة لكى تحقق فعلا مبدأ فصل القوات وفض اشتباكها ، ولذلك فان الاقلال من هذه المسافة لن يحقق فض الاشتباك طالما أن قوات أحد الطرفين ما زالت واقفة داخل مرمى أسلحة الطرف الآخر ، الأمر الذى لا يمكن قبوله •

كما أنه قد سبق لمصر أن شاركت فعلا فى حل المشاكل حين قبلت اتفاقية النقاط الست ، وخاصة البند الثانى المتعلق بتدابير العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ فى اطار اتفاق لفض الاشتباك والفصل بين القوات •

وكان ذلك يعنى مرونة أكثر تساعد اسرائيل فى الخروج من مأزق العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وما يترتب عليها من موقف استراتيجى سيء ، دعا اسرائيل الى رفض هذه العودة منذ البداية •

وعند هذه المرحلة من المناقشات التى استمرت ثلاث جلسات ، حدث تطور فى الموقف الاسرائيلى ، وان لم يخرج عن الخط العام الذى اتبعته اسرائيل منذ البداية ، وهو العمل على أن يكون انسحاب قواتها فى أضيق نطاق ممكن ، مع قبولها مبدأ الانسحاب الى الشرق •

وعرض الجانب الاسرائيلى نماذج مخططة لأفكاره ، كان أحدها يدور حول الاقتراح القديم الخاص بالانسحاب المتبادل عن ضفتى القناة ، والذى سبق رفضه • وقد استبعد هذا النموذج • ثم جاء الآخر بفكرة أن تكون المسافة بين

قوات الجانبين محدودة بمدى النظر بين الطرفين (اى ٣ ـ ٤ كم) • وردد الجانب الاسرائيلي أن انسحابه الى الشرق فيه تضحية استراتيجية كبيرة ، كما أن ضغط المسافة يعتبر ثمنا ضئيلا بالنسبة لما خسره الجيش الاسرائيلي من أرواح •

وقد نفد الجانب المصرى هذه المقترحات والتعلات ، وأوضح أن الموقف العسكرى الاسرائيلي غرب القناة موقف استراتيجى سيء غير متوازن ، ولا يمثل اى قيمة عسكرية ، بل هو عبء عسكرى واقتصادى وسياسى كبير ، يضغط على كاهل اسرائيل وهى تسعى للتخلص منه ، وأن هذا العمل العسكرى فى حد ذاته كان فى الأصل عملا نفسيا لرفع معنويات الشعب الاسرائيلي • لذلك فان التخلى عنه لا يعنى أى تضحية استراتيجية ، بل العكس هو الصحيح •

كما أوضح الجانب المصرى أنه لاحظ كثرة ترديد الجانب الاسرائيلي لكلمة « الثمن » ، وأن هذا يكشف لنا نمط الفكر الاسرائيلي الذى يسعى دائما الى الحصول على المكاسب ، والذى يتميز بالميل الشديد الى المساومة ، وأن هذا الأسلوب لا يخلق سوى المعوقات والمشاكل ، الأمر الذى يستوجب أن تغير اسرائيل من نمطها الفكرى وأسلوب تعاملها مع العرب اذا كانت تسعى حقاً نحو السلام •

ثم تساءل الجانب المصرى •• ألا يكفى أن يكون السلام ذاته ثمنا تقبله اسرائيل ؟ وأن يكون البعد عن التضحية بمزيد من الأرواح ثمنا آخر مناسبا لاسرائيل ؟ !

ومع تطور المناقشات ، حاول الجانب الاسرائيلي أن يتفادى الحديث فى المبادىء والأسس الخاصة بفض الاشتباك ، والاغراق فى بحث التفاصيل العسكرية الفنية المتعلقة بفض الاشتباك ، وأن يوجه المباحثات الى متاهات تحولها عن الهدف الرئيسى وتجذبها بعيدا عن الخط المنطقى •

وفى اجتماع يوم ٩ يناير ١٩٧٤ (الاجتماع السادس والأخير) رفض الجانب المصرى هذه المراوغات ، وأصر على ضرورة العودة الى أصل الموضوع قبل الدخول فى أية تفاصيل • كما أصر على أن يطرح الجانب الاسرائيلي أفكاره المحددة عن فض الاشتباك فى شكل مشروع متكامل ، خاصة والجانب المصرى مستعد لطرح مشروعه فورا بشرط أن تطرح اسرائيل مشروعها المقابل •

وأوضح الجانب المصرى أن استمرار المناقشة بهذا الأسلوب غير مجد ، ولا بد من الانتقال الى جوهر الموضوع ، خاصة والانتخابات الاسرائيلية قد انتهت وظهرت نتائجها ، وأصبحت الفرصة متاحة أمام الوفد الاسرائيلي لطرح أفكاره •

ورد الجانب الاسرائيلي أنه يأسف اذ ليست عنده أفكار محددة ، كما أن الحكومة الاسرائيلية ما زالت تدرس الموضوع ، ولم تصل بعد الى قرار بشأنه • واقترح البدء في مناقشة المشروع المصرى الى أن يتلقى النعليمات اللازمة من حكومته ••

ورفض الجانب المصرى هذا الاقتراح ، وأعلن أنه في هذه الحالة يجب ايقاف الاجتماعات الى أن يتلقى الجانب الاسرائيلي تعليمات حكومته بشأن مشروع فض الاشتباك ، وأبدى استعداده للاجتماع في أى وقت تحدده اسرائيل •

وطلب الجانب الاسرائيلي مهلة أسبوع ، فتحدد يوم ١٥ يناير موعدا للاجتماع التالى • وفى يوم ١٠ يناير (اليوم التالى لوقف الاجتماعات) أعلنت الولايات المتحدة أن دكتور هنرى كيسنجر يعتزم التوجه الى مصر للمساهمة في حل المشاكل القائمة • وبعد اجتماعه بالرئيس السادات في أسوان يومى ١١ ، ١٢ يناير وطرحه مشروعا مقترحا للاتفاق ، توجه الى القدس يوم ١٢ واجتمع بالحكومة الاسرائيلية حتى ١٤ يناير ليقف على وجهة نظرها ، ثم تردد بين أسوان والقدس أيام ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، يناير ١٩٧٤ ، حتى أمكن التوصل بعد هذه الرحلات الأربع الى اتفاق قبلته مصر واسرائيل بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة ، وأذيع هذا الاتفاق في الساعة التاسعة من مساء ١٧ يناير بتوقيت القاهرة •

المرحلة الثانية لمباحثات الكيلومتر ١٠١

في الساعة ١١٠٠ يوم ١٨ يناير ١٩٧٤ عقد الاجتماع الأول للمرحلة الثانية من مباحثات الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة ـ السويس ، وقد رأس اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة الوفد المصرى المكون من اللواء طه المجدوب والعقيد أ• ح أحمد فؤاد هويدى والمستشار فوزى الأبراشي من وزارة الخارجية ، بينما رأس الجنرال دافيد اليعازار رئيس الأركان العامة الاسرائيلية الوفد المكون من الجنرال أبراهام آدن ، والكولونيل دوف زيون ، ومائير روزين المستشار القانونى بوزارة الخارجية الاسرائيلية • وجلس الجنرال أنزيو سيلاسفيو قائد قوات الطوارىء الدولية على رأس الاجتماع ، ومعه المسيو ريمى جورجيه مستشاره السياسى والدكتور جيمس جونا مستشاره القانونى •

وافتتح الجنرال سيلاسفيو الاجتماع معربا عن سروره بامكان التوصل الى اتفاق عسكرى بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة • وبعد أن تلا بنود الاتفاقية قدم أصولها للجانبين ، حيث وقع اللواء الجمسى عن الجانب المصرى ، ووقع الجنرال اليعازار عن الجانب الاسرائيلى ، والجنرال سيلاسفيو عن الأمم المتحدة •

ونص الاتفاق على أن حكومتى مصر واسرائيل بمساعدة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وطبقا لقرار مؤتمر جنيف ، قد توصلتا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصل بين قواتهما المسلحة مع التمسك بوقف اطلاق النار وايقاف جميع الأعمال العسكرية وشبه العسكرية فى البر والبحر والجو •

وحدد الاتفاق الخطوط التى تنسحب اليها القوات الاسرائيلية ومناطق الفصل بين الجانبين والتى ترابط فيها قوات الأمم المتحدة ـ وأوضحها على خريطة أرفقت بنص الاتفاق • كما تضمن توقيتات وضع تفاصيل خطة فك الاشتباك ، ونص على ضرورة انهاء أعمال الفصل خلال فترة لا تتجاوز ٤٠ يوما من بدء التنفيذ •

واختتم الاتفاق بالنص على :

« أنه لا يعد اتفاق سلام نهائى وأنه يشكل خطوة أولى صوب سلام نهائى عادل ودائم طبقا لبنود قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ وفى اطار مؤتمر جنيف » •

وبعد انتهاء التوقيع وتبادل الوثائق ، بدأت مناقشة عامة حول الأسلوب الذى سيتبع فى تنفيذه ، وعرض الجانب المصرى عدة مبادىء رئيسية كان أهمها :

١. أن ينفذ انسحاب اسرائيل من غرب القناة من الجنوب الى الشمال ، وعلى مراحل •
٢. أن تنشأ منطقة عازلة من قوات الأمم المتحدة بين الطرفين فى كل مرحلة من مراحل الانسحاب •
٣. أن يتم انشاء منطقة الأمم المتحدة الفاصلة بين القـوات فى الشرق تدريجيا وعلى مراحل ، تبعا لخطة الانسحاب التى ستنفذها القـوات الاسرائيلية •

وبعد أن وافق الجانب الاسرائيلى على هذه المبادىء نوقشت الفكرة العـامة لتنفيذ الفصل بين القوات ومراحله على خرائط قدمها الجانبان •

وفى الاجتماع الثانى يوم ٢٠ يناير استمرت المناقشات حول مراحل التنفيذ ، واستقر الرأى على الآتى :

١- أن تنسحب القوات الاسرائيلية من غرب القناة خلال ٢٨ يوما ، وعلى أربع مراحل .

٢- أن ترتد القوات الاسرائيلية شرق القناة الى الخط « ب » المبين على خريطة الاتفاق عند المضايق خلال ١٢ يوما ، وفى مرحلة واحدة .

٣- أن يتم خلال الانسحاب الاسرائيلى من الغرب والشرق اعادة تنظيم أوضاع الطرفين على جانبى الخطوط المحددة .

● أن تتخذ قوات الأمم المتحدة محلاتها فى منطقة عازلة بين الجانبين طوال فترة تنفيذ مراحل الانسحاب الاسرائيلى غرب وشرق القناة . وتحتل المنطقة العازلة بين الخط « ا » (خط القوات المصرية شرق القناة) والخط « ب » (خط القوات الاسرائيلية عند المضايق) قبل نهاية الفترة المحددة لتمام التنفيذ وهى ٤٠ يوما .

وفى نهاية هذا الاجتماع تقرر أن تستمر الاجتماعات اليومية لوضع تفاصيل الانسحاب فى اجتماعات تالية ، على أن يرأس الجانب المصرى اللواء طه المجدوب والجانب الاسرائيلى اللواء ابراهام آدن ، وأن تنتهى الاجتماعات وتوضع الخطة النهائية قبل يوم ٢٥ يناير ، وهو الموعد المحدد لبدء أعمال الفصل بين القوات .

وقد عقد الجانبان ثلاث اجتماعات متتالية أيام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ يناير ١٩٧٤ ، تم خلالها مناقشة تفصيلية لمراحل الانسحاب وتوقيتاته ، وتنظيم دخول قوات الأمم المتحدة ، وأسلوب حل المشاكل العاجلة التى قد تطرأ أثناء التنفيذ . كما حددت مراحل تنفيذ انسحاب القوات الاسرائيلية بصفة نهائية لتكون على النحو التالى :

١- المرحلة الأولى :

من ٢٥ ـ ٢٨ يناير وتخلى فيها منطقة الأدبية وعتاقة وقطاع طريق السويس .

❷ المرحلة الثانية :

من ٢٨ يناير الى ٤ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الاسرائيلية من المنطقة الصحراوية شمال طريق السويس غرب القناة ، والى منطقة متلا فى الشرق ٠

❸ المرحلة الثالثة :

من ٥ الى ١٢ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الاسرائيلية من منطقة جنوب البحيرات حتى فنارة فى الغرب ، والى منطقة الجدى فى الشرق ٠

❹ المرحلة الرابعة :

من ١٣ الى ٢١ فبراير ، ويتم فيها استكمال انسحاب القـوات الاسرائيلية من فايد والدفرزوار ، واخلاء غرب قناة السويس تماما ، والمنطقة شرق القنطرة شرق ٠

❺ المرحلة الخامسة :

من ٢٢ فبراير الى ٥ مارس ، ويتم فيهـا اسـتكمال انسحاب القـوات المتمركزة شرق القناة من مناطق الاسماعيلية والبحيرات المرة الى الخط « ب » المحدد للقوات الاسرائيلية ٠ وفي نفس الوقت تنتهى قوات الأمم المتحـدة من انشاء المنطقة العازلة للفصل بين الجانبين فى سيناء ٠

وفى الساعة ١١٠٠ يوم ٢٤ يناير تم توقيع الوثيقة النهائية الخاصة بخطة تطبيق اتفاقية فصل القوات ، والجدول الزمنى التفصيلى الخاص بها ٠ كما أتفق على بعض الالتزامات الخاصة بتسهيل عمل قوات الأمم المتحدة ولتنفيذها واجباتها ، وتنظيم أعمال الاتصال أثناء مراحل فصل القوات ؛ وأسلوب حل المشاكل العاجلة ، وكيفية مراقبة الأمم المتحدة لمدى التزام الطرفين بتنفيذ الاتفاقية ٠

كما التزم الجانب الاسرائيلى بتقديم خرائط الألغام التى زرعها فى المناطق التى سوف تنسحب منها قواته ، والامتناع عن تخريب أو تدمير المنشآت المدنية فى منطقة القناة ، وأن يتم الانسحاب فى تعاون كامل مع قوات الطوارىء الدولية ، مع ضمان استمرار الحياة الطبيعية للسكان المدنيين فى المنطقة دون ارباك ٠

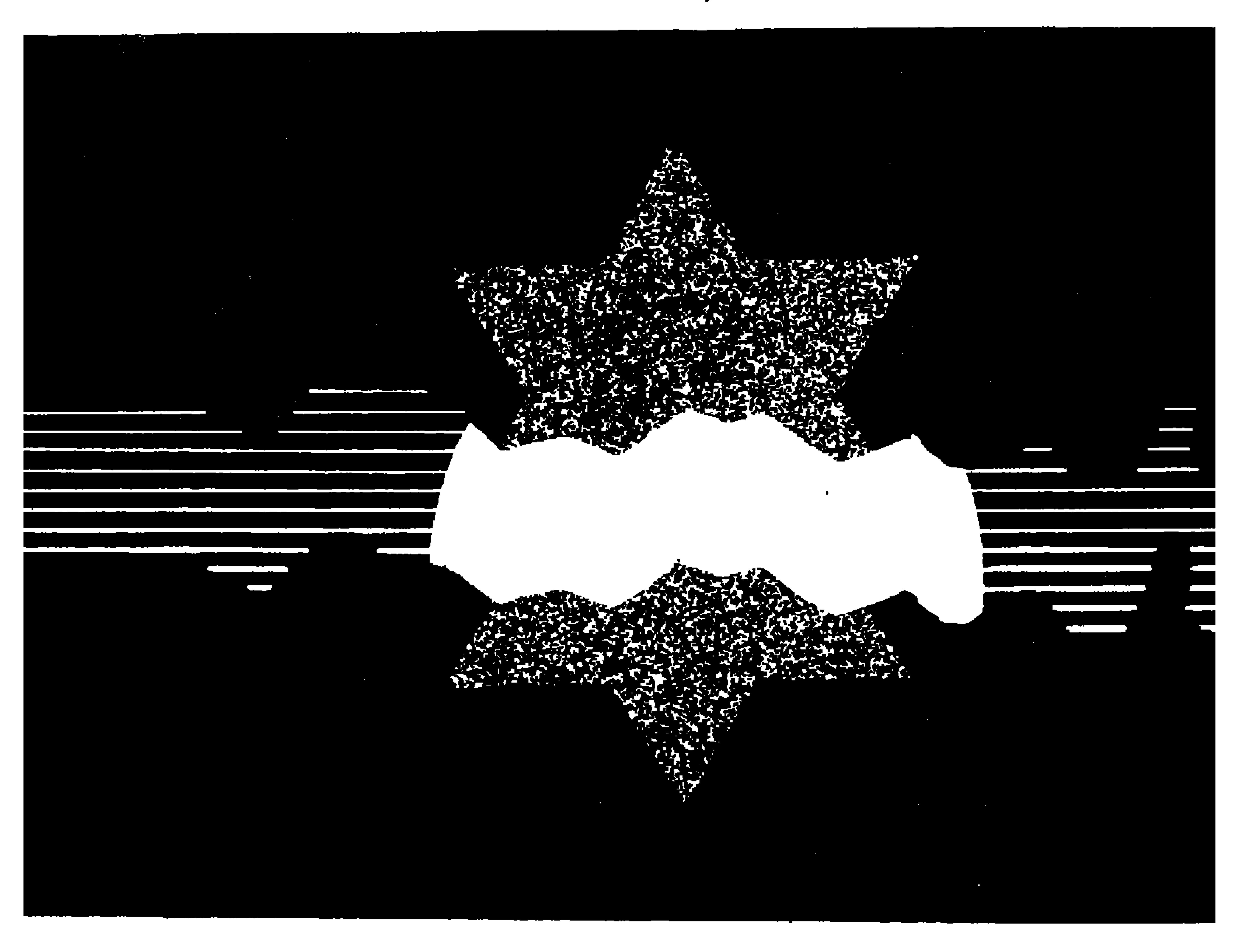
وفى الساعة ١٢٠٠ يوم الجمعة الموافق ٢٥ يناير ١٩٧٤ وضعت الاتفاقية موضع التنفيذ ، وبدأت اسرائيل تسحب قواتها من المناطق المتفق عليها ، وسارت أعمال فصل القوات حسب الاتفاق ٠

وكان وقع ذلك شديداً على شعب اسرائيل ٠٠ اذ أدرك عمق الهزيمة التى حاقت بقواته ، ومدى التمزق الذى أصاب النظرية الصهيونية ، التى تقوم على العدوان والتوسع واغتصاب الأرض وفرض الأمر الواقع ورسم الخرائط الجديدة ٠ ثم أيقن شعب اسرائيل من سوء العاقبة عندما استمع الى وكالة الأنباء الفرنسية تنقل اليه يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ من تل أبيب تصريح زعيم المؤسسة العسكرية الجنرال موشى ديان الذى يقول فيه :

"..إن هالة التفوق الإسرائيلى قد دحضها وأثبت بطلانها قتال أكتوبر ١٩٧٣."

الباب السابع

وتحطمت الأسطورة بعد الظهر



وتحطمت الأسطورة بعد الظهر

◆ كان وقع الهزيمة ثقيلا على اسرائيل ، هبط بمعنوياتها الى الحضيض ، وأشعل بين طوائفها وأحزابها الأحقاد الدفينة ، فانطلقت تكيل لبعضها البعض أقذع الشتائم ، وأحط الاتهامات ..

واستفحل الأمر حتى غزى صفوف المؤسسة العسكرية نفسها ، اذ راح جنرالات اسرائيل يغمزون بعضهم ويلمزون ، ثم تطايرت بينهم أخطر الاتهامات ، فأسرعت رئاسة الأركان العامه تصدر أمرا قاطعا لهم جميعا بالتزام الصمت المطبق ، بعد هذا الصخب المحرج .. والا فسوف توقع عليهم أقسى الجزاءات .. وتهددهم بالويل والثبور ..

ثم جاءت لحظة حساب النفس وما أثقلها وأقساها .. واستمع العالم مذهولا الى عمالقة الجولة الثالثه ، الذين كانت كلماتهم عام ١٩٦٧ تنضح بالغطرسة والخيلاء .. يهمسون عام ١٩٧٣ باعترافات ملؤها الألم والندم ، لما فرطت أيديهم ، وما حاق بهم من هزائم ..

● وتساءل العالم في دهشة .. ولكن أين ما زعمت اسرائيل من تخلف العرب الحضارى ، وعناء الفجوة التكنولوجية التى تمسك برقابهم ، فلا تدع لهم

فرصة لاجادة عمل ما • أو تترك لهم بصيص أمل للتصدى لبأس اسرائيل ، حتى نهاية القرن الواحد والعشرين ؟ ! •

ـ وأجاب العقلاء •• لقد كان ذلك وهما صنعته اسرائيل كى تنشر أمنا زائفا بين ظهرانيها •• فلما وقعت حرب رمضان ، انكشف الوهم وزال الأمن الزائف •• وتأكد كافة شعب اسرائيل المشدوه من هول الواقعة أن أخطر شىء أن يعيش فى خدعة من صنع يديه •• حتى توقظه الحقيقة الأليمة ••

• ثم تساءل العالم فى دهشة.. ولكن أين جهاز الحرب الاسرائيلى العملاق ، الذى وصل خطره الى درجة أن أصبح قادرا على أن يأمر طيارى العرب بالقفز من طائراتهم وهى فى كبد السماء •• فيسمعوا ويطيعوا لمؤسسة اسرائيل العسكرية ؟ •

ـ وأجاب العقلاء •• لقد كانت تلك فرية أخرى صنعتها اسرائيل لتنشر أمنا زائفا بين ظهرانيها •• فلما كانت حرب رمضان افتضحت الفرية وزال الأمن الزائف •• واستبان لاسرائيل أن أخطر شىء أن تعيش فى فرية من صنع يديها •• حتى توقظها الحقيقة الأليمة ••

• ثم تساءل العالم فى دهشة.. ولكن أين مخابرات اسرائيل التى تعلم الغيب وما تخفى الصدور •• وكيف عميت عن كل هذا الاستعداد الضخم ، وكل تلك الحشود الهائلة ، التى أخذتها على غرة ، وفاجأتها فى السادس من أكتوبر فحطمت أسطورتها بعد الظهر ؟ ! •

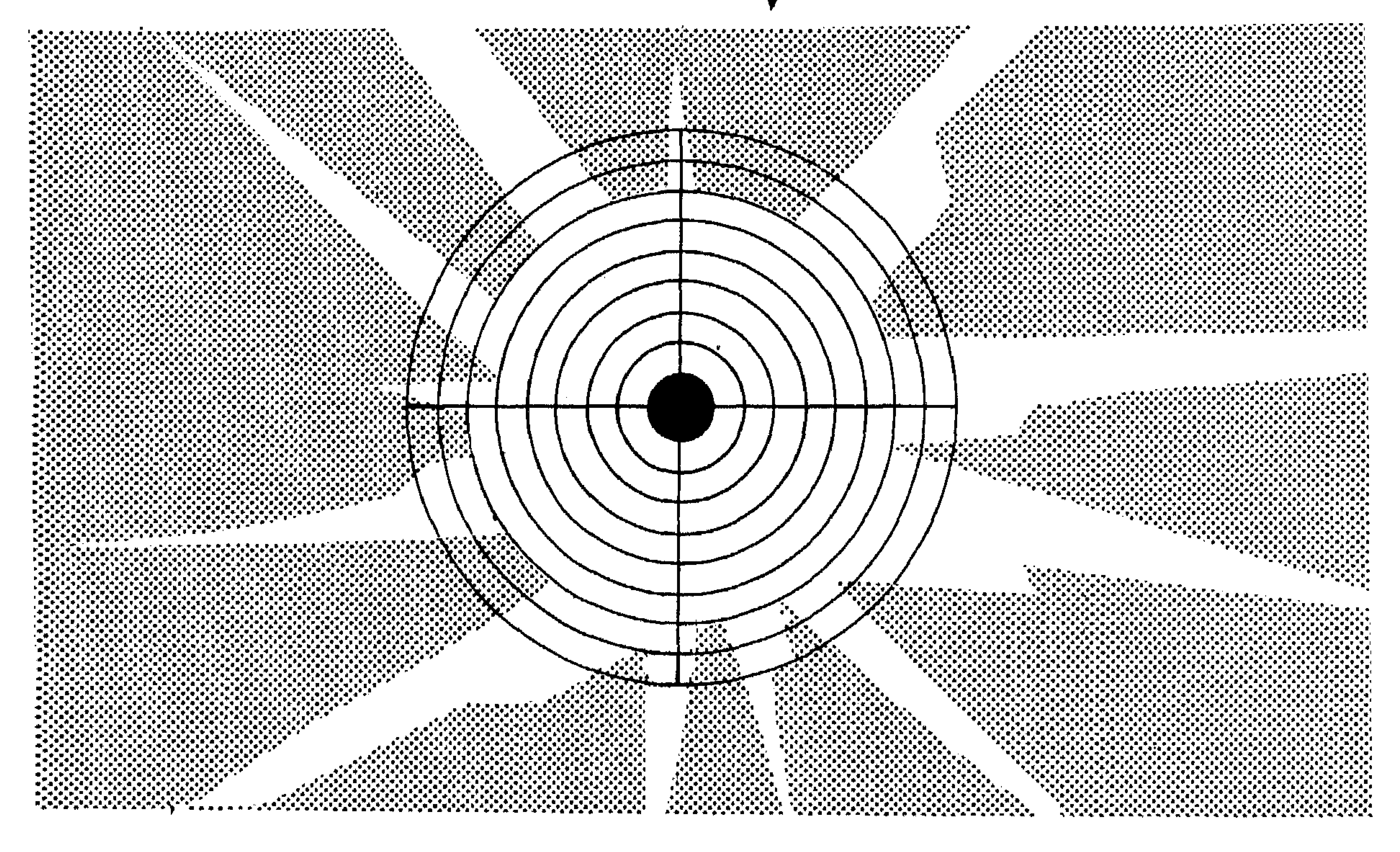
ـ وأجاب العقلاء •• لقد كانت كلها أكاذيب روجتها دعاوة اسرائيل لتنشر بها أمنا زائفا بين ظهرانيها •• أمنا تحجب به الحقائق الناصعة عن موقفها الميئوس منه •• والمحيط العربى الهادر ، فى مجابهة القطرة الصهيونية الضئيلة ، والامكانات والقدرات العربية غير المحدودة والجبهات العربية المحيطة باسرائيل تأخذ بخناقها من كل جانب ، فى مواجهة عقدة مسعدة التى عفى عليها الزمن ••
وانكشف لاسرائيل أن أخطر الأمور أن تعيش فى أكذوبة من صنع يديها حتى تفاجئها الحقيقة الأليمة ••

ولكن هل تعترف اسرائيل أنها فوجئت وهى غافلة فى السادس من أكتوبر ، فتحطمت أسطورتها عند العصر ؟ ! •

انهم ما زالوا يتجادلون فى هذا الأمر الخطير ، فتختلف بهم الآراء وتتضارب المذاهب ·· وتخرج الحجج الواهيــة والتبريرات السخيفة ، فلا تقنع احــدا ·· ولسوف نظهرها جميعا ونعرى كل دوافعها الخبيثة أو الساذجة فى الفصل التالى ·

الفصل الأول

عن المفاجأة



عن المفاجأة

◆ تحدث المفاجأة طبقا للمفهوم العسكرى ـ عندما ينجح أحد الأطراف المتحاربة فى مباغتة خصمه بعمل ايجابى ذو وقع كبير عليه ، من حيث طبيعته وحجمه ومكانه وتوقيته ونتائجه ٠٠ وبمعنى آخر يمكن القول أن المفاجأة تتحقق بتوجيه الضربات غير المتوقعة للعدو ، بما يذهله ويطيش صوابه ويشل تفكيره وأدائه ، فتصبح بذلك الفرصة مواتية للطرف الذى حقق المفاجأة ليوقع الخسائر الفادحة بخصمه فى وقت قصير ، ويشيع الذعر فى صفوفه ، ويحرمه من القدرة على مواصلة ابداء المقاومة المنظمة ، بما يخلق الظروف الملائمة للقضاء على قوات الخصم حتى وان كانت متفوقة ٠٠

وتتحقق المفاجأة بفضل الجهود المضنية التى تبذل فى مجالات عديدة منها :

❶ تضليل العدو عن نوايانا ٠

❷ سرية التحضير للهجوم ٠

٣ المحافظة على سرية فكرة الأعمال المقبلة •

٤ الاستخدام غير المتوقع لوسائل وأساليب قتال ، وأسلحة ومعدات جـديدة •

٥ توجيه ضربات قوية للعدو فى وقت ومكان وبطريقة لا يتوقعها •

وليس ثمة شك فى أن الطرف الآخر سـوف يسعى بدوره لشن أعمال مفاجئة ، ولهذا وجب أن يتوفر الاستطلاع المستمر النشط ، والاستعداد العالى الدائم للقوات لخوض الحرب فى كل وقت ، حتى يمكن احباط نوايا الخصم فى الوقت المناسب ، وقبل أن يحقق نجاحا محسوسا ••

ويجمع مشاهير القادة وفلاسفة الحرب على مر العصور على أن المفاجأة هى أهم مبادىء فن الحرب وأشدها خطرا وأكثرها تحقيقا للنصر فى أى عمل عسكرى كبر مستواه أو صغر •

وتكون المفاجأة اسـتراتيجية أو تعبوية أو تكتيكية طبقا لحجم القـوات المشتركة . وبالتالى المستوى الذى تؤثر عليه فى الصراع المسلح •• وعلى سبيل المثال اذا ما كانت المفاجأة على مستوى الدولة بقواتها المسلحة كلها فهى مفاجأة استراتيجية • أما اذا اقتصرت على مستوى جبهة أو جيش فحسب فهى مفاجأة تعبوية ، واذا ما جاءت دون ذلك أصبحت مفاجأة تكتيكية أو موضعية ••

ولقد حقق العرب فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ولأول مرة فى سجل صراعهم الطويل ضد اسرائيل المفاجأة الكاملة بمستوياتها الثلاثة •• وكان وقع ذلك أليما على اسرائيل •• بل وعلى الصهيونية العالمية فى كل مكان • وكانت حصيلته النهائية أشد ايلاما لهما من الهزيمة نفسها ، اذ قوضت تلك المفاجأة صروح نظرية الأمن الاسرائيلى التى طالمـا ارتكزت عليها المؤسسة العسكرية فى صيانة وجود الدولة الدخيلة وتدعيم مركزها فى المنطقة •• ولهذا راحت أجهزة الدعاية والاعلام الاسرائيلية والصهيونية على الفور ، وبكل ماتملك من قـدرة وامكانيـات ، تشن حملات مسعورة لتبرئة قيادتها السياسية والعسكرية من وصمة المباغتة ، وتنفى عنها عار الوقوع فى شرك المفاجأة ••

وفى سبيل ذلك تعددت التبريرات وتنوعت الحجج ، ثم تناقضت الأقوال وتضاربت التصريحات ، حتى تحول الجدل الحاد الى تبادل الاتهامات والتجريح ، ثم القاء اللوم جزافا على بعضهم البعض ، الأمر الذى دفع بالقيادة العليـا الى

اصدار التوجيهات بالكف فورا عن هذه المهاترات على صفحات الجرائد ، وعبر أمواج الأثير ..

وقبل أن تهدأ فورة الاتهامات وتخف حدة المهاترات كانت الحصيلة قد أدهشت أذن المستمع وشدت أنظاره ..

فعلى المستوى السياسي ادعت رئيسة حكومة اسرائيل أنها كانت تعلم يقينا بنية هجوم العرب بل وبتوقيته ومراميه ، ولكنها تركت لهم المبادأة طوعا واختيارا لأسباب سياسية واقتصادية ملحة .. فزعمت أنها أحجمت عن توجيه ضربتها الابتدائية حتى لا تكون البادئة بالعدوان خشية ازدياد عزلتها السياسية فى المجال الدولى ، كما وأنها فوتت فرصة التعبئة فى الوقت المناسب حتى لا تحمل الاقتصاد الاسرائيلى المثقل أعباء اضافية قاسية ، واكتفت من كل ذلك بالتأكيد على القيادة العسكرية بالاقتصار على التعبئة الجزئية فى أضيق الحدود ، مع رفع درجة استعداد القوات المسلحة النظامية على مختلف المستويات ..

وتستمر السيدة مائير فى ادعاءاتها العجيبة فتقول أنها تركت الأمور على هذا الوضع الخطر حتى صباح السادس من أكتوبر ، عندما اضطرت الحكومة تحت ضغط الأحداث المتلاحقة أن تعلن التعبئة الشاملة فى الساعة العاشرة صباحا ، وأن تبدأ فى ادارة عجلة الحرب ..

وتقصد السيدة مائير بما تدعيه وتسوقه من حجج وبراهين أن تبرىء نفسها قبل الانتخابات الوشيكة من تهمة الغفلة التى عرضت أمن الدولة للخطر ، فتقول أنها أحجمت اختيارا عن السبق بالهجوم حتى لاتزيد سمعة اسرائيل سوءا ، كدولة دائمة العدوان مدمنة التعدى ، وأنها امتنعت عن تعبئة الدولة حتى لا تثقل على الاقتصاد وتعرقل دولاب الانتاج . ووراء تلك الحجج الساذجة رغبة دفينة فى القاء اللوم على العسكريين .. الأمر الذى يكشفه بجلاء قولها فى مجال آخر .. « لو جاءنى مسئول ـ تقصد الجنرال ديان ـ واقترح استدعاء الاحتياطى لوافقته فورا[1] » ..

ويعزز نائبها ايجال آلون نفس الاتجاه الذى تذهب اليه مائير فيقول « اننى أؤكد شخصيا ورسميا أيضا اننى أتعهد بشرفى الشخصى بصحة البيان القائل بأننا لم نبدأ القتال ، بل على العكس ، حتى بعد أن رأينا المجابهات الشاملة لقوات

---

(١) حديث تليفزيونى فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ .

العدو فى أوضاع هجومية تجنبنا متعمدين الضرب أولا ، وقد تخلينا عن تلك الميزة العسكرية ، ميزة الضرب أولا » ٠٠

كما صرح الجنرال أهرون ياريف بصفته مستشار رئيسة الحكومة أن اسرائيل تعمدت أن تخاطر بترك المصريين والسوريين يتخذون بادرة الأعمال العسكرية مع ما يترتب على ذلك من مزايا[١] ٠٠

وهكذا يمضى الحرس القديم من غلاة الصهاينة السياسيين فى تلفيق الحجج وفبركة المبررات ٠٠ ولا يهم بعدئذ أن جاءت كلها تناقض بعضها البعض ، فالهدف هو تجريح العسكريين واعادتهم الى حجمهم الطبيعى ، بعد أن أحالهم نصر يونيو ١٩٦٧ الى مردة وشياطين ٠٠

****

وعلى الجانب الآخر وقف العسكريون الاسرائيليون فى مجموعات وان بدت متنافرة فانها يجمعها رأى واحد وهدف مشترك ٠٠ هو تبرئة أنفسهم وتجريح السياسيين ٠

وفى سبيل الحفاظ على النفس ليس هناك ما يمنع من كيل الاتهام الى الرئيس والزميل والمرؤوس ٠٠ وليس هناك جناح من الالتجاء الى السلبية لتقوية الجبهات وتعرية الخصوم ٠٠ « وليس ثمة شخص يعترف بالخطأ أو يفكر فى الذهاب ، فالمتحدثون يتكلمون عن ضرورة ذهاب الآخرين وليس ذهابهم هم ، واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هى الانقسامات الجديدة التى نشأت فى القمة ، فالأشخاص ينظمون أنفسهم للحماية المتبادلة ، وكل شخص يخشى زميله ٠ ولهذا نشأت ظاهرة غريبة هى أن الأشخاص المتورطين فى التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن أنفسهم وتجريح الآخرين ، وراحوا يلمون الوثائق وأشرطة التسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود[٢] ٠٠ » ٠

ويعترف الجنرال موشى ديان ٠٠ « انه توجد مفاجآت فى هذه الحرب أيضا ، الا أنه لم يحدث أى خطأ فى بناء قوة جيش الدفاع أو فى تشكيله وتكوينه[٣] ٠٠ » ٠

---

(١) و٠ أ٠ ف ــ ٩ اكتوبر ٠
(٢) زيف شيف ــ هاآرتس ــ ٢٠ نوفمبر ٠
(٣) اسرائيل عبرى ــ ١٥ اكتوبر ٠

ويؤكد الجنرال دافيد اليعازر ٠٠ « ان هذه أصعب حرب واجهتها اسرائيل ـ لقد زحفت علينا بدون انذار سابق[١] ٠٠ » ٠

ويناقض الجنرال هيرتسوج نفسه اذ يقول ٠٠ « ان الهجوم الذى شنه العرب أخذ اسرائيل على غرة ، وأن تحريك العرب لقواتهم على طول خطوط المواجهة لم يفاجىء اسرائيل ، ولكنه من الواضح أن الهجوم جاء مفاجأة[٢] ٠٠ » ٠

ويقر الجنرال حاييم بارليف بأن اسرائيل ٠٠ « قد فشلت وفوجئت مرة واحدة ، وأن ذلك لن يتكرر[٣] ٠٠ » ٠

ويأمر الجنرال شموئيل جونين قائد جبهة سيناء جنوده فى أمر يومى بمناسبة عيد المظال قائلا ٠٠ « أنتم مكلفون بالقيام بمهام فرضت عليكم بصورة مفاجئة[٤] ٠٠ » ٠

ويتفق السياسيون والعسكريون على أمر واحد ٠٠ هو التهوين من قيمة احراز العرب للمفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية فى حرب رمضان ، أو انكار ذلك كلية ، والتقليل من شأن المعجزة التى حققها المقاتل العربى ضد حصون آلون المنيعة فى الجبهة الشمالية ، وحصون بارليف الأسطورية فى الجبهة الجنوبية ٠٠ ويصل التناقض فى هذا المجال الى منتهاه ٠٠ حيث نجد الشخص الواحد يتشدق بشىء قبل السادس من أكتوبر ، ثم يتحدث بنقيضه بعد السادس منه ٠

وبين انكار السياسيين لوقوع المفاجأة واعتراف العسكريين بها فى مبدأ الأمر ، ثم تنصلهم من تبعاتها بعد ذلك ، دعنا نبحث تحت ضوء العلم ، وبمقاييس المنطق السليم عن الحقيقة ، سيما وهى ترتبط ارتباطا عضويا بنفس نظرية الأمن القومى الاسرائيلى ، التى تنادى بها المؤسسة العسكرية من قديم ، وتبنى عليها دعائم الدولة ، وتنظم بها حياة الأفراد ٠٠

فنظرية الأمن الاسرائيلى ـ ووجود اسرائيل بالتبعية ـ تعتمد على أربعة ركائز أساسية ، يتلاشى دونها الأمن المنشود :

---

(١) و٠ أ٠ ف ـ ١٢ نوفمبر ٠
(٢) اسرائيل عبرى ـ ١٠ اكتوبر ٠
(٣) اسرائيل عبرى ـ ١ نوفمبر ٠
(٤) اسرائيل عبرى ـ ١٠ اكتوبر ٠

❶ فقوة الردع المتفوقة هى ركيزة الأمن الأولى التى تضمن لاسرائيل اليد العليا فى المسرح •

❷ والحدود الآمنة التى يستحيل اختراقها أو تهديدها هى ركيزة الأمن الثانية ، التى تضمن لاسرائيل فسحة الزمن لاتمام التعبئة القومية لسحق الخصوم •

❸ وامتلاك المبادأة والحفاظ عليها فى كل الظروف هى ركيزة الأمن الثالثة ، التى تجبر الخصم على طلب السلامة بالسلبية والقعود عن ركوب الأخطار •

❹ وفوق كل هذا ضرورة توفير الحليف القوى المتأهب للمعاونة فى كل وقت ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا ومعنويا •

أفلا يثير العجب اذا أن تخرج حجج اسرائيل لتبرر الفشل الذى منيت به فى حرب رمضان ، فتدعى أنها قبلت التخلى عن بعض ركائز أمنها القومى استدرارا لعطف العالم ، و تخفيفا للأعباء الاقتصادية الثقيلة ؟ ••

ألا يدعو الى الدهشة أن يدعى ساسة اسرائيل أنهم سلموا المبادأة للعرب طواعية واختيارا حتى لايوصفوا بالعدوان ، فى الوقت الذى كرسوا فيه العدوان باستمرار احتلال أرض العرب ، وانكار حقهم المشروع ، ضاربين عرض الحائط برغبات الأسرة الدولية المتمثلة فى قرارات وتوصيات منظماتها الدولية وهيئاتها العالميـة ؟ •

ومنذ متى كانت اسرائيل تحرص على سمعتها بين الأمم ؟ أو تهتم برأى الآخرين فى تصرفاتها المعيبة •• وهى التى سفكت دماء وسيط الأمم المتحدة •• وقوضت كل المساعى الحميدة للسلام ، واعتمدت أولا وأخيرا فى تنفيذ برامجها الجائرة على ما تملكه من وسائل دعاية واعلام قادرة على تضليل العالم أجمع كيفما تشاء الصهيونية ووقتما تريد •• ألم يقف مندوب اسرائيل الدائم أمام أعلى سلطة دولية ليقول لها دون حياء أو خجل « ان مجلس الأمن لا يخرج فى نظر اسرائيل عن كونه مجموعة من حيوانات القنغر[1] » •

أما الزعم بالتخفيف عن كاهل الاقتصاد المثقل الى درجة تهديد أمن الدولة بالاحجام عن اعلان التعبئة بعد أن كشف الخطر الداهم عن أنيابه ، فأمر مغرق

---

(١) جدعون رافائيل ـ مجلس الأمن ٦/١٩٦٧ •

فى الغرابة ، خاصة وكل ما يتكلفه هذا الاقتصاد بالتعبئة الشاملة لن يتجاوز ٤ر٥ مليون جنيه ، كما أظهرت حسـابات التعبئة التى تمت فى مايو ١٩٧٣ ، بينما يكلفها أحد الاضرابات العارضة ـ وهى كثيرة ـ عشرات الملايين ٠٠

ثم أن هناك العديد من مصادر الدخل والدعم المنظورة وغير المنظورة التى تكفل لاسرائيل سيلا لا ينقطع من الأموال والهبات ، ينشط على وجه الخصوص وقت الأزمات والمحن ٠ ألم تتصدق عليها مجموعة من مليونيرات الصهاينة بالأمس فقط بخمسمائة مليون دولار فى جلسة واحدة ، لـم تستغرق الساعة فى أحد فنادق القدس !

وهذا نفس تركيب جيش الدفاع الاسرائيـلى يعارض بشدة ما يزعمه قادتها وساستها من احجامهم عن اعلان التعبئة فى الوقت المناسب تخفيفا للأعباء الاقتصادية ٠٠ ان جبل الجليد العائم الذى يتحدث عنه بن جوريون ، ويعنى به القوات المسلحة الاسرائيلية ، تتوقف شدة بأسه بالدرجة الأولى على ما يقبع منه تحت الماء ـ وهو قوات الاحتياطى(١) ـ فكيف يقبل عقل أن تتنازل اسرائيل طواعية عن أربعة أخماس هذا الجبل ـ وهو الأشد بأسا وأعظم تأثيرا على أمنها القومى ـ لتوفير ملايين قليلة من الجنيهات ، يمكن أن تحصل على أضعاف أضعافها بمجرد ابداء الرغبة ٠٠

والأغرب من كل ما ذكرناه آنفا تلك السرعة التى تهاوت بها نظرية الحدود الآمنة تحت أقدام العرب فى بضع ساعات ٠٠ ولعلنا ما زلنا نذكر كيف استرخى ديان فوق كرسى مريح فى حديقة منزله عصر يوم ١٢ يونيه ١٩٦٧ وخاطب جمعا من الصحفيين قائلا ٠٠ « منذ أسبوع مضى من كان يحلم بأمن كهذا أو بحدود كهذه ؟ » ثم تمر ست سنوات حافلة بالجهد والانفاق على تقوية هذه الحدود ، وتدعيم هذا الأمن الى الدرجة التى وصفها ديان ٠٠ « بأنها أصبحت الصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين ٠

وتقع حرب رمضان ٠٠ فيخرج ديان على العالم بتصريح يثير السخرية التى لا تهـدأ مع توالى الأيام ـ فيقول ٠٠ « ان خط بارليف كان مثـل قطعة الجبن السويسرى بها من الثقوب أكثر مما بها من الجبن » فلا يحقق من هذا العبث بالألفاظ والضحك بالعقول الا سخط المعجبين به قبل سخرية العالم ، واجماع كلمته على أن سمعة ديان هى التى أصبح بها من الثقوب أكثر مما بها من ثقة ٠٠

---

(١) بن جوريون ـ يستعيد الماضى ـ احاديث مع موشى بيرلمان ٠

وينحدر بارليف الى القاع فيتنكر للخط الذى يحمل اسمه ، ويتساءل بسذاجة أو خبث « من قال أنه كان هناك خط يحمل اسمى على قناة السويس ؟ » ..

ولكن ما لنا ولأكاذيب ساسة اسرائيل وقادتها ، وأمامنا الحقيقة شديدة الضياء تدمغ اسرائيل ، وتكشف قدر صقورها وحمائمها سواء بسواء ..

فهذه الدولة التى لا تكف عن التباهى بأنها تملك أعظم جهاز للمخابرات وجمع المعلومات بين دول العالم قاطبة ينطلى عليها تدابير العرب للخداع والاخفاء والتمويه بدرجة قل أن يوجد لها مثيل ..

فحتى ظهر الجمعة ٥ أكتوبر نجد القيادتين السياسية والعسكرية الاسرائيلية تجزمان بعدم وجود أى خطر لاشتعال الحرب فى المسرح ، بينما القوات العربية على الجبهتين الشمالية والجنوبية تجرى آخر لمسات الفتح التعبوى للهجوم ، وهى من الضخامة والتدفق بما يصعب معه اخفاء أمرها عن الأعين مهما ضعف بصرها ، أو كتم ضوضائها عن الآذان مهما اشتد صممها ..

ويظل الحال على هذا الوضع حتى فجر السادس من أكتوبر عندما ترجح الأركان العامة احتمال وقوع الحرب ، وتجمع السيدة مائير وزرائها وقادتها للتشاور ، ويطول الجدل حتى الظهر عندما يتفق المجتمعون على التحرك سياسيا بالاتصال بالولايات المتحدة ، والتحرك عسكريا باعلان التعبئة الجزئية ، ورفع درجة الاستعداد والتأهب ..

وتكون الساعة قد جاوزت الواحدة بعد ظهر السادس من أكتوبر عندما تسرع مائير الى الاتصال بوزير خارجيتها الموجود فى واشنطن ليدق ناقوس الخطر ..

ويبدأ الهجوم العربى قبل أن يصل الى جنود اسرائيل على خطوط الجبهة أى انذار بالخطر الداهم ..

فاذا لم تكن هذه هى المفاجأة الكاملة الشاملة على كل مستوياتها ، والمباغتة التامة بأجلى صورها .. فأى شىء تكون اذاً ؟ غفلة أم تفريط أم خيانة ؟ .. ثم يحضرنا قول الشاعر القديم ..

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم !

الفصل الثالث



عن العبرة

◆ « لقد حققت القوات المسلحة العربية فى حرب رمضان معجزة على أى مقياس عسكرى ، ويستطيع هذا الوطن أن يطمئن الى أنه أصبح له درع وسيف[1] •• »

••• « لقد كان عبور القناة واجتياح حصون خط بارليف يعتبر ضربا من المستحيل ، وقد زارنا العديد من القادة وقال لنا بعضهم أن هذا المانع وتلك الحصون تحتاج الى قنبلة ذرية للتغلب عليها •

وكان العـدو يركز جهوده على تفـادى الحرب على جبهتين ، ولكننا تمكنا بالتنسيق مع سوريا من العمل فى وقت واحد ، فبدأت أول قصفة للطيران ، وأطلقت أول طلقة على الجبهتين فى نفس اللحظة ، مما أربك العدو وكبده خسائر لم يتحمل مثلها فيما مضى ، وحتى اليوم لم يستطع حصرها بدقة ••

وكانت أهم نتائج حرب رمضان أننا قضينا على أسطورة جيش اسرائيـل الذى لا يقهر ، وقد أصبحت طريقة اقتحامنا لحصون بارليف موضع الدراسـة والتحليل فى كافة مدارس العالم العسكرية ، كما أدت الى تغيير النظريات العالمية عن الاستراتيجية والتكتيك ••

(١) الرئيس محمد انور السادات ـ مجلس الشعب ـ ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ •

وأكدت المعارك أيضا أننا قادرون على كتمان سر خططنا ونوايانا ، وأثبتت للعدو بطلان حجته فى مفهوم الحدود الآمنة ، فقد ضربنا العدو فى شرم الشيخ ، وأمسكناه فى باب المندب ، وقد تحركت معنا الدول العربية ، وقاتل جنود العرب فى كل الجبهات ..

وكان القائد الأعلى الرئيس السادات معنا أثناء التخطيط وخلال المعارك ، ونحن نفخر به قائدا لنا ، واليه يرجع الفضل بعد الله فيما تحقق من نصر .. اذ كانت المهمة التى أوكلها الينا غاية فى الوضوح ، كما أحاطنا بالرعاية والمساعدة المادية والمعنوية التى وفرت لنا كل أسباب النجاح(١) .. » .

****

... لقد حققت حرب رمضان نتائج كثيرة يأتى على رأسها :

❶ انها كانت سببا فى وحدة عربية شاملة ، وموقف عربى موحد لم يشهده العالم من قبل ..

❷ انها عززت الوحدة الوطنية بصورة لم تشهدها مصر سابقا ..

❸ انها أعادت الى قوات مصر المسلحة ثقتها بنفسها ، كما أعادت لشعب مصر ثقته بقواته المسلحة ..

❹ انها قضت على أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ..

❺ انها غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم كله ، حتى باتت القيادة العسكرية فى الدول الكبرى تعكف على دراسة وتحليل حرب رمضان ، كما أوقفت بعضها انتاج بعض الأسلحة التى ثبت عدم جدواها ..

❻ أنها قلبت الموازين العسكرية فى العالم ..

❼ انها حركت أزمة الشرق الأوسط بدرجة لم تحدث فى أى وقت مضى . وأصبح العالم كله شرقا وغربا يتساءل عن حقوق شعب فلسطين(٢) ..

---

(١) الفريق أول احمد اسماعيل - مجلس الشعب - ٨ ديسمبر ١٩٧٣ .
(٢) الفريق أول احمد اسماعيل - قاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاستراكى - ندوة المغتربين المصريين - ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .

... « ولم يكن هذا النصر العظيم الذى حققه العرب فى حرب رمضان خاتمة المطاف للصراع ضد اسرائيل ، فهو لايعدو مرحلة من مراحله الكثيرة ، ولازالت أمامنا مراحل تالية نستعد لها بنفس القوة والصلابة حتى نحقق هدفنا النهائى[1] »

****

ما أبعد الليلة عن البارحة .. عندما تخيل صقور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى يونيه ١٩٦٧ « انها الحرب التى أنهت كل الحروب .. ولم يبق أمام العرب الا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة ، سيما وهم يعرفون رقم الهاتف[2] .. » .

****

ان هذا الفارق الكبير فى فهم حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى وأبعاده الزمنية والجغرافية والأخلاقية تفصح عنه بوضوح هاتين الفقرتين المعبرتين ابلغ تعبير ، وتكشف عن الأصالة العربية فى مواجهة الانتهازية الصهيونية ، هو بعينه نفس الفارق الذى تحدثت عنه جريدة الفيجارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ فقالت .. « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة ، تشتبك فى حرب طويلة الأمد مع اسرائيل التى تكافح اليوم كى تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليه حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » ..

****

ذلك هو الدرس الأول الذى أخرجته حرب رمضان ، عن صراع الأصالة العربية ضد الانتهازية الصهيونية فى أول معركة متكافئة تنشب بينهما على مدى سجلهما الحربى الطويل .. « فالعرب يحاربون من أجل السلام القائم على العدل ، واسرائيل تتحدث أحيانا عن السلام ، ولكن شتان بين سلام العدوان وسلام العدل[3] .. » .

****

ان أبرز انجاز حققه العرب فى كفاحهم المسلح ضد الصهيونية الامبريالية على مدى ربع قرن هو ظهورهم على المسرح الدولى بعد حرب رمضان بحجمهم

---

(١) اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ـ رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية ـ ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) الجنرال موشى ديان ـ وزير الدفاع الاسرائيلى ـ هاآرتس ـ ١٢ يونية ١٩٦٧ .

(٣) الرئيس محمد أنور السادات .

الحقيقى كقوة قادرة على النضال بالسلاح لاسترداد الحق المشروع وتحرير الأرض المغتصبة ، وكقوة قادرة على التأثير ـ بالمنح والمنع ـ على الواقع العالمى المعاصر ٠٠ وجمعت حرب رمضـان صفوف العرب ، وأطلقت الطاقات ، وألغت المسافات والخلافات ، وأصبحت صـورة العرب غير الصـورة ٠٠ فهم مقاتلون باسـلون ووحدتهم حقيقة واقعه ، وهم مصممون على التحرير والتقـدم ، وهم يملكون ناصيتهما ومقوماتهما بلا حـدود ، والعدل هو سبيلهم الوحيـد الى السلام فى الشرق الأوسط ، بل وفى العالم أجمع ٠٠

ولقد غيرت حرب رمضـان خريطة الشرق الأوسـط التى أراد البعض أن يفرضها بالقوة والبغى على هذه المنطقة العربية الخالصة ، كما أحالت أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر الى أقصوصة تثير السخرية حينا وتبعث على الرثاء أحيانا ، وذلك « بفضل القوات المسلحة المصرية التى قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى ، وبفضل القوات المسلحة السورية التى خاضت معركة من أمجد معارك الأمة العربية تحت القيادة المخلصة والحازمة للرئيس حافظ الأسد ، ولم يكن هناك رفقة سلاح أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر من رفقة الجيش السورى العظيم الذى تشرفنا بالقتال معه ضد عدو أمتنا العربية كلها[1] ٠٠ » ٠

لقد حطمت الجيوش العربية الظافرة نظريات ومفاهيم كان العالم أجمع قد اقتنع بها لكثرة ما رددتها أبواق الدعاية الصهيونية ، فهذا المقاتل العربى قد استرد مكانته الجدير بها فى ساحة الوغى ، وأثبت قدرته على استيعاب كل جديد ومعقد من منجزات العلم والتكنولوجيا ، ثم أثبت بأسه وعلو كعبه فى صنعة الحرب وخوض القتال واقتحام الأهوال ٠٠ « فكان الجندى المصرى يتقدم فى موجات تلو موجات ، وكنا نطلق عليه النار وهو يتقدم ٠٠ ونحيل ما حوله الى جحيم ويظل يتقدم ٠٠ كان لون القناة قانيا بلون الدم ٠٠ ورغم ذلك ظل يتقدم[2] ٠٠ » ٠

****

٠٠٠ « وظهر أمامنا جيش عربى يثق فى معداته ، ويتمتع بثقة كبيرة فى نفسه وقيادته[3] ٠٠ » ٠

(١) الرئيس محمد انور السادات ٠
(٢) الجنرال شموئيل جونين ـ قائد جبهة سيناء
(٣) جريدة هاآرتس ـ ٢٣ اكتوبر ١٩٧٣ ٠

ومن قبل ذلك حطمت القيادة العامة لقواتنا المسلحة فرية أخرى من أباطيل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، هى أكذوبة قصور جهاز الأركان العربى فى مجالات التخطيط الاستراتيجي والتعبوى ، وضعف قدرته على تنسيق التعاون بين الجبهات العربية المتباعدة ، واحكام العمل من خطوط خارجية ..

وبانتهاء الحرب كان واحد من أبرز قادة اسرائيل يؤكد لأحد الملحقين العسكريين الغربيين فى تل أبيب « أنه لا بد أن نشهد لجهاز التخطيط المصرى بالبراعة .. لقد كانت خططهم دقيقة ، وكان تنفيذها أكثر دقة .. لقد حاولنا بكل جهدنا عرقلة عملية العبور ، وصدها بالقوة وردها على أعقابها ولكننا ما كدنا نتمثل ما حدث الا وقد تحققت لهم نتائجه .. كأننا أغمضنا عيوننا وفتحناها فاذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة الى شرقها ، وفاجأونا صباح يوم السابع من أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة(١) .. » .

وكما حطمت القيادة العامة فرية ضعف جهاز الأركان العربى على التخطيط وتنسيق التعاون واحكام العمل من خطوط خارجية ، حطمت قياداتنا الميدانية دفاعات العدو ، ودمر مقاتلونا البواسل قلاع خط باريف الحصين فيما لا يتجاوز الست ساعات .. « وقد أمسكت هذه العمليات بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية .. وتلك حقيقة لا تقبل الجدل(٢) .. » .

ثم رضخت اسرائيل للواقع الأليم ، واضطرت الى الاعلان عن أنها طردت من خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة ، وكانت هذه واحدة من أسوأ النكسات العسكرية فى تاريخ اسرائيل ، خاصة بعد أن اطمأن الاسرائيليون الى ما أكده لهم صقرهم المختال الجنرال موشى ديان فى ساعات الحرب الأولى من أن النصر رهن اشارته ، وأنه سوف يحرزه فى بضعة أيام .

ثم لا تمضى هذه الأيام حتى يخرج المختال بتصريح يذهل الجماهير ، فيظلوا فى ذهولهم لا يفيقون منه ، اذ يقول .. « ان خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسرى ، به من الثقوب أكثر مما به من الجبن .. وترتب على هذا العبث بالعقول أن انهارت سمعة ديان نفسه .. التى أصبحت بها من الثقوب أكثر مما بها من الثقة(٣) .. » .

---

(١) الجنرال عوزى ناركيس .

(٢) توماس تشيتهام ـ تل أبيب ـ ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٣) مراسل وكالة يونايتدبرس انترناشيونال ـ تل أبيب ـ ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ .

وتتسع الثقوب فى سمعة زعيم المؤسسة العسكرية وطاووسها المختال عندما تضطره الحقائق الى الاعتراف ·· « بأن حرب أكتوبر كانت بمثابة زلزال تعرضت له اسرائيل ، وان ما حدث في هذه الحرب قد أزال الغبار عن العيون ، وأظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها ، وأدى كل ذلك الى تغيير عقلية القادة الاسرائيليين ، ان أشد أيام اسرائيل العصيبة لم تمر بنا بعد ، وعلينا أن نظل صامدين فى فترة المحنة التى ما زالت أمامنا[1] ·· » ·

وكما تهاوت سمعة جنرالات اسرائيل وطاووسها المختال ، حطمت حرب رمضان نظرية الأمن القومى الاسرائيلى ، وخدعة الحدود الآمنة ، وثبت للعالم أجمع أنها لاتعدو وسيلة شيطانية لمواصلة الغزو والتوسع ، ورسم الخرائط الجائرة ، وفرض الأمر الواقع المجحف ، كأن صاحب الحق قد غفل عما يمتلك وتركه نهبا لكل نصاب أو أفاق زنيم ، حتى أجبر واقع الأمر اسرائيل ·· « أن تتخلص من الفكرة القائلة بأن أمنها يمكن حمايته بسياسة تقوم على مجرد الاحتفاظ بالأرض دون برنامج سياسى وراءها[2] ·· » ·

··· « وتحتم على اسرائيل أن تتخلى عن خرافة الأمن العسكرى المطلق عن طريق احتلال الأرض ، مع الاعتراف بأن الأمن العسكرى المطلق لدولة ما يعنى عدم الأمن المطلق للدول المجاورة لها[3] ·· » ·

··· « وأدرك الاسرائيليون أخيرا أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق بمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن أصبحت هالة دولتهم التى لا تقهر موضع تساؤل[4] ·· » ·

☆☆☆☆☆☆☆☆

---

(١) الجنرال موشى ديان ـ وكالات الأنباء ـ تل ابيب ـ ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣ ·
(٢) الديلى تلجراف اللندنية ـ ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ ·
(٣) السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ـ ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ ·
(٤) جيمس شليزنجر ـ وزير الدفاع الأمريكى ـ ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ ·

لقد أتاحت حرب رمضان ثماراً كثيرة لأمة العرب ، وفي عدة ميادين :

• **ففي المجال الدولي** كان السادس من أكتوبر نقطة التحول في علاقة العرب بالعالم أجمع ، اذ فرضوا على الكافة احترامهم وحساب بأسهم ، وأظهروا للجميع أنهم أمة عريقة ذات ماض تليـد وحاضر مجيد ومستقبل مشرق بالأمل والرفعة ..

... « وأصبح الاسرائيليون من الجندي الذي يقف على خط النار الى الوزير في الحكومة ينظرون الى العرب نظرة مختلفة بعد حرب رمضان[1] .. » .

.. « ودخل العالم نتيجة لحرب أكتوبر ـ في مرحلة اقتصادية جديدة ، ولن تعود أحوال العالم الى سابق عهدها قبل هذه الحرب[2] .. » .

• **وفي المجال العربي** كان السادس من أكتـوبر علامة فخار على طريق التجمع العربي الجـاد ، اذ أظهر أصالة معدن العرب ، وكشف عن متانة العـروة الوثقى التي لا انفصـام لها ، التي تجمع شملهم . وتأكد اصرار العرب كافة على حمل المسئولية التاريخية ، والاستعداد للبذل والفداء ، حتى يتم تحرير الأرض ، كل الأرض ، واستعادة الحقوق ، كل الحقوق ، وتحقيق النصر المؤزر .

« لقد جاءت حرب رمضان بفجائية لا يدانيها غير الأداء العسكري العربي الممتاز ، ووجد مائة مليـون عربي أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على أنفسهم هي الوحدة . ومهما يكن ، فان السبب الرئيسي لهذه الوحدة العربية هو بوضوح وقبل كل شيء ذلك النجاح العربي الذي تحقق لهم في ميدان القتال ، وفي فرض الحظر العربي على امدادات البترول[3] .. » .

... « كما استعاد الجيشان المصري والسوري شرفهما ، وهذا عامل جديد سوف يؤثر على المستقبل في النرق الأوسط كله[4] .. » .

---

(١) برنس سمث ـ مراسل وكاله ن. ي. ت ـ تل ابيب ـ ٢ دسمبر ١٩٧٣ .
(٢) بير مسمر ـ رئيس وزراء فرنسا ـ ى. ب. أ ـ باريس ـ ٧ يناير ١٩٧٤ .
(٣) مجله نيوزويك ـ ١٧ دسمبر ١٩٧٣ .
(٤) درو مدلتون ـ الخبير الأمريكي في شئون السرق الأوسط ـ وكالة ن. ي. ت ـ ١٤ اكتوبر ١٩٧٣ .

● وفى معسكر العدو حدث تفكك كبير فى سلسلة القيادة الاسرائيلية ، وتفسخ خطير فى روابط الثقة بين الحاكم والمحكوم والقائد والمرؤوس ، ورغما عما يدعيه مقر القيادة العامة الاسرائيلية بعد المعركة من أنه كان فى حالة تأهب تام قبل اندلاعها .. فالواضح أن القوات الاسرائيلية على الجبهتين الشمالية والجنوبية لم تبلغ بشىء .

وبالنسبة للكثير كان أول ما عرفوه من مظاهر الحرب هو نيران المدفعية الكثيفة التى انهالت عليهم ، وانطلاق طائرات الميج فوق رؤسهم فى هجوم مباغت .. ولم يكن الجنود وصغار الضباط هم وحدهم الذين فوجئوا وقد نشروا غسيلهم على خطوط الجولان وبارليف ، بل كان الأمر كذلك بالنسبة للجنرالات ، اذ أنهم بعد نجاحهم فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ تملك الاسرائيليون احساس بالغطرسة والزهو الكاذب ، وقد لعب المصريون بمهارة على نقطة الضعف هذه ..

... « لقد ثارت اتهامات مريرة ضد الجيش الاسرائيلى على أساس أن تقديرات المخابرات والسلطات العسكرية لم تكن خاطئة فحسب ، بل أن أجهزة الدفاع الاسرائيلى نفسها كانت منحلة ، لقد كان النظام يقتضى أن تتم التعبئة خلال ٢٤ ساعة ، وأن يرسل المقاتلون الى جبهات القتال خلال ٤٨ ساعة ولكن التعبئة جرى خفضها زمنيا الى ٦ ساعات فحسب ، بسبب نجاح العرب فى تحقيق المفاجأة الكاملة ، وعلى ذلك لم يعد من المدهش أن تعم الفوضى قوات الدفاع الاسرائيلى[1] .. » .

... « ان أول ما يجب علينا عمله هو أن نعيد بناء جهاز مخابرات اسرائيل حتى يستطيع الحصول على معلومات سليمة ودقيقة[2] .. » .

... « اذ فاجأتنا حرب أكتوبر على نحو لم نكن نتوقعه ، ولم تحذرنا أية حكومة أجنبية بوجود أى خطط محددة لأى هجوم عربى[3] .. » .

... « ولم يكن تقييمنا لمدى كفاءة العرب وقدرتهم القتالية سليما ، رغم اننا كنا نعلم مقدما بطبيعة أسلحتهم وحجم قواتهم ، وبالجسور التى أعدوها لعبور قناة السويس[4] .. » .

---

(١) ونستون تشرشل الحفيد ـ مؤلف كتاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .

(٢) الحاخام ابراهام كاهان ـ جريدة هامودیع ـ ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٣) هنرى كيسنجر ـ وزير خارجية الولايات المتحدة ـ ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣

(٤) الجنرال موشى ديان ـ تل أبيب ـ ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣ .

... « ومنذ أن سرى مفعول وقف اطلاق النار تبادلت الأحاديث مع عشرات من الجنود والشخصيات فى القيادة العسكرية والسياسية وقد توصلت من خلال هذه الأحاديث الى عدد من النتائج المحزنة :

- فأولا : أنه نشأ انقسام واضح بين غالبية القيادة السياسية والعسكرية وبين جماهير الشعب والجنود ، فالذين فى القمة لا يحسون كما ينبغى بمشاعر الشعب ، ولا أقصد بقولى الجبهة الداخلية المتأرجحة من النقيض الى النقيض فقط ، بل أيضا جمهرة الجنود النظاميين والاحتياطيين ، الذين بقيت فى أذهانهم أسئلة لا حد لها ، لا يجدون أجوبة لها ..

- وثانيا : ولم أجد شخصا فى القيادة مستعد لأن يستخلص فورا النتائج الشخصية فيما يتعلق بالتقصير الذى حدث ويستقيل ، وليس ثمة شخص يفكر فى الذهاب ، والمتحدثون يتكلمون عن امكان ذهاب الآخرين لا ذهابهم هم .. واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هى الانقسامات الجديدة التى نشأت فى القمة .. فالأشخاص ينظمون أنفسهم للحماية المتبادلة . والحقيقة هى أن كل شخص يخشى زميله . ونشأت ظاهرة هى أن الأشخاص المتورطين فى التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن أنفسهم وتجريم الآخرين اذ تطلب الأمر ، انهم يجمعون وثائق وأشرطة تسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود ..

- وثالثا : ان الاستقصاءات والتحقيقات التى تمت حتى الآن يغلب عليها طابع استخلاص دروس تثقيفية ، كما لو أن مناورة كبرى قد انتهت توا وحدثت فيها أخطاء معينة ، وليس هذا تحقيقا هدفه تحديد التقصير واكتشاف المسئولين عنه ، ومن الصعب فهم لماذا لم يفصل رئيس الأركان هذا القائد أو ذاك ممن فشلوا فى تأدية واجباتهم ، وعلاوة على ذلك فيبدو أن سير التحقيق بطىء ، وليس نشطا بالدرجة المطلوبة[1] .. » .

---

(١) زيف شيف ـ الناقد العسكرى لجريدة هاآرتس الاسرائيلية ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ .

الآثار الاجتماعية لحرب رمضان على المجتمع الاسرائيلي

من الحقائق المعروفة أن التاريخ لايعرف الوقوف عند زمن محدد يكون فاصلا حاسما بين حقبتين متمايزتين ، ذلك لأن مجراه الديناميكى المتتابع ، تتفاعل فى تياراته عناصر شتى بصورة مستمرة ، حيث يتصارع القديم مع الجديد فى حركة جدلية لا تتوقف أبدا • وعلى ذلك ، يمكن القول أن تيارات التغير المرتقبة فى المجتمع الاسرائيلي لابد لها أن تحمل طابع التكامل والتناقض والاستمرار والانقطاع من خلال عملية مستمرة أبدا •

فى ضوء ذلك ، يمكن القول أن التغيرات المرتقبة لحرب رمضان على المجتمع الاسرائيلي ستأخذ صورة أو أكثر من صور العمليات الاجتماعية التالية :

1. فهى اما أن تكون تدعيما لعمليات كانت تأخذ مجراها فعلا فى المجتمع الاسرائيلي قبل عام ١٩٧٣ •
2. واما أن تكون انقطاعا فى عمليات اجتماعية كانت سارية •
3. واما أن تكون أخيرا ظهورا لعمليات اجتماعية ولظواهر لم تكن موجودة من قبل فى المجتمع الاسرائيلي ، أو كانت ـ على الأرجح ـ كامنة ثم كشفت عنها بوضوح حرب رمضان •

التغيرات المرتقبة فى المجتمع الاسرائيلي بعد حرب رمضان

يمكن القول أن قيام حرب رمضان أدى الى اختلال الموازين الاسرائيلية والدولية اختلالا بالغ العنف ، اذ انتقل الصراع المتجمد الى الصدارة فى سلم الاهتمامات العالمية •

لقد كانت حرب رمضان ـ بتعبير عالم الاجتماع الفرنسى الصهيونى المعروف ريمون آرون فى مقال نشره فى الفيجارو بتاريخ ١٩٧٣/١١/٦ ـ من أكبر مفاجآت العصر •

وهذا الحكم فى الحقيقة يتضمن معنى التسليم الأعمى بالادعاءات الاسرائيلية عن ضعف العرب وانهيارهم واستسلامهم للأمر الواقع ، الذى تهيمن عليه اسرائيل •

والحقيقة أنه ترتب على تراجع الجيش الاسرائيلى أمام الجيوش العربيـة ، وارتفاع عدد خسائره البشرية ، أصداء بالغة العنف فى المجتمع الاسرائيلى ٠

وفى تقديرنا أن هناك تغيرا جوهريا سيطرأ على المجتمع الاسرائيلى نتيجة لهذه الحرب ، يتمثل فيما يمكن أن نطلق عليه التغير الجوهرى فى الاطار الادراكى للاسرائيليين ، ومن ناحية أخرى لابد أن تترك الحرب بصماتها على عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى التى كانت تأخذ مجراها قبل الحرب ٠

التغير الجوهرى فى الاطار الادراكى للاسرائيليين

لعل الاطار الادراكى للاسرائيليين ـ فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى ـ يتمثل أكثر ما يتمثل فى النظرة للذات والنظرة للآخر ، والآخر هنا هم العـرب بطبيعة الأحـوال ٠ والنظرة الاسرائيليـة للذات تتضمن تصـورا محـددا لدولة اسرائيل : دورها ورسالتها ، ومن ناحية أخرى صورة ذاتية عن الاسرائيليين كأفراد وكشعب ، ولعـل السمة الأساسية لتصور اسرائيل لدورها ورسالتها كونه تصورا يسيطر عليه الوعى الزائف بكل ما تعنيه الكلمة من معان ٠

فقد ألحت اسرائيل على تقديم صورة لنفسها أمام العالم الغربى باعتبارها مثلا للحضارة الغربية وللتقدم التكنولوجى فى العالم العربى الذى يسوده التخلف ٠ ومن ناحية علاقات القوة ، فاسرائيل هى المخفر الأمامى للمصالح الغربية بوجه عام والأمريكية بوجه خاص ٠ ومن خـلال قوتها العسكرية أعطت لنفسها دور « رجل الشرطة » فى المنطقة الذى يستطيع حينما يشاء وحيثما يريد ردع العرب واخضاعهم ٠

أما رسالة اسرائيل فهى رسالة روحية منفردة فى العالم ، لايمكن لأى شعب تحقيقها سوى الشعب اليهودى فى اسرائيل ٠ أما الصورة الذاتية للاسرائيليين عن أنفسهم كأفراد وكشعب ، فيسيطر عليها الاحساس بالتمايز ، حيث يشعرون فى قرارة أنفسهم بسموهم على غيرهم من الشعوب ، وعلى الشعب العربى ـ الطرف الآخر فى الصراع ـ بوجه خاص ٠

لقد وضع الاسرائيليون ثقتهم فى قادتهم السياسيين والعسكريين ، وتضخمت ذواتهم بوجه خاص عقب الانتصار الاسرائيلى الكاسح فى يونيو ١٩٦٧ وأصبحوا يتصورون أنهم أصبحوا سادة المنطقة الى الأبد ٠

لكل ذلك كانت حرب رمضان وما صحبها من تراجع للجيش الاسرائيلى ، وبروز للقوة الحقيقية للجيوش العربية ، بمثابة الصدمة الساحقة التى أصابت الاسرائيليين بالبلبلة ، والحيرة والاضطراب •

ولعل أبلغ وصف لهذه الحالة النفسية ما ذهبت اليه جريدة يديعوت أحرونوت من « أننا نحس كما لو كنا نعيش بعد زلزال أصاب بلادنا » •

ومما له دلالة كبرى بهذا الصدد ، تقطع وسائل الاتصال التقليدية فى المجتمع الاسرائيلى ، فقد أحس الاسرائيليون أنهم لايستطيعون التعبير عن أنفسهم من خلال القنوات المعتادة : الأحزاب السياسية والمؤسسات الاجتماعية •

ومن هنا برزت ظاهرة ليس لها سابقة من قبل فى اسرائيل ، هى ظهور اعلانات مدفوعة فى الجرائد الاسرائيلية لجماعات مختلفة من الاسرائيليين ، يعبرون فيها كل بطريقته وبحسب ميوله وآرائه السياسية عن رد فعلهم العنيف ازاء ما حدث لاسرائيل فى حرب رمضان • وتراوحت ما تنادى به هذه الاعلانات بين الدعوة الى مزيد من التشدد ، والمناداة بضرورة تحقيق السلام ولو على حساب الأراضى العربية المحتلة •

وظهرت فجوة واضحة بين الجماهير والحكومة ، حدثت فجوة تصديق ، كشفت عنها المظاهرات التى ثارت أمام الكنيست أثناء القاء جولدا مائير لخطاب لها ، وكان من شعاراتها « ان شعب اسرائيل قوى ، ولكن حكومته ضعيفة » •

وابتدأت بوادر تهاوى الوعى الزائف بدور اسرائيل ، فيما بدأ يظهر من مقالات لكتاب يهود واسرائيليين يتحدثون بصراحة عن « نهاية دولة اسرائيل الكبرى[1] •• » •

ويقرر سيجلمان أن « عقدة الدولة الاسرائيلية الكبرى التى تقف فى مواجهة جيرانها العرب ، والتى كانت راسخة تماما ، ومستحكمة للغاية ، ومنذ مالا يزيد عن شهرين ، اختفت هذه الدولة تماما ، بدون أن تخلف أية آثار » •

وفى نفس هذا الاتجاه صرحت جولدا مائير فى مؤتمر الدولية الاشتراكية فى لندن « أنه لأمر فظيع أن نكون دولة صغيرة تقف بمفردها » غير أنه ينبغى ألا يغيب عن بالنا أن اسرائيل دأبت على ممارسة اللعب على الفكرتين حسب الظروف والأحوال : اسرائيل الكبرى واسرائيل الصغرى •

(١) فيكتور سيجلمان ـ لونوفل اوبزرفاتور الفرنسية ـ ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ •

ولا تعنى الكتابات والتصريحات السـابقة أن الأحلام الخاصة باسرائيـل الكبرى قد تبددت • ومع ذلك فمن المشروع أن نستنتج أنه نتيجة لحرب رمضان لابد أن تثور تساؤلات جماهير الاسرائيليين حول امكانية السير فى طريق اسرائيل الكبرى ، بعد ما تبين ـ نتيجة لحرب رمضان ـ الحدود الدولية والاقليمية التى تقف حائلا دون تحقيق هذا الحلم ، ليس على مستوى المناقشة النظرية ، ولكن على أساس التطبيق ، وفى ضوء ما حدث فى الحرب الأخيرة •

وأهم ما نريد أن نركز عليه أنه قد حدث خلل جسيم فى مكونات الاطار الادراكى للاسرائيليين نتيجة لحرب رمضان • غير أن الاسرائيليين لايمكن لهم ـ من وجهة النظر النفسية ـ تغيير اتجاهاتهم ازاء أنفسهم وازاء العرب فى فتـرة قصيرة •

ولذلك نتوقع أن الوعى الاسرائيلى سيمر فى المرحلة القادمة فى مرحلة انتقالية غير محددة الملامح ، سيحاول فيها اعادة صياغة مكوناته الأساسية • فى هذه المرحلة سيقاوم الاسرائيليون قبول الحقائق الجديدة التى أسفرت عنها الحرب ، وسيتذبذبون بين أقصى التمسك بالمفاهيـم القديمة ، الى أقصى القبـول اللفظى للواقع الجديد •

ولعل ما يكشف عن ذلك كله ما يقرره فيكتور سيجلمان فى المقال السابق الاشارة اليه ، من أنه « اذا كان القادة الاسرائيليون يدعون أن اسرائيـل قد انتصرت فى الحـرب ، فان الاسرائيليين أنفسهم لايشـعرون بأنهم انتصروا على الاطلاق » •

ويتساءل عن اتجاه الاسرائيليين نحو السلام فيقول « أنهم يريدونه ، بل ويتمنونه ، ولا يكفون عن الحديث عنه ، ولكنهم لا يؤمنون به » واذا أردنا تحديد اتجاهات التغيير فى الوعى الاسرائيلى ، نتيجة للصدمة السيكلوجية التى نشأت عن حرب رمضان والتى استمرت طوال الحرب ، فيمكن القول أن الحرب أدت الى تكشيف اتجاهين فوريين فى الفكر الاسرائيلى •

❶ فمن ناحية تزايد الشعور بالحاجة الى تسوية سلام حقيقية ودائمة ، بعد فترة كان الرأى العام فى اسرائيل ، قد ركن الى حد كبير الى اعتقاد مريح بأن اسرائيل يمكنها أن تقف صامدة على حدود الأمر الواقع التى تم تأسيسها فى عام ١٩٦٧ •

❷ ومن ناحية أخرى ، فان الجرح الذى أصاب اسرائيل ، قد دعم مطالب أولئك الذين يتحدثون عن الحدود الآمنة التى يمكن الدفاع عنها •

ويقرر ريتشارد جونز فى مقاله « ثمن السلام قد يكون سقوط مائير فى الانتخابات[١] •• » ، ان هذان التياران الفكريان غالبا ما يتعايشان ، ويمكن تجمعهما فى فكر شخص واحد بدرجة أو بأخرى •

ولكن عندما أصبح الأمر يتعلق ـ فى الوقت الراهن ـ بمفاوضات سلام كبيرة ينبغى النظر اليهما على أنهما تياران متعارضان •

ويصل جونز الى نتيجة مفادها أنه سيكون لكيفية حل هذا التناقض وتحقيقه التعبير عنه ، مدلول حيوى بالنسبة لفرص السلام فى الشرق الأوسط •

ونستطيع جريا ـ مع بعض المعلقين السياسيين ـ التفرقة بين المدى القصير والمدى الطويل فى تغير اتجاهات الوعى الاسرائيلى ازاء الصراع ، ذلك على أساس أن عامل الزمن حاسم فى هذا المجال[٢] •

فعلى المدى القصير ، قد يجد دعاة التوسع مساندة واسعة فى الرأى العام الاسرائيلى •

أما على المدى الطويل ، فقد تسود مع ذلك وجهة النظر المعارضة ، التى يمكن أن تستند الى أن حرب رمضان قد أثبتت أن خطوط ١٩٦٧ ليست آمنة كلية ، وأنه لايمكن تحقيق أمن اسرائيل الا بعد التوصل الى سلام حقيقى ، وأن الحفاظ على الوضع الراهن يعمل ضد السلام •

هذه التفرقة بين المدى القصير والطويل أساسية ، ذلك أنها يمكن أن تتيح لنا أن نفهم بعض الظواهر النفسية الاجتماعية السائدة الآن فى المجتمع الاسرائيلى •

فبناء على قياسات الرأى العام التى أجريت فى اسرائيل عقب الحرب ، استخلص بعض المعلقين السياسيين (الصنداى تايمز البريطانية ـ ١٩٧٣/١١/٤) أن الرأى العام الاسرائيلى ـ فى الأمد الطويل ـ سيحبذ « الحمائم » الذين يدعون الاعتدال •

---

(١) الفاينانشال تايمز البريطانية ـ ٩ نوفمبر ١٩٧٣ •

(٢) يورام كيسيل ـ اسرائيل والسلام ـ جويش كرونيكل البريطانية ـ ٢ نوفمبر ١٩٧٣ •

غير أن أثر الحرب كان عاملا قصير الأمد في تشدد الرأى العام • فان كثيرين من الاسرائيليين فوجئوا فى نهاية حرب بالغة القسوة على اسرائيل ، بانصراف العطف الدولى عنهم ، فشعروا بأنهم معزولون محاصرون •

ومن الطبيعي في هذه الأحوال ـ بدون أدني شك ـ أن يسعى الشعب المحاصر الى البحث عن بطل يتوحد معه ، وفي هذا المجال لعب الجنرال أرييل شارون ، دور فارس الحرب الأصيل ، الذى قلب ميزان المعركة لصالح اسرائيل •

غير أنه فى يقيننا ، أنه لايمكن رصد اتجاهات التغير فى الوعى الاسرائيلى ، الا بعد مرور هذه المرحلة الانتقالية التى أشرنا الى سماتها الأساسية •

ولكن محصلة التغير الكيفى ، لن تعتمد فقط على عامل الزمن ، والشفاء من الصدمة السيكلوجية العنيفة التى نجمت عن الحرب ، ولكن أيضا على تفاوت مستويات الوعى الاسرائيلى • هنا لابد أن نفرق تفرقة واضحة بين مستويات ثلاث : مستوى الصفوة السياسية ، ومستوى العلماء والمفكرين الاجتماعيين ، ومستوى الرأى العام الاسرائيلى •

ان التغيرات فى الوعى الاسرائيلى على مستوى الصفوة السياسية عملية بالغة التعقيد • لأنها من ناحية تعتمد على الخلافات التكتيكية أو الاستراتيجية بين أعضاء هذه الصفوة فيما يتعلق بمواقفهم من الصراع العربى الاسرائيلى من ناحية ، وعلى قدرتهم على التكيف مع الحقائق الجديدة التى ترتبت على حرب رمضان من ناحية أخرى •

وفى تقديرنا أن مقاومة أعضاء الصفوة الاسرائيلية المتشددين ستزداد عنفا وضراوة فى المرحلة القادمة • فليس ميسورا على من صاغوا الاستراتيجية الأساسية للتعامل مع العرب بكل ما تتضمنه من أوهام اسرائيل الكبرى ، وسياسة التوسع ، وضم الأراضى ، وعبادة القوة والاعتماد عليها ، والتضخيم فى الذات الاسرائيلية ، والتهوين من شأن العرب •• ليس ميسورا عليهم أن يتراجعوا تراجعا جوهريا فى موقفهم •

وقد يلعب المعتدلون هنا دورا هاما فى اعادة الوعى الاسرائيلى على مستوى الجماهير ، حتى يكون أكثر تطابقا مع الواقع الجديد •

ويأتى بعد ذلك المستوى الثانى ، وهم العلماء والمفكرون الاجتماعيون ، الذين أسهموا بدورهم فى صياغة صورة الذات الاسرائيلية ، وصورة الشخصية

العربية • ان هذه الفئة ـ نزولا على الاعتبارات الأكاديميــة التى وان كان من الممكن ، كما فعلوا ، الانحراف عنها ، وخصوصا فى سنوات العجز العربى عقب حـرب يونيو ١٩٦٧ ـ لن يستطيعوا طويلا الاستمرار فى خديعة الرأى العـام الاسرائيلى ، ولابد لهـم أن يعيدوا صياغة نظرياتهم التى جهدوا فى صياغتهـا والترويج لهـا •

ولعل بدايات الحديث فى اسرائيــل عن القدرة المنسية للمقاتل العربى ، التى ردمت تحت رمال الصلف والغرور الاسرائيلى ، الذى كان رد فعل للنصر الاسرائيلى فى ١٩٦٧ ، تشير الى هذا التحول الذى لابد له أن يتم •

ولا يبقى أمامنا سوى المستوى الثالث الخاص بالرأى العام الاسرائيلى • وفى تقديرنا أن تغير الوعى لدى الرأى العام الاسرائيلى نتيجة لحرب رمضان سـيتم بمعـدل أسرع من معدل تغير الصـفوة السياسية والعلماء والمفكرين • ذلك أن الحقائق السياسية والعسكرية الصلبة تكون أقوى نفاذا الى هذا الوعى ، خصوصا بالنسبة لحرب تساقط فيها ـ لأول مرة فى تاريخ اسرائيل ـ آلاف القتلى والجرحى ، ووقع مئات الأسرى فى أيدى القوات العربية •

ولعل مما سيساعد على هذا التغير نتائج الاتصال الواسع المدى مع العرب ، الذى تم تحت مظلة سياسة الجسور المفتوحة ، التى سبق أن اشرنا اليها ، غير أن هذا الاتصال السلمى ، أضيف اليه فى حرب رمضان اتصال عدائى بين القوات المسلحة الاسرائيلية والقوات المسلحة العربية •

وقد تكون هذه هى المرة الأولى التى يكتشف فيها المقاتل الاسرائيلى ـ على نطاق واسع وبصورة حادة وقاسية ـ المقاتل العربى وقدراته • ولابد للأفكار القومية النمطية الثابتة التى كان يعتنقها الاسرائيليون عن العرب ، أن تتهاوى تحت وطأة هذا الاكتشاف • لن يحدث ذلك فورا بطبيعة الأحوال ، ولكن لاشك أن حرب رمضان من شأنها اطلاق بدايات هذا التغير •

عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الإسرائيلى

- ما هو أثر حرب رمضان على عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى ؟

ان ذلك يرتبط بالمشكلات النوعية التى كانت تجابه المجتمع الاسرائيلى قبل الحرب والتى يمكن حصرها فى اربع مشكلات : الصراع الطبقى والسلالى ، والصراع بين الأجيال ، والاغتراب والتفكك الاجتماعى ، واستراتيجية التعامل مع العرب •

❶ وفى تقديرنا أن تأثير حرب رمضان على الصراع الطبقى والسلالى سيكون حاسما • بعبارة أخرى نتوقع ـ نتيجة للأعباء المالية الباهظة التى وقعت على اسرائيل نتيجة للحرب ـ بالاضافة الى الخسارة الاقتصادية الضخمة نتيجة لنقص الانتاج وتوقفه فى بعض القطاعات ـ أن تزداد أعباء الضرائب على الاسرائيلى العادى •

هؤلاء الاسرائيليون سبق لهم أن خاضوا معارك شتى من خلال الاضرابات ووسائل الصراع الاجتماعى الأخرى ، لتحسين احوالهم المعيشية • ولذلك يتوقع زيادة تبلور الوعى الطبقى بين الفئات الاجتماعية الاسرائيلية ، مما من شانه أن يلعب البعد الطبقى ـ على المدى البعيد ـ ومواكبا لاكتمال صياغة المجتمع الاسرائيلى على نسق المجتمعات الرأسمالية الاستهلاكية ـ دورا أكثر بروزا من الدور الذى يلعبه المبدأ السلالى •

وفى نفس الوقت ستشهد المرحلة القادمة من تطور المجتمع الاسرائيلى تصاعدا للصراع السلالى بكل اشكاله • وسيتخذ هذا التصاعد صورة الصراع التقليدى الذى تمارسه الأقليات المتمايزة فى المجتمعات التعددية ، بما يتضمن ذلك من الحفاظ على رموز الحضارات الفرعية وتنميتها والتوحد مع قيمتها ازاء قيم المجتمع السائدة ، وابتداع صور شتى للتعبير السياسى والاجتماعى عن قيمها ومصالحها الاجتماعية والطبقية •

وقد يرجح هذه الاحتمالات جميعا ، الامكانيات المطروحة لتحقيق تسوية سلمية بين اسرائيل والعرب • ان تحقق ذلك ، فلا مناص من أن يفعل قانون الصراع الرئيسى فى المجتمع الاسرائيلى فعله ، وهو الذى يقوم على قاعدة مؤداها : اذا اختفى الصراع المسلح بين اسرائيل والعالم العربى ، ظهر الصراع الاجتماعى المكتوم والمقيد الى السطح •

❷ ونتوقع أن تكون لحرب رمضان وقع شـديد على مسـار الصراعات السابقة والحالية بين أجيال الصفوة السياسية الاسرائيلية الحاكمة • وقد تكون الحرب هي المعول الذى سيأتى على آخر الأرصدة المتبقية للحرس القديم الاسرائيلى •

ولعل صيحة يورى أفنيرى « هل نترك حكامنا يردون على قضايا جديدة بأجوبة قديمة ؟ » ، تشير الى اتجاهات الصراع العنيف الذى سيشتد فى المرحلة القادمة ، بين الصفوة الاسرائيلية التقليدية ، والصفوة الشابة التى يكافح أعضاؤها لكى يأخذوا فرصتهم فى الحكم واتخاذ القرار •

وقد تكون طبيعة المرحلة القادمة ، التى لن يتاح فيها لاسرائيل ممارسة دورها القديم الذى سقط فى أكتوبر ١٩٧٣ ، هى الأرضية التى قد تسمح لأعضاء هذه الصفوة أن تزحف الى الصفوف الأولى •

أما الصراع بين الصفوة السياسية وجماهير الشباب الاسرائيلى فيتوقع أن تزداد حدته نتيجة للنتائج المخيبة للآمـال التى حققها الجيش الاسرائيلى فى ميدان القتـال ، ولتساقط كثير من الدعاوى والأساطير الاسرائيلية •

❸ ان مظاهر الاغتراب والتفكك الاجتماعى ، يتوقع أن تزيد حدتها فى المرحلة المقبلة ، ما لم تحدث عملية اعادة صياغة خلاقة لنسق القيم فى المجتمع الاسرائيلى ، حتى تكون أكثر انسانية •

غير أن هذه عملية بالغة التعقيد ، يختلط فيهـا الوعى الزائف بالوعى الحقيقى ، وتؤثر عليها ارتباطات تاريخية وعاطفية بقيم قديمة قام عليها المشروع الصهيونى منذ البداية ، ولذلك لا نتوقع أن تتم هذه العملية فى المدى القريب مما سيترتب عليه شيوع حالة من حالات « تصدع القيم » ، حيث يفتقر الناس الى مستويات خلقية للحكم على السلوك الاجتماعى •

وسيساعد على ذلك الآثار المتزايدة لتداعى المجتمع الأيديولوجى القديم واكتمال ملامح المجتمع الصناعى الاستهلاكى الجديد ، بما يتضمنه من تفاوت طبقى حاد ، مما يؤدى الى شيوع مشاعر الاحباط القاسية لدى أعضاء الفئات الاجتماعية المحرومة •

غير أنه أخطر من ذلك كله ، نتوقع أن تزداد حدة الاتجاه السلبي الذى كان سائدا بين الشباب الاسرائيلى من قبل ازاء الحرب •

فحرب رمضان ، بما تضمنته من سقوط آلاف القتلى الاسرائيليين ، ستترك آثارا عميقة فى وعى الشباب الاسرائيلى ، ستؤدى الى الاقتناع بعبثية السياسة الاسرائيلية التقليدية •

❹ وتبقى أخيرا التغيرات التى ستطرأ على نظرة الاسرائيليين الى العرب • مضى الزمن الذى كان يمكن فيه التهوين من شأن العربى ، والتلويح بعجزه وتخلفه ، فمن خلال معارك أكتوبر ، تساقطت الأوهام الاسرائيلية ، وظهرت الحقائق العربية •

وخلاصة دراستنا ، أن حرب رمضان ستكون بداية لتغيرات واسعة المدى فى بنية المجتمع الاسرائيلى ، وفى نسق القيم الذى يصدر عنه ، فى الاتجاهات التى تسود بين الاسرائيليين ، غير أن التغيرات الاجتماعية ، لابد لها أن تتفاعل عبر مراحل زمنية كاملة ، حتى تظهر آثارها (×) •

□ وعن الاقتصاد الإسرائيلى

صرح حاييم بارليف وزير التجارة والصناعة الاسرائيلى لجريدة هاآرتس فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ بأن ٧٧ ألفا (يشكلون ٢٧٪) من مجموع ٢٩٥ ألف عامل فى الصناعة ، لايزالون حتى الآن مجندين ••

وذكر بارليف : لقد وصل التصدير الصناعى ، خلال أكتوبر الى ٧٤ مليون دولار مقابل ٩٠ مليون دولار عن الشهر نفسه من السنة الماضية • كذلك فان الطلب على منتجات البناء قد تقلص ، لأن أعمال البناء تدهورت بنسبة ٤٠٪ من حجمها العادى •• ولقد كان الطلب على منتجات صناعة الأغذية عاديا ، أما الطلب على الفراء والحلى فقد تقلص حتى الصفر تقريبا لعدم وجود سياح • ولقد بلغ حجم النشاط التجارى ، خلال أكتوبر ، نحو ٣٠٪ من حجمه العادى ••

(×) هذه الدراسة التحليلية بقلم الأستاذ السيد يس رئيس وحدة بحوث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

وكشف الوزير أيضا أنه فى عشية الحرب كان نصف انتاج فروع الصلب والالكترونات ووسائل النقل معدا لخدمة جهاز الدفاع ٠ ولكن بسبب الطلبات الكبيرة الجديدة التى وجهت الى مصانع كثيرة خلال الأسابيع الأخيرة ، ستكون المصانع ملزمة بتحويل من ٧٠٪ الى ٧٥٪ من انتاجها خلال السنة المقبلة لحاجات جهاز الدفاع ٠٠

وأضاف بارليف أنه ينبغى تخطيط النشاط للأشهر القادمة ، ربما لثلاثة أشهر وربما لثمانية ، بحيث يبقى الآلاف من عمال الصناعة مجندين فى الاحتياط ٠

وعلق يوفال اليتسور الاقتصـادى الاسرائيلى الشهير فى جريدة معاريف يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الراهن للاقتصـاد الاسرائيلى بقوله « انه اذا ما استمر وقف اطلاق النار ، أو اذا تجددت الحرب ، فان الاقتصاد الاسرائيلى لن يعود ، خلال الأسابيع القريبة ، الى وضع من الاستقرار ٠ ويمكن الافتراض أيضا ، أن الظروف التى سـادت بالنسبة له قبـل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لن تعود ثانية ٠٠ ان عملية تسريح الاحتياط ستكون هذه المرة ، بحسب كل الدلائل ، بطيئة أكثـر مما كانت عليه فى المـاضى ، كذلك فان الانتقال الى فترة الأعمال العادية ستكون هذه المرة أطول » ٠٠

وأضاف اليتسور أنه يتوقع أن يتسم النشاط الاقتصادى فى الفترة التى تلى الحرب بطابع شد الأحزمة ٠٠ « واذا ما وضعنا فى الحسبان زيادة الضرائب أيضا ، وكذلك تقلص المساعدات المـالية (الحكومية) للحاجات الضرورية ــ وهى اجراءات كان من الواجب على أية حال اتخاذها بعد الانتخابات لانقاذ الاقتصاد من حمى التضخم التى أصابته قبل نشوب القتال ــ فانه من الواضح أنه سـتكون هناك حاجة الى تقليص مستوى المعيشة فى الاقتصاد الاسرائيلى خلال السنة أو السنتين المقبلتين بنحو ١٠٪ على الأقل » ٠٠

« لقد استمعت اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التـابعة لمجلس النواب الأمريكى فى طوافها بمختلف الدوائر الحكومية الاسرائيلية بعد الحرب فيما بين ١٧ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ الى تقارير من وزارة المـالية الاسرائيلية تؤكد حاجة اسرائيل الى المساعدة المـالية العاجلة ٠



- لنكرم بالحب وبالتقدير وبالعرفان أبطالنا ضباطنا وجنودنا وشهداءنا الذين رفعوا فى العالم رأسنا وأكدوا فى الدنيا شرفنا وحقنا وسطروا فى العاشر من رمضان أروع صفحة فى تاريخنا .

حافظ بدوى

رئيس مجلس الشعب

- لنشرف أولئك الذين دفعوا من حياتهم للدفاع عن الوطن وكل أولئك الذين قاموا بأعمال بطولية خلال المعارك .

جوزيف موبوتو

رئيس جمهورية زائير

- فى اللحظة التى نستمطر فيها شآبيب الرحمة على شهدائنا الأبرار ، نشعر أيضا بالعزة وبالفخر .

العقيد معمر القذافى

رئيس مجلس قيادة الثورة

بالجمهورية العربية الليبية

- ان تضحيات الشعب المصرى هى التى زادت من فعالية الصواريخ .. وهى التى ضاعفت من قوة انطلاق المدافع .. وهى التى ضاعفت أيضا من صلابة الدبابات وشراسة الطائرات .

الرئيس انور السادات

(جلسة تكريم الأبطال بمجلس الشعب - ١٩ فبراير ١٩٧٤)



● **الرئيس السادات :**

« أحمد الله أننا وصلنا لهذه اللحظة لنضع اللمسات الأخيرة على العمل ونقول للعالم أننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته فى نفسه وفيكم ، وأنا واثق أن كل فرد فى قواتنا المسلحة سيؤدى واجبه كاملا لاحساسه بمسئولياته تجاه وطنه وسأتحمل معكم المسئولية كاملة تاريخيا وماديا ومعنويا ٠٠ وفى نفس الوقت أثق ثقة كاملة فيكم وأنكم ستتصرفون بكل ثقة واطمئنان وحرية ٠٠ » ٠

● **المشير أحمد اسماعيل :**

« باسم القادة وباسم القوات المسلحة نعاهدكم ونعاهد شعبنا أن نبذل أقصى جهد يتحمله بشر لتحقيق النصر لبلدنا ولتثقوا سيادتكم فى أن كل القادة متفائلون وفى مقدورهم تحقيق مهامهم وأننا نشترك جميعا معكم فى المسئولية فجميعنا مسئولون عن بلدنا معكم » ٠

(من وقائع المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية ـ اكتوبر ١٩٧٣)

فبينما كلفتها حرب يونيو ١٩٦٧ حوالى مليون دولار فى اليوم الواحد ، اذ بحرب أكتوبر ١٩٧٣ تكلفها حوالى ٢٥٠ مليون دولار فى اليوم • أى أن مجموع ما أنفقته اسرائيل على هذه الحرب تجاوز ٦ بلايين دولار ، ووصلت قيمة مجموع واردات الدفاع الاسرائيلى عام ١٩٧٣ الى حوالى ١٫٨ مليون دولار ، أى أكثر ١١ مرة منها عام ١٩٦٧ •

وهذا الرقم يشكل حوالى ثلث مجموع وارداتها عام ١٩٧٣ • وقد أنفق ما يزيد على ٤٠٪ من اجمالى الناتج القومى الاسرائيلى على شئون الدفاع ومطالبه عام ١٩٧٣ • ووصل مجموع الديون الخارجية الى ٥ ملايين دولار ، أى بواقع ١٥٠٠ دولار لكل مواطن اسرائيلى ، كما وصلت أقساط سداد هذه الديون الى ٨٠٠ مليون دولار سنويا ، أى ما يعادل نصف مجموع احتياطى اسرائيل من النقد •

وكمثال على ضخامة العبء الضريبى على المواطن الاسرائيلى فان الفرد الذى يحصل على ألف دولار شهريا يصل صافى راتبه بعد استقطاع الضرائب المختلفة الى ٤٥٠ دولار فى الشهر[1] •• » •

****

حصيلة الملحمة

بقيت في الملحمة جولتان ، جولة فى فكر القادة والرؤساء الذين خططوا الهجوم وأداروه ، وجولة أخرى فى فكر أبرز فلاسفة الحرب المعاصرين عن الدروس المستفادة من حرب رمضان ••

◆ فيقول الفريق اول احمد اسماعيل « لنذكر بالفخار دائما شهداءنا الأبرار ، وقد كان أول من بذل حياته فداء للوطن هو الشهيد العميد شفيق مترى سدراك قائد اللواء ١٦ المشاة ، الذى جاد بروحه وهو على رأس جنوده[2] •• » •

◆ ويقول الفريق سعد الشاذلى رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية « ان نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود • لقد كانت توجيهات السيد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، ومشاركته الدائمة فى

---

(١) من تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب الأمريكى فى الجلسة الأولى للدورة الثانية والتسعين للكونجرس الأمريكى ـ ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ •

(٢) مجلس الشعب ـ ٨ ديسمبر ١٩٧٣ •

مناقشة المسائل وايجاد الحلول لها خير موجه للقيادة العامة للقوات المسلحة وهى ترسم وتحسب كل الاحتمالات ٠

كما كان الفريق أول أحمد اسماعيل على قمة جهاز القيادة يشارك بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز والاعداد والتنفيذ ، حتى استطعنا فى النهاية أن نحقق فى ٦ اكتوبر نجاحا شهد به العالم اجمع ، وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار للعرب وقواتهم المسلحة[١] ٠٠ » ٠

• ويقول الفريق أحمد فؤاد ذكرى قائد القوات البحرية ٠٠ « كانت خطط البحرية تعتمد أساسا على مهاجمة العدو على جبهة عريضة فى البحرين الأبيض والأحمر ، مع استخدام أقصى جهد للوحدات البحرية خلال الأيام الأولى للعمليات ، واستغلال عامل المفاجأة الى أقصى حد مستطاع ، وتثبيت جهود العدو وارباك قيادته[٢] ٠٠ » ٠

• ويقول اللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى ٠٠ « ان سر تفوق الدفاع الجوى هو التخطيط الجيد ، واستيعاب الرجال للأسلحة الحديثة المعقدة ، وقدرتهم العالية على استعادة الموقف بسرعة ، واصلاح المعدات بحيث كانوا دائما على أهبة الاستعداد لملاقاة العدو ، وتكبيده خسائر حطمت معنويات الطيارين الاسرائيليين[٣] ٠٠ » ٠

• ويقول اللواء محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية ٠٠ « لقد أعطتنا نكسة ١٩٦٧ منطلقا جادا لاعادة بناء قواتنا الجوية من الأساس ٠ كما وفرت لنا خبرة عريضة ، وزودتنا بالدروس المستفادة التى كان لها فضل انشاء قوات جوية متطورة ، أمكنها تنفيذ أعقد المهام وأخطرها حيال الوطن[٤] ٠٠ » ٠

• ويقول اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة « ان الدور الرئيسى فى حسم هذه المعركة وتحقيق النصر كان للمقاتل المصرى الذى يتمتع بايمان راسخ وروح معنوية وقتالية عالية ، المؤمن بالهدف الذى يحارب من أجله[٥] ٠٠ » ٠

---

(١) الأخبار القاهرية ـ ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ ٠
(٢) الأهرام القاهرية ـ ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ ٠
(٣) الأهرام القاهرية ـ ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ٠
(٤) الأهرام القاهرية ـ ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ٠
(٥) تقرير رئيس هيئة العمليات امام مجلس الشعب ـ ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ ٠

◆ ويقول اللواء محمد سعد الدين مأمون قائد الجيش الثانى الميدانى ٠٠ « لقد كانت مشاعر الأهالى المدنيين فى أرض المعركة مدعاة للفخر والثناء ، فبمجرد أن هدرت نيران مدفعيتنا فى الجبهة ، واستمع المواطنون الى الجنود وهم يهللون بأعلى صوت ٠٠ الله أكبر ، الله أكبر ، هب الشباب والشيوخ والأطفال ، ذكورا وأناثا ، يقدمون المساعدة قدر طاقتهم ، ويشـاركون بوجدانهم وأجسامهم فى القتال المحتدم[١] ٠٠ » ٠

◆ ويقول اللواء محمد عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميدانى ٠٠ « وهؤلاء جنودى البواسـل ، لن يقف فى وجههم مانع مهما بلغت وعورته ، أو حصن مهما اشتدت مناعته ، فهم المنصورون بعون الله وعدالة قضيتنا[٢] ٠٠ » ٠

◆ ويقول اللواء جمال محمد على مدير المهندسين ٠٠ « يقف وراء النجاح العظيم الذى حققته قواتنا المسلحة بقفزتها الباسلة عبر القناة ، واجتياحها الجارف خط بارليف الحصين ، تلك الجهـود المضنية للمهندسين العسكريين وابتكاراتهم الفذة ، وحلولهم العملية للمشاكل الكثيرة التى كانت تواجه عمليـة العبور فوق المـانع العريض ـ قناة السويس ـ ثم المـانع الحصين ـ خط بارليف[٣] ٠٠ » ٠

◆ ويقول العميد نبيل شكرى قائد القوات الخاصـة ٠٠ « لقـد كانت البداية قبل أن يطلق قائدنا الأعلى شرارة الملحمة الخالدة بسنوات طويلة ، قضيناها فى اعداد أنفسنا بالجهد والعرق والدم ، يدفعنا ما وفره لنـا شعبنا العظيم من أجل المعركة المرتقبة ، وكان شوقنا الى خوض القتال لنرد للشعب دينه بدمائنـا وأرواحنا لا يعادله شوق أو يدانيه[٤] ٠٠ » ٠

****

■ أما محصلة الجولة الثانية فى فكر أبرز فلاسفة الحرب المعاصرين ، فتتلخص أيضا فى عشر نقاط ، يسوقها الجنرال أندريه بوفر فى ندوته التى عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ وقال فيها :

---

(١) تقرير قائد الجيش الثانى امام مجلس الشعب ـ ١٣ نوفمبر ١٩٧٣

(٢) مقابلة خاصة ـ ١٢ اكتوبر ١٩٧٣ ٠

(٣) الأهرام القاهرية ـ ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٤) الأهرام القاهرية ـ ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

١ « أريد أن أبدى اعجابى الشديد بالعمل الذى أنجزته القوات المسلحة المصرية والسورية ، مشفوعا باعجابى بذلك التقدم الذى أظهرته هـذه القوات فى الميدان » •

٢ « لقد أبرزت حرب رمضان ـ كما تابعتها من بعيد ـ دروسا عديدة فى المجالات الفنية والتعبوية والاستراتيجية والسياسية • فالصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والمضادة للدبابات قد أثبتت كفاءتها وبأسها الشديد ، وبفضل هذه الصواريخ فشلت الدبابات والطائرات الاسرائيلية فى احراز التفوق ، ومالت الموازين الى جانب العرب » •

٣ « وأثبتت حرب رمضـان أن المعركة فى مجالها الفنى سوف تزداد تعقيدا نظرا لأن كل خطوة للتطور سوف تعقبها خطوة أخرى مضادة لهذا التطور ، وسوف يصبح التفوق التكنولوجى تبعـا لذلك شديد الوقع عظيم التـأثير على أحداث القتال » •

٤ « لقد أصاب الشلل اسرائيل فى الفترة الأولى من الحرب حتى حصلوا على معدات أمريكية شديدة التطور ، ورغم ذلك فلم يستطيعوا أن يحرزوا ذلك التفوق الكامل الذى أحرزوه فى حرب ١٩٦٧ » •

٥ « ومن وجهة النظر التعبوية فقد كان الدرس الأهم فى حرب رمضان هو أن القوات الجوية التى أحسن انتشارها وحمايتها سوف تتمكن من الاستمرار فى البقاء فتحرم بذلك الخصـم من التمتع بميزة كبرى هى التفوق أو السيطرة الجوية •

وقد أدى توفر الصـواريخ المضـادة للطائرات لتقديـم الوقاية الفعـالة للقوات البرية ـ حتى فى غياب الحماية بواسطة الطائرات ـ أدى الى خلق موقف جديد تماما لم يسبق ممارسته فى الحروب السابقة ، وأعنى به ذلك التوازن بين القوات الجوية لدى الطرفين الذى خلق موقفا يختلف تماما عما لمسناه فى الحرب العالمية الثانية ، أو فى الجولات العربية الاسرائيلية السابقة ، عندما كان أحـد الخصوم ينجح فى احراز التفوق أو السيطرة الجوية على سماء المسرح خلال المرحلة الافتتاحية أو المرحلة الأولى للحرب » •

٦ « أما عن المعركة البرية فقد أبرزت حرب رمضان أن الدفاع مهما كان حصينا ـ كقلاع خط بارليف ـ فسوف يظـل عرضة للاختراق والتدمير طالمـا

كانت القوات المهاجمة من القوة والكثافة والتصميم بالقـدر الذى يضمن لهـا الغلبة » ٠

٧ « وهناك نقطة أخرى ، هى أن العمليات الليلية تعتبر ضرورية جدا ، واننى أعرف مقدار صعوبتها ، ولكن اذا وثق المقاتل من نفسه أصبح الليل صديقه وعدو عدوه ، انها مسألة عادة وروح معنوية » ٠

٨ « وعلينا أن نتذكر دائما أن الأمن والسـلام يكمن فى مداومة الحركة والمناورة ، ويجب على القوات أن تغير أوضاعها باستمرار لأنها اذا توقفت ضاعت ، وخاصة ضد عدو كاسرائيل ، فاذا ما توقفتم فليكن ذلك عند مانع أقوى كثيرا من قناة السويس ، أو بعد هزيمة عدوكم بما يجعلكم سادة الموقف » ٠

٩ « وعلى المستوى الاستراتيجى فان الموقف العالمى الحالى ، ووجود القوتين الأعظم وتهديدات الحرب النووية قد جعل الحرب بين الدول الصغيرة محدودة من حيث الأهداف ومن حيث الزمن ومن حيث الساحة ٠٠٠ وقد كانت حرب رمضان حربا محدودة ، وذلك لأن المعركة المسلحة لا تخرج فى الواقع عن كونها جزءا من مباراة أكبر ، تتطلب معارك دعائية واقتصادية ودبلوماسية وسياسية مكثفة ، تلك هى المباراة الكاملة ٠٠

وليست القوات المسلحة سـوى الطبلة الكبيرة وسـط أوركسترا تعزف سيمفونية ، وليست ـ كما يرغب بعض العسكريين ـ معزوفة منفردة (سولو) ٠ ومن وجهة النظر هذه يعتبر الهجوم المصرى السورى فى السادس من أكتـوبر عملا رائعا ٠٠ اذ كسر طبقة الثلج السميكة التى كست الموقف السياسى ، وخلق فهما أفضل لحقيقة أنه اذا لم ترضخ اسرائيل للحل الوسط فان عليها أن تواجه حروبا أخرى ٠

ووعى العالم كله هذه الحقيقة التى كانت غائبة عنه قبـل حرب رمضان ، التى كانت عملا أنجزه العرب بجدارة وشجاعة ، وجعلت اسرائيل تدرك مدى كفاءة العرب بعد أن كانوا قد بالغوا فى التقدير وقللوا من قدرتهم فنشأ بذلك عنصر المفـاجأة ذا الطبيعة التكنولوجيـة عندما اصـطدموا بالواقـع فى مسرح الحـرب » ٠

١٠ « وفى الثالث والعشرين من أكتوبر خرق الاسرائيليون اتفاقية وقف اطلاق النار ، واستطاعوا بالغش أن يتقدموا ، وهى خدعة اسرائيلية معروفة ،

طالما لجأوا اليها فى الماضى ، اذ دفعوا باغارات مدرعة الى السويس والى الغرب ، وأعتقد أن الهدف هنا كان سيكولوجيا محضا ، اذ كانوا يتوقعون أن يحمى وقف اطلاق النار قواتهم من الدمار ، لذلك فهى ليست عملية عسكرية بل مظاهرة تليفزيونية ..

ويبين ذلك أن خطة مصر للحرب كان ينبغى أن تمتد لتشمل وقف اطلاق النار ، وتحدد ما تراه مناسبا ، وما يلزم توفيره والا فان العدو سوف يستغله فى تحسين موقفه .. وعلى العرب أن يعالجوا هذه المشكلة ، فهى احدى ألاعيب اسرائيل » ..

وفى الختام فلنستعرض أثر كل ذلك على الأمن الاسرائيلى ، والواضح هنا أن الجيش الاسرائيلى لم يعد يتمتع بالتفوق الساحق الذى كان يتمتع به سابقا ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل ، وأعتقد أنهم قد فهموها تماما ، ولم يعد أمامهم الا أن يختاروا بين أمرين :

- فاما أن يشعروا بمزيد من عدم الأمن ، وبالتالى يزيدون من قوتهم العسكرية وخاصة من الناحية النوعية ، ويصبحوا أكثر تشددا فيما يتعلق بما يسمونه الحدود الآمنة .

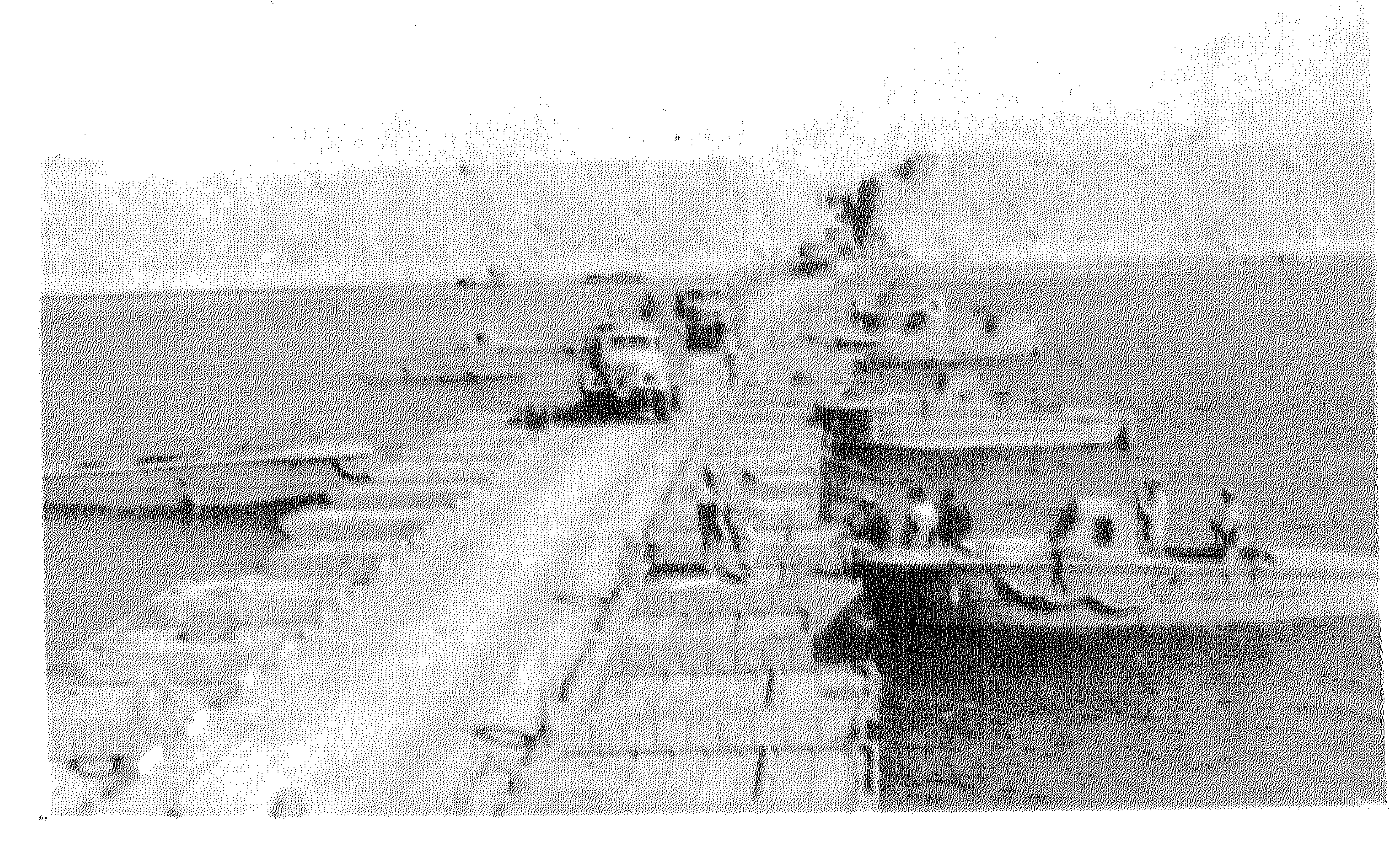
- واما أن يوافقوا على التوصل الى تسوية باعتبار أنها أفضل وسيلة لبث الفرقة بين العرب .

« ومهما يكن الاختيار فسوف يستمر الاسرائيليون فى السباق النوعى للتسليح ، وأنا متأكد من ذلك تماما ، وعلى الطرف الآخر فان النجاح العظيم الذى حققه العرب فى هجومهم يوم ٦ أكتوبر يكمن فى أنهم حققوا تأثيرا سيكولوجيا هائلا فى معسكر الخصم ، وفى المجال العالمى الفسيح ، ويبقى عليهم بعد ذلك أن يفكروا فى نتائج هذا التأثير على العالم ليحصلوا على مؤازرته وتأييده » .

(جنرال الجيش أندريه بوفر ــ ندوة فى أكاديمية ناصر العسكرية العليا ــ القاهرة ــ ١٥ نوفمبر ١٩٧٣)

وحطمنا خط بارليف

وأقام المهندسون عددًا كبيرًا من المعدّيات



.. والكباري ...

وحقّق المهندسون المعجزة

وكانت الغلبة للرجل ضدّ الدبابة

وترك العدوّ سلاحه سليما وفرّ هاربًا...

وتهاوت نجمة داود ...

ولما فشل فى اقتحام مدينة السويس الصامدة

تحول إلى دور العبادة



ووجه قذائفه ضدّ المساجد....

لقد أثبتت حرب رمضان أن النصر أولاً وأخيراً يعود إلى الفرد المؤمن بهدفه، المخلص لواجبه، المحب لوطنه، المستعد لبذل الغالي والرخيص في سبيل نصرة بلده وحماية أرضه وشرفه ...

■ ■ ■

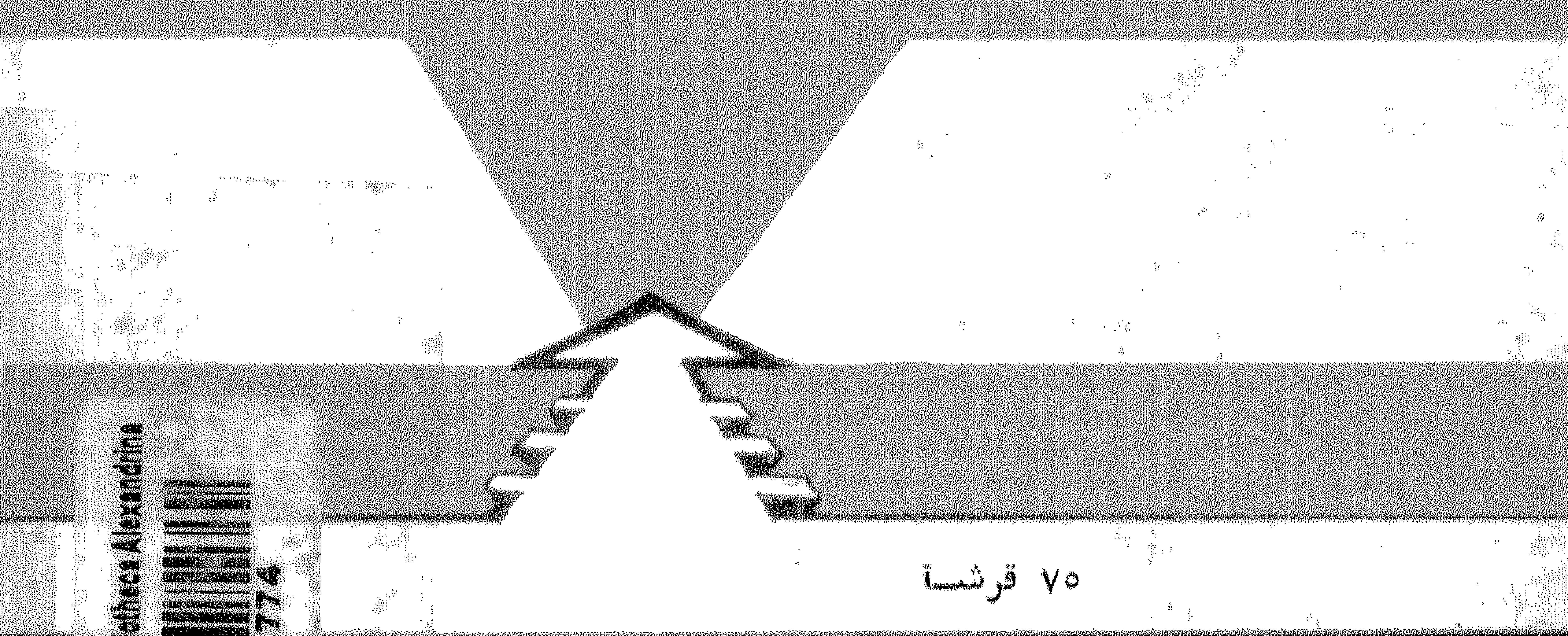
وتنتهي ملحمة حرب رمضان، ويسجل التاريخ نصراً وفخاراً لأمة العرب، وهزيمةً وخزياً للصهاينة الإسرائيليين .. وتتغير الخريطة السياسية للشرق الأوسط، وتختلف موازين القوى، وتصبح كلمة العرب هي العليا، ويسجد العرب لله شكراً، إذ نصرهم وأيدهم.



وحملوا قتلاهم ورحلوا ...


بسم الله الرحمن الرحيم
وكان فضل الله عليك عظيما
صدق الله العظيم

رقم الايداع بدار الكتب ٧٤/٢٣٢١


٧٥ قرشـاً
الناشر الشركة المتحدة للنشر والتوزيع
٤ طلعت حرب / القاهرة
Bibliotheca Alexandrina
02222774